لآلـيء من مختار الأغانـي

المجلد الأول

د. صلاح الدين النكدلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده .. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

الطبعة الشبكية الأولى

محرم 1437هـ

تشرين الأول/ اكتوبر 2015م

الناشر : الدار الإسلامية للإعلام

© *Islamischer Info. Dienst Verlag*

العنوان

I.I.D e.V.
Juelicher Strasse 114
D-52070 Aachen
Germany

Tel: + 49 241-538373
Fax: + 49 241-538887

Email: iid@iid-alraid.com
Website: www.iid-alraid.com

1. Auflage, 10.2015

لآلىء من مختار الأغاني

عزيزي القارئ ..

نشأت مولعاً بقراءة كتب الأدب العربي ، فقصصها (الحوارية) القصيرة تحمل في طياتها فوائد جمة .. وكانت تلامس بقوة منظومة القيم في ضميري . وأذكر أنه قبل حوالي نصف قرن من الآن (الآن : 1436هـ-2015م) قامت مطبعة في مدينة حمص الشام بنشر كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي ، على شكل أجزاء متفرقة ، وكان كل جزء يضم حوالي مائة صفحة . وذات يوم مررت بالمكتبة فاشتريت جزءاً ومضيت إلى المسجد ، فرآه شيخي المربي الفاضل (وصفي أحمد المسدي) رحمه الله تعالى ، سألني : هل تسمح لي بالإِطلاع ؟ قلت : طبعاً يا شيخنا ، فلما تصفح ما أعطيته نصحني بالآتي :

1- في كتب الأدب يا بُني (خيرٌ كثير) و(شرٌّ مستطير) ، وما كل ما ورد فيها صحيح السند ، مقبول الحمولة .

2- وأنت ما زلت ناشئاً .. تبني في قدراتك على التمييز بين (الغثِّ والسمين) و(الحسن والقبيح) و(الخير والشر) .. وأنصحك بصرف النظر الآن عن القراءة في هذه الكتب إلى أن تحصل معرفة تساعدك على حُسن الاختيار ، وتقيك الآثار السلبية .

توقفت عن المطالعة الجادة في كتب الأدب بضع سنين .. ثم عدت إلى سابق عهدي بها .. وولجتُ من باب واسع .. إنه كتاب (مختار الأغاني) لأبي الفضل جمال الدين بن مكرَّم بن منظور الأفريقي (630-711هـ) والمشهور بابن منظور . وقد أشرف (المكتب الإسلامي) على طبع هذا الكتاب التراثي في ثوب قشيب .

و(مختار الأغاني) كتاب يجمع فيه ابن منظور ما اختاره من كتاب (الأغاني) لأبي فرج الأصفهاني ، وفق منهجية ارتضاها ، ثم أضاف إلى ما جمع قصصاً أدبية استحسنها ، والكتاب المنشور يقع في (12) مجلداً .

استمتعت بقراءة (مختار الأغاني) وكنت أضع علامات تشير إلى ما استحسنته .. لعل ذلك يساعدني في المراجعة .. ومرَّت الأيام .. فعنَّ لي أن أُقلِّب النظر في مختار الأغاني ، فوجدت أن ما اخترته يشكل باقةً من الأخبار الأدبية ، واللفتات التربوية ، والثروة اللغوية .. بعيداً عن سلبيات قَدَّرتُها .. فعمدت إلى كتابة ما رأيته مفيداً .. ووضعت عنواناً لكل خبر أو اختيار .. ولا أدعي أن ما فعلته عبارة عن (تهذيب) أو (اختصار) لكتاب مختار الأغاني .. ولذلك عنونته :

(لآليء من مختار الأغاني)

هذا ، ويضم المجلد الأول من اللآليء الأجزاء الثلاثة من (مختار الأغاني) .

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه اللآليء ، وأن يكتب لها القبول .

عمل بلا علم !

– قال بشر بن المعتمر لأبي العتاهية : بلغني أنك لما نسكت ، جلست تحجم اليتامى والفقراء للسبيل .

قال : نعم .

قال : فما أردت بذلك ؟ .

قال : أردت أن أغض من نفسي حسبما رفعتني هذه الدنيا وأضع منها ، ليسقط عني الكبر ، وأكتسب فبما فعلته الثواب . وكنت أحجم الفقراء واليتامى خاصة .

فقال له بشر : دعني من تذليل نفسك بالحجامة ، فإنه ليس بحجة لك أن تؤدبها وتصلحها بما تفسد به غيرها . هل كنت تعرف الوقت الذي يحتاج فيه من تحجمه إلى إخراج الدم ؟ .

قال : لا .

قال : فهل كنت تعرف مقدار ما يحتاج كل واحد إلى ما يخرجه على مقدار طبعه مما إذا زدت عليه ، أو نقصت منه ، ضر المحجوم ؟ قال : لا .

قال : فما أراك إلاّ أردت أن تتعلم الحجامة على أقفاء اليتامى والمساكين .

(ج1/ص8)

تجهّز لفراق الأهل والمال

– كان مصعب بن عبد الله الزبيري يقول : أبو العتاهية أشعر الناس . فقيل له : بأي شيء استحق ذلك عندك ؟ قال : بقوله :

تعلَّقـــــــــتُ بآمـــــــــالٍ طِـــــــــوالِ أيِّ آمـــــــــالِ
وأقبلـــــــتُ علـــــى الـــــدنيا مُلِحـــــــــاً أي إقبـــــــالِ
أيـــــا هـــــذا تجهّـــــز لـــــ ـــــفراق الأهـــــل والمـــــالِ
فـــــلا بـــــدّ مـــــن المـــــوت علـــــى حـــــال مـــــن الحـــــالِ

(ج1/ص10)

صاحبك أخوك ما استغنيت عنه

– كان الأصمعي يستحسن قول أبي العتاهية :

أنـــتَ مـــا اســـتغنيتَ عـــن صـــا حبـــــك الـــــدهرَ أخـــــوهُ
فـــــإذا احتجـــــتَ إليـــــه ســـــاعةً مجَّـــــك فُـــــوهُ

(ج1/ص10)

المال والذكر الحسن

– قال صالح الشهرزوري[1] : أتيت سلماً الخاسر فقلت له : أنشدني لنفسك ، فقال : لا ولكني أنشدك لأشعر الجن والإنس ، لأبي العتاهية . ثم أنشدني له :

سَـــكَنٌ يَبقـــى لَـــهُ سَـــكَنُ مـــا بهـــذا يُـــؤذِنُ الـــزَّمَنُ
نَحـــنُ فـــي دارٍ يُخَبِّرُنـــا ببلاهـــا نـــاطقٌ لَسِـــنُ
دارُ سَـــوءٍ لَـــم يَـــدُم فَـــرَحٌ لامـــرئٍ فيهـــا ولا حَـــزَنُ

(1) الشهرزوري : نسبة إلى شهرزور ، وهي كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان .

فـــي سَـــبيلِ اللَـــهِ أَنفُسُـــنا كُلُّنـــا بِـــالمَوتِ مُـــرتَهَنُ
كـــلُّ نفـــسٍ عِنـــدَ ميتَتِهـــا حظُّهـــا مـــن مالِهـــا الكفـــنُ
إِنَّ مـــالَ المَـــرءِ لَـــيسَ لَـــهُ مِنـــهُ إِلاَّ ذِكـــرُهُ الحَسَـــنُ

(ج1/ص10-11)

ما ضر من جعل التراب مهاده

– قال عبد الله بن عبد العزيز العمري : أشعر الناس أبو العتاهية حيث يقول :

مـا ضـر مـن جعـل التـرابَ مِهـادَهُ أنْ لا ينـامَ علـى الحريـرِ إذا قَنَـعْ

(ج1/ص11)

يا واعظ الناس !

– قال أبو عمرو القرشي : لما قص منصور بن عمار على الناس بمجلس البعوضة[2] قال أبو العتاهية : إنما سرق منصور هذا الكلام من رجل كوفي . فبلغ قوله منصوراً فقال : أبو العتاهية زنديق ، أما ترونه لا يذكر في شعره قط ، لا الجنة ولا النار ، إنما يذكر الموت فقط . فبلغ ذلك أبا العتاهية فقال فيه :

يـا واعـظ النـاس قـد أصـبحت متهمـاً إذ عبـت مـنهم أمـوراً أنـت تأتيهـا
كـالْمُلْبِسِ الثـوبَ مِـنْ عُـري وعورتـه للنـاس باديـةٌ مـا إن يُواريهـا
فـأعظم الإثـم بعـد الشـرك نعلمُـه فـي كـل نفـس عماهـا عـن مسـاويها

(2) يريد بذلك أنه قص ما يتعلق بالبعوضة من خلقها وصناعتها وما أودعه الله فيها من الأسرار ، فأطلق المكان – وهو المجلس– وأراد ما يقع فيه .

عرفانهـــا بعيـــوب النـــاس تُبصـــرها منهـــم ولا تبصـــر العيـــب الـــذي فيهـــا

فلم تمض إلاّ أيام يسيرة ، حتى مات منصور بن عمار ، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال : يغفر الله لك يا أبا السري ما كنت رميتني به .

(ج1/ص12)

فيا عجباً كيف يعصى الإله ؟!

– قال الخليل بين أسد النوشجاني :جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : أيزعم الناس أني زنديق ؟ والله ما ديني إلاّ التوحيد . فقلت له : قل شيئاً نتحدث به عنك ، فقال :

ألا إننـــــا كلَّنـــــا بائـــــدُ وأيُّ بنـــــــي آدمٍ خالـــــــدُ
وبـــدؤهُمُ كـــان مـــن ربهـــم وكـــلٌّ إلـــى ربـــه عائـــدُ
فيـــا عجبـــاً كيـــف يُعصـــى الإلـــ ـــهُ أم كيـــف يجحـــدُهُ الجاحـــدُ
وفـــي كـــل شـــيء لـــه آيـــةٌ تـــدل علـــى أنـــه واحـــدُ

(ج1/ص12–13)

روائحُ الجنة في الشباب

– قال أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي[3] : تذاكروا يوماً شعر أبي العتاهية بحضرة الجاحظ ، إلى أن جرى ذكر أرجوزته المزدوجة التي سماها : (ذات الأمثال) . فأخذ بعض من حضر ينشدها حتى أتى إلى قوله :

(3) في الأغاني : محمد بن هاشم .

يـــا للشـــباب الْمَـــرِحِ التصـــابي روائـــح الجنـــة فـــي الشـــبابِ

فقال الجاحظ للمنشد : قف . ثم قال : انظروا إلى قوله «روائح الجنة في الشباب» فإن له معنى كمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته إلاّ القلوب ، وتعجز عن ترجمته الألسن إلاّ بعد التطويل ، وإدامة التفكير . وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه .

وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العتاهية ، يقال إنّ فيها أربعة آلاف مثل ، منها قوله :

حســبُك ممـــا تبتغيـــه القـــوتُ مـــا أكثـــر القـــوتَ لمـــن يمـــوتُ
هـــي المقـــاديرُ فَلُمْنـــي أو فَـــذَرْ إن كنـت أخطـأت فمـا أخطـا القَـدَرْ
لكـــل مـــا يـــؤذي وإنْ قـــلَّ ألـــمْ مـا أطـولَ الليـلَ علـى مـن لمـن ينـمْ
مـــا انتفـــع المـــرءُ بمثـــل عقلـــه وخيـــر ذخـــر المـــرء حســـنُ فعلـــه
مـــن جعـــل النمَّـــام عينـــاً هَلَكـــا مُبلِغـــك الشـــرِّ كباغيـــه لكـــا
إنّ الفســـاد ضـــدُّه الصـــلاحُ وربَّ جِـــدٍ جـــرَّه المِـــزاحُ
إنّ الشـــباب والفـــراغ والجِـــدَهْ مَفســـدة للمـــرءِ أيُّ مفســـدهْ[4]
مـــا عـــيشُ مَـــنْ آفتُـــه بقـــاؤهُ نغّـــصَ عيشـــاً كلـــه فَنـــاؤهُ
مـــا زالـــت الـــدنيا لنـــا دارَ أذى ممزوجـــةَ الصَـــفوِ بـــألوان القـــذى
مَـن لـك بـالمحض ولـيس محـضُ يخبـــثُ بعـــضٌ ويطيـــب بعـــضُ
يـــا رُبَّ مـــن أســـخطنا بجهـــده قـــد ســـرّنا الله بغيـــر حمـــده
مـــا تطلـــعُ الشـــمسُ ولا تغيـــبُ إلاّ لأمـــرٍ شـــأنُه عجيـــبُ
لكـــلّ إنســـانٍ طبيعتـــان خيـــرٌ وشـــرٌ وهمـــا ضـــدان
والخيـــر والشـــر إذا مـــا عُـــدّا بينهمـــا بـــونٌ بعيـــدٌ جـــدا

(4) الجدة : مصدر ، وجد يجد ، بحذف الواو ، وهي لغة حكاها سيبويه عن بعض العرب ، ويريد هنا : المال الموجود .

إنـــك لـــو تستنشـــق الشـــحيحا وجدتَـــهُ أنـــتن شـــيء ريحـــا
كـــذا قضـــى الله فيكـــف أصـــنعُ والصـــمتُ إن ضـــاق الكَـــلامُ أوســـعُ

(ج1/ص13-14)

حِيَلُ ابن آدم في الأمور كثيرة !

- أنشد ابن الأعرابي لأبي العتاهية :

قطَّعـــتُ منـــك حبائـــل الآمـــالِ وحططـــتُ عـــن ظهـــر المطـــيِّ رِحـــالي
ووجـــدتُ بَـــردَ اليـــأس بـــين جـــوانحي فأرحـــتُ مـــن حِـــلٍّ ومـــن ترحـــالِ
يـــا أيهـــا البَطِـــرُ الـــذي هـــو فـــي غـــدٍ فـــي قبـــره متمـــزق الأوصـــالِ
حـذر المنـى عنـد المشـمِّرِ فـي الهـدى وأرى منـــاك طويلـــة الأذيـــالِ
حِيَـــلُ ابـــنِ آدم فـــي الأمـــور كثيـــرةٌ والمـــوت يقطـــع حيلـــةَ المحتـــالِ
قِســـتُ الســـؤال فكـــان أعظـــم قيمـــة مـــن كـــل عارفـــة جـــرت بســـؤالِ
فـــإذا ابتليـــت ببـــذل وجهـــك ســـائلاً فابذلـــــه للمتكـــــرّم المفضـــــالِ
وإذا خشـــيت تعـــذُّراً فـــي بلـــدةٍ فاشـــدُد يـــديك بعاجـــل الترحـــالِ
واصـــبر علـــى غِيَـــرِ الزمـــان فإنمـــا فَـــرَجُ الشـــدائدِ مثـــلُ حـــلِّ عِقـــالِ

(ج1/ص16)

العتق من المال !

- قال ثمامة بن أشرس : أنشدني أبو العتاهية :

إذا المرءُ لم يعتقْ من المال نفسَه تملَّكه المالُ الذي هو مالكُهْ
ألا إنما مالي الذي أنا منفقٌ وليس ليَ المالُ الذي أنا تاركُهْ
إذا كنت ذا مالٍ فبادر به الذي يحقُّ وإلاّ استهلكتْهُ مهالكُهْ

(ج1/ص17)

حكمةٌ جامعة

– قيل لأبي العتاهية : أي شعر قلته أحكم ؟ قال : قولي :

علمتَ يا مُجاشعُ بنَ مَسعدَه أن الفراغ والشبابَ والجِدَه
مفسدةٌ للمرء أيُّ مفسده

(ج1/ص20)

إنْ نعش نجتمع

– قال أبو غزّية : كان أبو العتاهية إذا قدم المدينة يجلس إليّ ، فأراد مرة الخروج من المدينة ، فودعني ثم قال :

إنْ نعشْ نجتمعْ وإلاّ فما أشـ ـغلَ من مات عن جميع الأنامِ

(ج1/ص20)

لو كنت أرضى مثل قولك!

– اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد ، فجرى بينهما كلام . فقال له مسلم : والله لو كنت أرضى أن أقول مثل قولك :

الحمـــــد والنعمـــــةُ لـــــك والملـــــكُ لا شـــــريك لـــــك

لبيـــك إنّ الملـــك لـــك

لقلت في اليوم عشرة آلاف بيت ، ولكني أقول :

مـوفٍ علـى مُهـجٍ فـي يـوم ذي رَهَـجٍ كأنـــه أَجَـــلٌ يســـعى إلـــى أمـــلِ[5]

فقال أبو العتاهية : يا ابن أخي ، قل مثل قولي : «الحمد لله والنعمة لك» حتى أقول مثل قولك : «كأنه أجل يسعى إلى أمل» .

(ج1/ص24–25)

أنا والله أستحسن اعتذارك

– قال محمد بن سابق :قال بشار لأبي العتاهية : أنا والله أستحسن اعتذارك حيث تقول :

كـــم مـــن صـــديق لـــي أُســـا رقـــةُ البكـــاءَ مـــن الحيـــاءِ

فـــــإذا تأمّـــــل لامنـــــي فـــأقول مـــا بـــي مـــن بكـــاءِ

لكـــــنْ ذهبـــــتُ لأرتـــــدي فطرفـــــتُ عينـــــي بـــــالرداءِ

فقال له أبو العتاهية : لا والله يا أبا معاذ ، ما لذت إلاّ بمعناك ، ولا جنيت إلاّ من

(5) في يوم ذي رهج : أي في يوم ذي غبار في الحرب .

غرسك حيث تقول :

شــكوتُ إلــى الغــواني مــا أُلاقــي وقلــتُ لهــنّ : مــا يــومي بعيــدُ
فقلــنَ : بكيْــتَ ، قلــتُ لهــنَّ : كــلا وقــد يبكــي مــن الطــرب الجليــدُ
ولكنــي أَصــابَ ســوادَ عينــي عُويــدُ قــذىً لــه طــرفٌ حديــدُ
فقلــن : فمــا لــدمعهما ســواءً أكِلْتــا مُقلتيــك أصــاب عُــودُ ؟!

(ج1/ص25)

أجفوتني فيمن جفاني ؟ !

– قال الفضل بن العباس : وَجَدَ الرشيد وهو بالرقة على أبي العتاهية في شيء ، وأبو العتاهية في مدينة السلام ، وكان أبو العتاهية يرجو أن يتكلم فيه الفضل بن الربيع ، فأبطأ عليه ، فكتب إليه :

أجفــــوتني فــــيمن جفــــاني وجعلــــت شــــأنك غيــــر شــــاني
ولطالمــــــــا أمَّنتنــــــــي ممــــــا أرى كــــــلَّ الأمــــــانِ
حتــــى إذا انقلــــب الزمــــا نُ علــــيَّ صــــرتَ مــــع الزمــــانِ

فكلم الفضل فيه الرشيد ، فرضي عنه ، وأرسل الفضل إليه يأمره بالشخوص ، ويذكر له أن الرشيد رضي عنه ، فشخص . فلما دخل الفضل أنشده قوله فيه :

قــــد دعونــــاه نائيــــاً فوجــــدنا هـ علــــى نأيــــه قريبــــاً ســــميعا

فأدخله على الرشيد ، ورجع إلى حالته الأولى .

(ج1/ص26–27)

لِمَ لا تستعمل الغريب في شعرك ؟ !

– قال عبد الله بن الحسن : جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان ، فجلس إليَّ ، فقلت له : يا أبا اسحاق ، أما يصعب عليك شيء من الألفاظ تحتاج فيه إلى استعمال الغريب ، كما يحتاج إليه سائر الناس ممن يقول الشعر ؟ فقال : لا . فقلت : إني لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافي السهلة . قال : فاعرض عليَّ ما شئت من القوافي الصعبة . فقلت : قل أبياتاً على مثل «البلاغ» فقال من ساعته :

أيُّ عيش يكون أفضل من عيـ ـش كفاف قوت بقدر البلاغِ[6]
صاحب البغي ليس يسلم منه وعلى نفسه بغى كل باغِ
ربّ ذي لقمة تعرض منها حائل بينها وبين المساغِ
أبلغَ الدهرُ في مواعظه بل زاد فيهنَّ لي على الإبلاغِ
غبنتني الأيام عقلي ومالي وشبابي وصحتي وفراغي

(ج1/ص28)

مؤنسٌ كان لي هلك

– كان علي بن ثابت صديقاً لأبي العتاهية ، وبينهما مجاوبات في الزهد والحكم ، فتوفي علي بن ثابت ، فقال أبو العتاهية :

مؤنسٌ كان لي هلك والسبيلُ التي سلكْ
يا عليّ بن ثابتٍ غَفَر الله لي ولك
كلُّ حيّ مملَّك سوف يفنى وما ملك

(6) البلاغ : الكفاية .

(ج1/ص30)

إلى ديّان يوم الدين نمضي

– قال أبو العتاهية :

أمـــــا والله إنّ الظُّلـــــم لُـــــومُ ومـــا زَالَ المســـيء هـــو الظَّلـــومُ
إلـــى دَيـــان يـــومِ الـــدّين نَمضـــي وعنـــــد الله تجتمـــــع الخُصُـــــومُ

(ج1/ص34)

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن

– قال أبو سَلَمةَ الباذغيسي : قلت لأبي العتاهية : في أي شعرك أنت أشعر ؟ قال : في قولي :

النـــــاسُ فـــــي غَفَلاتهـــــم ورَحـــــى الْمَنيَّـــــةِ تَطْحَـــــنُ
مـــــا دونَ دائـــــرةِ الـــــوَرَى حِصْـــــنٌ لمـــــن يتحصَـــــنُ

(ج1/ص34)

الآن طَيبت المعنى

– دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده :

مـــا أحســـنَ الـــدّنيا وإقبالَهـــا إذا أطـــاع اللهَ مَـــنْ نالَهـــا
مَـنْ لَـمْ يـواسِ النـاس فـي فضـلها عـــرَّض للإِدْبـــار إقبالَهـــا

فقال المأمون : ما أجود البيت الأول ! فأما الثاني فما صنعت فيه شيئاً : الدنيا تدبر عمَّن واسى منها أو ضنَّ بها ، وإنما يوجب السماحةَ بها الأجرُ ، والضنَّ بها الوزرُ . فقال : صدقت يا أمير المؤمنين ، أهل الفضل أولى بالفضل ، وأهل النقص أولى بالنقص . فقال المأمون : يا أبا ثابت ، ادفع عشرة آلاف درهم لاعترافه بالحق . فلما كان بعد أيام عاد فأنشده :

كـــم غافـــلٍ أوْدَى بـــه المـــوتُ لـــم يأخـــذ الأُهْبـــةَ للفَـــوْتْ
مـــن لـــم تـــزُلْ نعمتُـــهُ قَبْلَـــه زَالَ عَـــنِ النِّعْمَـــةِ بـــالموتْ

فقال له : أحسنت ! الآن طَيبتَ المعنى . وأمر له بعشرين ألف درهم .

(ج1/ص34-35)

الدنيا . . تهين مكرمها وتكرم مهينها

- قال أبو العتاهية :

أرى الـــدنيا لمـــن هـــي فـــي يدَيْـــه عـــذاباً كلمـــا كَثُـــرتْ لديـــه
تُهـــين المكـــرمين لهـــا بصُـــغْرٍ وتُكـــرم كـــلَّ مـــن هانـــت عليـــه
إذا اســـتغنيتَ عـــن شـــيء فدعـــه وخـــذْ مـــا أنـــت محتـــاجٌ إليـــه

(ج1/ص35)

وللمرء يوماً لا محالة مصرع !

– قال أبو حاتم : قدم علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون ، فصار إليه أصحابنا فاستنشدوه ، فأنشدهم :

ألم ترَ ريْب الدهر في كلّ ساعةٍ ... له عارضٌ فيه المنيَّة تلمعُ[7]

أيا بانيَ الدنيا لغيرك تبتني ... ويا جامعَ الدنيا لغيرك تجمعُ

أرى المرء وثّاباً على كل فرصةٍ ... وللمرء يوماً لا محالةَ مصرعُ

تبارك من لا يملكُ الملك غيرُهُ ... متى تنقضي حاجاتُ من ليس يشبع

وأيُّ امرئٍ في غاية ليس نفسُهُ ... إلى غايةٍ أُخرى سواها تطَلَّعُ

(ج1/ص39)

ما للجديدين لا يبلى اختلافهما ؟!

قال أبو العتاهية : ماتت بنت المهدي ، فحزن عليها حزناً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب ، فقلت أبياتاً أعزيه فيها ، فوافيته وقد سلا ، وقد ضحك وأكل ، وهو يقول : لا بدَ من الصبر على ما لا بدّ منه ، وإن سلونا عمن فقدنا ليسلون عنا من يفقدنا ، ولا يأتي الليل والنهار على شيءٍ إلاّ أبلياه . فلما سمعتُ هذا قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي أن أنشدك ؟ قال : هات ، فأنشدته :

ما للجديدين لا يبلى اختلافُهما ... وكلُّ غضٍّ جديدٍ فيهما بالِ

يا مَنْ سلا عن حبيب بعد ميتتهِ ... كم بعد موتك أيضاً عنك مِنْ سالِ

كأنَّ كلَّ نعيمٍ أنت ذائقهُ ... من لذّة العيش يحكي لُمعة الآلِ

(7) العارض : الأصل فيه : السحاب المعترض في الأفق .

لا تلعــبنَّ بــك الــدنيا وأنــت تــرى مــا شــئت مــن عِبــر فيهــا وأمثــالِ
مــا حيلــةُ المــوت إلاّ كــلّ صــالحةٍ أو لا فــلا حيلــةٌ فيــه لمحتــالِ

فقال : أحسنت وأصبت ما في نفسي ، ووعظت فأوجزت ، وأمر له عن كل بيت بألف درهم .

(ج1/ص42)

فديتك ، فأكذبني بجواد واحد !

– قال مخارق : لقيت أبا العتاهية على الجسر فقال : يا أبا اسحاق أنشدني قولك في تبخيلك الناس كلهم ، فضحك وقال : ها هنا ؟ قلت : نعم . فأنشدني :

إن كنــــتَ متخــــذاً خلــــيلاً فتنــــقَّ وانتقــــدِ الخلــــيلا
مَــنْ لــم يكــن لــك مُنْصِــفاً فــي الــوُدِّ فــابغ بــه بــديلا
ولربمــــا ســــئل البخيــــل ــــل الشــــيءَ لا يســــوى فتــــيلا
فيقــــولُ لا أجــــدُ الســــبيل إليــــه ، يكــــره أن يُنــــيلا
ولــــذاك لا جعــــل الإلــــ ــــهُ لــــه إلــــى خيــــرٍ ســــبيلا
فاضــربْ بطرفــك حيــث شئــ ــــت فلــــن تــــرى إلاّ بخــــيلا

(ج1/ص44)

الفقرُ يرجى له الغِنى ؟ !

– كان أحمد بن يوسف صديقاً لأبي العتاهية ، فلما خدم المأمون وخُصَّ به ، رأى منه أبو العتاهية جفوة ، فكتب إليه :

أبـــا جعفـــرٍ إنَّ الشـــريف يشـــينه تتايُهُـــه علـــى الأخـــلاَء بـــالوفرِ
ألـــم تـــر أنَّ الفقـــر يُرجـــى لـــه الغنـــى وأنَّ الغنـــى يخشـــى عليـــه مـــن الفقـــرِ
فـإن نلـت تيهـاً بالـذي نِلْـت مـن غنـىً فـــإنَّ غِنـــائي بالتجمُّـــل والصـــبرِ

فبعث إليه بألفي درهم ، واعتذر إليه مما أنكره عليه .

(ج1/ص45)

فكلٌّ إن صبرتَ له يزول

– قال أبو جعفر : قلت لأبي العتاهية ، أَجِزْ لي قولَ الشاعر :

وكـــان المـــالُ يأتينـــا وكنَّـــا نبـــذّرهُ ولـــيس لنـــا عقـــولُ
فلمّـــا أن تـــولَّى المـــالُ عنّـــا عَقَلْنـــا حـــين لـــيس لنـــا فُضُـــولُ

فقال أبو العتاهية :

فَقَصِّـــرْ مـــا تـــرى بالصـــبر حقًّـــا فكـــلٌّ إنْ صبـــرتْ لـــه يـــزولُ

(ج1/ص45)

أليس أوَّلُكَ نطفةً وآخِرُك جيفةً ؟ !

– قال بعضهم : كنت أمشي مع أبي العتاهية ، فنظر إلى الناس يذهبون ويجيئون ، فقال : أما تراهم ؟! ، هذا يتيه فلا يتكلم ، وهذا يتكلم بصلف . ثم قال لي : مرَّ بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يخطر ، فقال له : يا بني ، لو خفضت بعض هذه الخيلاء ، ألم يكن أحسن بك من هذه الشهرة التي قد شهرت بها نفسك ؟ فقال له الفتى : أما تعرف مَن أنا ؟ فقال : بلى والله أعرفك معرفة جيدة ، أوّلك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت بين ذينك تحمل العذرة . قال : فأرخى الفتى أذنيه ، وطأطأ رأسه ومضى ، وكف عما يعمله .

(ج1/ص46)

يا طالب الدنيا !

– قال أبو دلف العجلي : حججت ، فرأيت أبا العتاهية واقفاً على أعرابي في ظل ميل[8] وعليه شملة ؛ إذا غطى بها رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطى رجليه بدا رأسه ، فقال أبو العتاهية : كيف اخترت هذا البلد القفر على البلدان المخصبة ؟ فقال له : يا هذا ، لولا أن الله قنَّع بعض العباد بشر البلاد ، ما وسع خير البلاد كل العباد . فقال له : فمن أين معاشكم ؟ قال : منكم معشر الحاج ، تمرون بنا فننال من فضولكم وتنصرفون . فقال له : إنما نمر وننصرف في وقتين من السنة ، فمن أين معاشكم في سائر السنة ؟ فأطرق الأعرابي ثم قال : والله ما أدري ما أقول ، إلاّ أنا نرزق من حيث لا نحتسب ، فولى أبو العتاهية وهو يقول :

ألا يـــــا طالـــــبَ الدنيـــــا دعِ الـــــــدنيا لشـــــــانيكا

(8) الميل : منار يهتدي به المسافرون .

ومـــــا تصنـــــع بالدنيـــــا وظِـــــلُّ الْمِيـــــل يكفيكـــــا
هَـــــبِ الـــــدنيا تُواتيكـــــا أَلـــــيس المـــــوتُ يأتيكـــــا ؟!
كمـــــا أضـــــحكك الـــــدهر كـــــذاك الـــــدهر يُبكيكـــــا

(ج1/ص47)

أذل الحرص أعناق الرجال !

– لما أنشد أبو العتاهية :

تعـــالى الله يـــا ســـلمُ بـــنَ عمـــروٍ أذلَّ الحـــرصُ أعنـــاقَ الرجـــالِ

ولما أُنْشِدَ المأمونُ هذا البيت قال : (صدق لعمر الله) إنّ الحرص لمفسدٌ للدين والشرف ، والله ما عرفت من رجل قط حرصاً ولا شرهاً ، فرأيت فيه مصطنعا .

(ج1/ص47)

وددت أنه لي بكثير من شعري ! !

– قال سليمان بن مناذر : كنت عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضر ، فقال أبو العتاهية لجعفر : جعلني الله فداك ، عندكم شاعر يعرف بابن أمية أحب أن أسمعه يُنشد . فقال جعفر : هو أقرب الناس منك . فأقبل أبو العتاهية على (ابن) أبي أمية وسأله أن ينشده وكأنه حضر ثم أنشده :

رُبَّ وَعـــدٍ مِنـــكِ لا أَنســـاهُ لـــي واجِـــبُ الشُـــكرِ وَإِن لَـــم تَفعَلـــي
أَقطَـــعُ الـــدَهرَ بِظَـــنٍّ حَسَـــنٍ وَأُجَلّـــي غَمـــرَةً مـــا تَنجَلـــي

وَأَرى الأَيّـــامَ لا تُـــدني الَّـــذي أَرتَجـــي مِنـــكِ وَتُـــدني أَجَلـــي
كُلَّمـــا أَمَّلـــتُ يَومـــاً صـــالِحاً عَـــرَضَ المَكـــروهُ لـــي فـــي أَمَلـــي

(ج1/ص50-51)

من سابق الدهر كبا كبوة

- وفي شعر أبي العتاهية :

مـــا أســـرعَ الأيَّـــامَ فِـــي الشَّـــهرِ وأســـرعَ الأشـــهُرَ فـــي العُمْـــرِ
لَـــيسَ لِمَـــنْ لَيْسَـــتْ لَـــهُ حيلَـــةٌ مَوْجـــودَةٌ ، خَيـــرٌ مـــن الصّـــبرِ
فـــاخطُ مـــع الـــدهر إذا مـــا خطـــا واجْـــرِ مـــعَ الـــدَّهْرِ كمَـــا يجـــرِي
مـــنْ ســـابقَ الـــدَّهرَ كبَـــا كبـــوةً لـــم يســـتقلها آخـــرَ الـــدّهرِ

(ج1/ص51)

أفنيت عمرك إدباراً وإقبالاً

- قال أبو العتاهية : ما زال الفضل بن الربيع من أميل الناس إليّ ، فلما رجع من خراسان بعد موت الرشيد ، دخلت إليه ، فاستنشدني ، فأنشدته من أبيات :

أفنيـــت عمـــرك إدبـــاراً وإقبـــالا تَبغـــي البنـــين وتبغـــي الأهـــلَ والمـــالا
المـوتُ هـولٌ فكـن مـا عشـت مُلتمسـاً مِـــن هولـــه حيلـــةً إن كنـــتَ مُحتـــالا
ألـــم تـــرَ الملـــكَ الأُمِّـــيَّ حـــين مضـــى هـــل نـــال حـــيٌّ مـــن الـــدنيا كمـــا نـــالا ؟
أفنـــاه مَـــنْ لـــم يـــزل يُفنـــي القـــرونَ فقـــد أمســـى وأصـــبح عنـــهُ الملـــك قـــد زالا

كم مِنْ ملوكٍ مضى رَيْبُ الزمان بهمْ قد أصبحوا عِبَراً فينا ، وأمثالا

فاستحسنها وقال لي : أنت تعرف شغلي ، فعد إليَّ وقت فراغي ، اقعد معك وآنس بك ، فلم أزل أراقب أيامه حتى كان يوم فراغه ، فصرت إليه فيه ، فبينما هو مقبل علي يسألني ويستنشدني فأحدثه إذ أنشدته :

ولّى الشبابُ فما لهُ من حِيلةٍ وكَسَا ذُؤَابَتِيَ المشيبُ خمارَا
أين البرامكةُ الذين عَهِدْتُهمْ بالأمسِ أعظمَ أهْلِها أَخطارَا

فلما سمع ذكرى البرامكة تغير لونهُ ، ورأيت الكراهية في وجهه ، فما رأيت منه خيراً بعد ذلك .

(ج1/ص52)

خمسة أبيات لأبي العتاهية

– قال أبو تمام الطائي : لأبي العتاهية خمسة أبيات ما شاركه فيها أحد ، ولا قدر على مثلها متقدم ولا متأخر . فمنها قوله :

الناس في غَفلاتِهم ورحى المنية تطحن

– وقوله :

ألم تَرَ أن الفَقر يُرجى له الغنى وأنّ الغنى يُخشى عليه من الفقر

– وقوله :

ولما استقلُّوا بأثقالهم وقد أزمعوا للذي أزمعوا
قرنْتُ التفاني بآثارهم وأتبعتُهم مقلةً تدمعُ

– وقوله في موسى الهادي :

هَــبِ الــدنيا تُســاق إليــك عفــواً ألــيس مصــيرُ ذاك إلــى زوال ؟

(ج1/ص54–55)

لا يرجو عفو الله مقصر

– قال أبو العتاهية :

أراك امــرءاً ترجــو مــن الله عفــوهُ وأنــت علــى مــا لا يُحــبُّ مُقــيمُ
تــدلُّ علــى التقــوى وأنــت مقصِّــرٌ أيــا مــن يــداوي النــاس وهــو ســقيمُ
وإن امــرءاً لــم يُلهــه اليــومُ عــن غــدٍ تَخــوُّفُ مــا يــأتي بــه لحكَــيمُ
وإن امــرءاً لــم يَجعــل البــرَّ كنــزَهُ وإن كانــتِ الــدنيا لــه لعــديمُ

(ج1/ص55–56)

خانك الطرف الطموح!

– قال أبو العتاهية :

خانــك الطَّــرفُ الطَّمــوحُ أَيُّهــا القَلــبُ الجَمــوحُ
لِــدَواعي الخَيــرِ وَالشَّــرِّ دُنُــوٌّ وَنُــزوحُ
هَــل لِمَطلــوبٍ بِــذَنبٍ تَوبَــةٌ مِنــهُ نَصــوحُ
مَــوتُ بَعــضِ النــاسِ فــي الأَر ضِ عَلــى قــومٍ فُتــوحُ
سَيَصــيرُ المَــرءُ يَومــاً جَسَــداً مــا فيــهِ روحُ

بَـــــينَ عَينَـــــيْ كُـــــلِّ حَـــــيٍّ عَلَـــــمُ المَـــــوتِ يَلـــــوحُ
كُلُّنـــــا فـــــي غَفلَـــــة وَالمَـــــ ـــــوتُ يَغـــــدو وَيَـــــروحُ
لِبَنـــــي الـــــدُنيا مِـــــنَ الدُنـــــ ـــــيا غَبـــــوقٌ وَصَـــــبوحُ[9]
رُحـــــنَ فـــــي الوَشـــــيِ وَأَقـــــ ـــــبلنَ عَلَـــــيهِنَّ الْمُســـــوحُ
نُـــح عَلـــى نَفسِـــكَ يـــا مِســـ ـــــكينُ إِن كُنـــــتَ تَنـــــوحُ
لَتَمـــــــوتَنَّ وَإِن عُمِّـــــــ ـــــرتَ مـــــا عُمِّـــــرَ نـــــوحُ

(ج1/ص56-57)

إنّ السفينة لا تجري على اليبس

– قال الرشيد لأبي العتاهية : عظني . فقال : أخافك . فقال له : أنت آمن . فقال :

لا تـأمنِ المـوتَ فـي طـرْفٍ وفـي نفَـسٍ إذا تســـتَرت بـــالأبواب والحَـــرسِ
واعلـــمْ بـــأنَّ ســـهامَ المـــوتِ قاصـــدةٌ لكـــــل مُـــــدَّرع منهـــــا ومُتَّـــــرسِ
ترجـو النجـاة ولـم تسـلكْ مسـالكَها إنّ الســـفينةَ لا تجـــري علـــى اليـــبس

(ج1/ص58)

سيُعْرَض عن ذكري وتنسى مودتي !

– قيل لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي أن يجيء مخارق ويضع فمه على أذني ويغنيني :

(9) الغبوق : ما شرب أو أكل آخر النهار ، يقابله الصبوح ، وهو ما أكل أو شرب أول النهار .

سـيُعرَضُ عـن ذكـري وتُنسـى مـوَدتي ويحـــدثُ بعـــدي للخليـــل خَليـــلُ
إذا مـا اَنقضـتْ عنـي مـن الـدهر مُـدّتي فـــإن غَنـــاء الباكيـــات قليـــلُ

(ج1/ص60)

إلهي لا تعذبني!

– قال أبو العتاهية :

إلَهـــي لا تُعَـــذِّبني فَـــإنّي مُقِـــرٌّ بالَّـــذي قَـــد كـــانَ منّـــي
وَمـــا لـــي حيلَـــةٌ إلا رَجـــائي لعَفـــوُكَ إن فعلـــتَ وَحُســـنُ ظنّـــي
وكَـــم مِـــن زلَّـــةٍ لـــي فـــي الخطايـــا وَأَنـــتَ عَلَـــيَّ ذو فَضـــلٍ وَمَـــنِّ
إذا فَكَّـــرتُ فـــي نَـــدَمي عَلَيهـــا عَضَضـــتُ أَنـــامِلي وَقَرَعـــتُ سِـــنّي
أجـــنُّ بزهـــرة الـــدنيا جُنونـــاً وأقطـــعُ طـــولَ عمـــري بـــالتمنّي
ولـــو أنـــي صـــدَقتُ الزُّهـــدَ فيهـــا قلبـــتُ لأهلهـــا ظَهْـــرَ المِجَـــنّ[10]
يَظُـــنُّ النـــاسُ بـــي خَيـــراً وَإِنّـــي لَشَـــرُّ النـــاسِ إن لَـــم تَعـــفُ عَنّـــي

(ج1/ص60)

غذوتك مولوداً وعلتك يافعا

– عتب أمية بن أبي الصلت على ولد له –وكان عاقاً له– فقال فيه :

(10) قلب له ظهر المجن : مثل يضرب به لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ، ثم حال عن العهد وخذله ، والمجن : الترس .

غَــذَوتك مَوْلــوداً وعُلتُــك يافعــاً ... تُعَــلُّ بمــا أجنــي عَلَيــك وتَنْهــلُ[11]
إذا ليلــةٌ نابتــكَ بالشــكْو لــم أبــتْ ... لشــــكواك إلاّ ســــاهراً أتململَــــلُ
كــأني أنــا المطــروقُ دونَــك بالــذي ... طُرِقــتَ بــه دُونــي فَعَيْنــيَ تهمُــلُ
تخــافُ الــردى نَفسِــي عليــك وإنهــا ... لــتعلم أنّ المــوتَ حَــتْمٌ مؤجَّــلُ
فلمَّــا بلغــتَ الســنَّ والغايــةَ التــي ... إليهــا مــدى مــا كنــتُ منــك أُؤمِّــلُ
جَعلــتَ جزائــي غِلْظــةً وفَظاظــةً ... كأنــك أنــتَ الْمُــنعمُ المتفضِّــلُ
وســمَّيتَني باســم المقيِّــد رأيــه ... وفــي رأيِــكَ التقييــدُ لــو كنــتَ تَعْقِــلُ
فليتــك إذ لــم تَــرْعَ حــقَّ أُبــوَّتي ... فَعلــتَ كمــا الجــارُ المجــاوِرُ يَفْعَــلُ

(ج1/ص66-67)

رجل يرثي أخاه

– لما مات محمد بن يسار أخو إسماعيل ، دخل أخوه إسماعيل على هشام بن عروة ، فجلس عنده وحدثه بمصيبته ووفاة أخيه ؛ ثم أنشده يرثيه :

عِيــلَ العَــزاءُ وَخــانَني صَــبري ... لَمّــا نَــعى النــاعي أَبــا بَكْــرِ
وَرَأَيــتُ رَيْــبَ الــدَّهرِ أَفرَدَنــي ... مِنــهُ وَأَســلَمَ لِلعِــدى ظَهْــري
مِــن طَيِّــبِ الأَثــوابِ مُقتَبِــلٍ ... حُلــوِ الشَّــمائِلِ ماجِــدٍ غَمْــرِ[12]
فَمَضــى لِوجهَتِــهِ وَأَدركــهُ ... قَــدَرٌ أُتــيحَ لَــهُ مِــنَ القَــدْرِ
وَأقمــتُ مــالي مِــن تَــذَكُّرِهِ ... إلاّ الأَســى وَحَــرارَةُ الصَّــدْرِ
وَجَــوىً يُعــاوِدُني وَقَــلَّ لَــهُ ... مِنّــي الجَــوى وَمَحاسِــنُ الــذِّكْرِ

(11) العل : الشرب الثاني . والنهل : الشرب الأول ، وأجني عليك ، أي : أكسب ، ويجوز أن يكون من : جنيت الثمرة جنياً وجناية .

(12) الغمر : الكريم الواسع الخلق .

لَمّـــا هَـــوَت أَيـــدي الرِّجـــال بِـــهِ فـــي قَعـــرِ ذاتِ جَوانِـــبٍ غُبْـــرِ
وَعَلِمـــــتُ أَنّـــي لَـــنْ أُلاقِيَـــهُ فـــي النـــاسِ حَتّـــى مُلتَقـــى الحَشْـــرِ
كـــادَت لِفُرقَتِـــهِ وَمـــا ظلمَـــتْ نَفســـي تَمـــوتُ عَلـــى شَـــفا القَبْـــرِ
وَلَعَمـــرُ مَـــن حُـــبِسَ الهَـــدِيُّ لَـــهُ بِالأَخشَـــبَينِ صَـــبيحَةَ النَّحْـــرِ[13]
لَـــو كـــانَ نَيـــلُ الخُلـــدِ يُدرِكُـــهُ بَشَـــرٌ بِطيـــبِ الخِـــيم وَالنَّجْـــرِ
لغبْـــرتَ لا تخشـــى الْمَنـــونَ ولا أودى بِنَفسِـــكَ حـــادِثُ الـــدَّهْرِ
وَلـــنِعمَ مَـــأوى الْمُـــرمَلينَ إِذا قَحطـــوا وَأَخلَـــفَ صَـــيِّبُ القَطْـــرِ

وكان بحضرة هشام رجل من آل الزبير . فقال له : أحسنت وأسرفت في القول ، ولو قلت هذا في رجل من سادات قريش لكان كثيرًا . فنهره هشام ، وقال : بئس لعمر اللّه ما واجهت به جليسك ، فشكر له إسماعيل ذلك ، فلما انصرف ، تناول هشام ذلك الرجل الزبيري . وقال : ما أردت إلى رجل شاعر ملك قوله ، فصرف أحسنه إلى أخيه ، فما زدتَ على أن أغريته بعرضك وأعراضنا ، لولا أني تلافيته .

(ج1/ص100-101)

من ذا يعيرك عينه تبكي بها ؟!

- قال العباس بن الأحنف :

نَـزَفَ البكـاءُ دمـوعَ عينـك فاسـتعرْ عينـــاً لغيـــرك دَمْعُهـــا مِـــدْرارُ
مَـــنْ ذا يُعيـــرك عينَـــه تَبكـــي بهـــا أرأيْـــتَ عَينـــاً للبُكـــاء تُعـــارُ ؟!

(ج1/ص119)

(13) الأخشبان : جبلان يضافان تارة إلى مكة ، وتارة إلى منى ، أحدهما : أبو قبيس ، والآخر : قعيقعان ، ويقال : بل هما أبو قبيس ، والجبل الأحمر المشرف هنالك .

وزعمتِ أني ظالم فهجرتني

– قال إبراهيم الموصلي :

وزعمـــتِ أنـــي ظـــالمٌ فهجرتنـــي وَرَميـــتِ فـــي قَلبـــي بِسَـــهمٍ نافـــذِ
وَنَعَـــمْ ظلمتـــكِ فـــاغفري وتجـــاوزي هـــذا مُقـــامُ المســـتجيرِ العائـــذِ

(ج1/ص123)

راجعْ أحبَّتك الذين هجرتهم

– قال العباس بن الأحنف :

راجِـــع أحِبَّتَـــكَ الـــذين هَجَـــرْتَهمْ إنّ المتَـــــيَّمَ قلَّمـــــا يتجنَّـــــبُ
إنّ التجنُّـــــبَ إنْ تطـــاول منكمـــا دبَّ السُّـــلوُّ لـــه وعـــزَّ المطلـــبُ

(ج1/ص130)

يا ذا الذي صدع الفؤاد بصدّه

– قال العباس بن الأحنف :

لَمّـــا رأَيـــتُ اللَيـــلَ سَـــدَّ طَريقَـــهُ عَنّـــي وَعَـــذَبَّني الظَـــلامُ الراكِـــدُ
وَالـــنَجمَ فـــي كَبِـــدِ السَـــماءِ كَأَنَّـــهُ أَعمـــى تَحَيَّـــرَ مـــا لَدَيـــهِ قائِـــدُ

نادَيــتُ مَــن طَــرَدَ الرُقــادَ بِنَومِــهِ عَمّــا أُعــالِجُ وَهــوَ خِلْــوٌ هاجِــدُ
يــا ذا الَّــذي صَــدَعَ الفُــؤادَ بِصَــدِّهِ أَنــتَ الــبَلاءُ طَريفُــهُ وَالتالِــدُ
أَلقَيــتَ بَــينَ جُفــونِ عَينــي فُرقَــةً فَــإلى مَتــى أَنــا ســاهِرٌ يــا راقِــدُ ؟!

(ج1/ص135)

هل إلى نظرة إليك سبيلُ ؟

– قال اسحاق الموصلي :

هــلْ إلــى نظــرةٍ إليــكِ سَــبيلُ يُــرْوى منهــا الصَّــدى ويُشــفى الغليــلُ
إنّ مــا قــلَّ منــكِ يكْثــرُ عنــدي وكثيــرُ ممــن تحــبُّ القليــلُ

(ج1/ص148)

إني رأيت البخل يزري بأهله

– قال الأصمعي : دخلت يوماً أنا وإسحاق بن إبراهيم على الرشيد ، فرأيته لقس النفس[14] فأنشده إسحاق :

وآمــرةٍ بالبُخــلِ قُلــتُ لهــا اقصــري فــذلكَ شــيٌ مــا إليــه سَــبيلُ
أرى النــاسَ خُــلانَ الكــرامِ ولا أرى بخــيلاً لــه حتــى المماتِ خليــلُ
وإنــي رأيــت البُخــلَ يُــزري بأهلِــهِ فأكرمــتُ نفســي أن يُقــال بَخيــلُ
فِعــالي فِعــالُ المُكثــرِينَ تجمُّــلاً ومــالي كمــا قــد تعلمــينَ قليــلُ

(14) لقست نفسه : من باب فرح : غثت وخبثت .

وكيـفَ أخـافُ الفقـرَ أو أُحـرَم الغنـى ورأيُ أميـــرِ المـــؤمنينَ جميـــلُ ؟!

(ج1/ص148)

إذا المرء قاسى الدهر وابيضَّ رأسه !

– كان إسحاق بن إبراهيم إذا غنى هذا الصوت أخذ بلحيته وبكى :

إذا المـرءُ قاسـى الـدهرَ وابـيض رأسُـهُ وثُلِّـــمَ تثلـــيمَ الإنـــاء جَوانِبُـــهْ
فلَلْمـــوتُ خيـــرٌ مـــن حيـــاةٍ كريهـــةٍ تُباعـــدُه طَـــوراً وطـــوراً تُقاربـــه

(ج1/ص158)

إنّ العروق إذا استسرَّ بها الثرى

– قال إسحاق بن إبراهيم : أنشدت الفضل بن يحيى قول نُصيب مولى المهدي فيهم :

إنّ العـــروق إذا استســـرَّ بهـــا الثَـــرى أُشِـــرَ النبـــاتُ بهـــا وطـــابَ المـــزْرَعُ[15]
فـــإذا جهِلـــتَ مـــن امـــرئٍ أعراقَـــه وقديمَـــه فـــانظر إلـــى مـــا يصـــنعُ

(ج1/ص161)

لا شيء أعظم من جُرمي سوى أملي

(15) استسر : خفي . أشر النبات : مرح وطال .

– عتب المأمون على إسحاق بن إبراهيم في شيء ، فكتب إليه رقعة ، وأوصلها إليه من يده ، فيها :

لا شيءَ أعظمُ من جُرمي سوى أَملي لحسن عفْوِكَ عن ذَنبي وعن زللي
وإن يكن ذا وذا في القَدْر قد عَظُما فأنت أعظمُ من جُرمي ومِنْ أملي

(ج1/ص161)

ربّ أخ غيرته الحوادث !

– قال إسحاق بن إبراهيم : كان بيني وبين الحارث بن بُسْخُنَّر مودة ، فتغير لي وحال عما عهدته ، فقلت :

تنكَّر لي فيمن تنكر حارثُ وربَّ أخٍ قد غيَّرْتهُ الحوادثُ
أحارثُ إن شوركتُ فيك فربما غَبنا وما بيني وبينك ثالثُ

(ج1/ص168)

فيا حسن مجلوب ويا قبح جالب

– قال عَونٌ حاجب معن بن زائدة : أتت أمُّ ابنِ جامعٍ مَعنَ بن زائدة وابنُ جامع معها وهو صغير يتبعُها ، ويَطأ ذيلها ، وكانت من قريش ، ومَعْنُ يومئذ على اليمن . فقالت : أصلح الله الأميرَ ، إنّ عمي زوّجني زوجاً ليس بكُفءٍ ففرِّقْ بيني وبينه . قال : من هو ؟ قالت : ابنُ ذي مناجب . قال : عليَّ به . فدخل أقبح خلق الله وأشوههم خَلقا . فقال . مَن هذه منك ؟ قال : امرأتي . قال : خلِّ سبيلها ، ففعل . فأطرق مَعنٌ ساعةً ثم

رفع رأسه فقال :

لعمري لقد أصبحتَ غيرَ محبَّبٍ ولا حَسَنٍ في عينها ذا مناجبِ
فما لمتُها لما تبيَّنتُ وَجهةُ وعيناً له حَوْصاء من تحت حاحبِ
وأنفاً كأنف البَكْر يقطُر دائباً على لحية عَصْلاءَ شابتْ وشارِبِ[16]
أتيتَ بها مثلَ المهاة تسوقها فيا حُسْنَ مجلوبٍ ويا قُبْحَ جالبِ

(ج1/ص173)

كلُّ ذخيرة . . مصيرها النفاد

– قال كُثَيِّر عَزَّة :

فلا تَبْعَدْ فكلُّ فتى سيأتي عليه الموت يطرقُ أو يُغادي[17]
وكلُّ ذخيرةٍ لا بدّ يوماً وإن بقيت تصير إلى نفادِ
يعزّ عليَّ أن نغدو جميعاً وتصبح ثاوياً رهناً بوادي
ولو يُفدى من الحدثان شيء فديتك بالطريف وبالتِّلادِ

(ج1/ص187)

الأناة والوعيد

– قال إبراهيم بن العباس :

(16) البَكْر : الجمل ، عصلاء : معوجة .
(17) لا تبعد : لا تهلك .

أنــاةٌ ، فــإنْ لــم تُغــنِ عقِّــبْ بعــدها وعيــداً فــإن لــم يُغْــنِ أغنــت عزائِمُــه

(ج1/ص232)

من ضَنَّ بمعروفه بذلت له عذري

– قال إبراهيم بن العباس :

إنّ امــــــرءاً ضــــــنَّ بمعروفــــــه عنــــيّ لمبــــذولٌ لــــه عــــذري
مــــا أنــــا بالراغــــب فــــي عُرفــــه إن كــــان لا يرغــــب فــــي شــــكري

(ج1/ص232)

كداعية عند القبور نصيرها !

– قال إبراهيم بن العباس :

دعوتــك فــي بلــوى أَلَمَّــتْ صــروفُها فأوقــدتَ فــي ضِــغنٍ علــيَّ ســعيرَها
فــــإني إذا أدعــــوك عنــــد مُلمَّــــة كداعيــــةٍ عنــــد القبــــور نصــــيرها

(ج1/ص232)

خَلِّ النفاق لأهله

– قال إبراهيم بن العباس :

خـــــلِّ النفـــــاق لأهلـــــه وعليـــــك فـــــالتمِسِ الطريقـــــا
واذهـــــبْ بنفســـــك أن تُـــــرى إلاّ عـــــــدواً أو صـــــــديقا

(ج1/ص233)

يا من حنيني إليه !

– قال إبراهيم بن العباس :

يـــــا مَـــــن حَنينـــــي إِلَيـــــهِ وَمـــــن فُـــــؤادي لَدَيـــــهِ
وَمـــــن إِذا غـــــابَ مـــــن بيـــــ نِهـــــم أسِـــــفتُ عَلَيـــــهِ
إِذا حَضـــــرت فمـــــا منـــــ هـــــم مَـــــن أَصـــــبُو إِلَيـــــهِ
مـــــن غـــــابَ غيـــــرُك مـــــنهُم فَـــــأمرُه فـــــي يَدَيـــــهِ

(ج1/ص234)

أميل مع الذِّمام على ابن أمي

– قال إبراهيم بن العباس :

أَميـــلُ مـــع الـــذِّمام علـــى اِبـــن أُمّـــي وآخـــذ للصـــديقِ مـــن الشـــقيقِ
وَإن ألفَيْتَنـــــي حـــــرّاً مُطاعـــــاً فإنـــــك واجـــــدي عبـــــدَ الصـــــديقِ

أُفَـــرِّق بَـــين معروفـــي ومنِّـــي وأجمـــع بـــين مـــالي والحقـــوقِ

(ج1/ص234)

قدرتَ فلم تضرر عدواً بقدرة !

– قال إبراهيم بن العباس :

قَدرتَ فَلَم تَضْرُرْ عَدُوّاً بِقدرةٍ وَسُـمْتَ بـه إخوانَـك الـذُلَّ وَالرَّغمـا
وَكُنتَ مَليئاً بِالَّذي قَد يعافها مِـنَ النـاسِ مَـن يـأبى الدَّنيئَـةَ وَالـذَّمَّا

(ج1/ص235)

وكنت أخي بإخاء الزمان !!

– قال إبراهيم بن العباس :

وَكُنـــتَ أَخـــي بِإِخـــاء الزَّمـــانِ فَلَمّـــا نَبـــا صِـــرتَ حربـــاً عَوانَـــا
وَكُنـــــتُ أَذُمُّ إِلَيـــــك الزَّمـــــان فَأَصـــــبحتُ فيـــــك أَذُمُّ الزَّمانـــــا
وَكُنـــــتُ أُعِـــــدُّك لِلنائِبـــــات فَأَصـــبحتُ أَطلُـــب مِنـــكَ الأَمانـــا

(ج1/ص238)

وعلّمكم صبري على ظُلمكم ظلمي !

– قال إبراهيم بن العباس :

وَعَلّمْتنـــي كَيـــفَ الهَـــوى وجهلتَـــهُ وَعَلَّمكم صَبري ، عَلى ظُلمِكُم ، ظُلمِي
وأَعلَـــمُ مـــا لـــي عِنـــدَكُم فَيردُّنـــي هـوايَ إلـى جَهـل فَأُقصِـر عَـن عِلمـي

(ج1/ص240)

دعني أواصل من قطعتَ

– قال إبراهيم بن العباس :

دَعنـــي أُواصِـــل مـــن قَطَعـــ تَ يَـــراك بـــي إِذْ لا يراكـــا
إِنّـــي مَتـــى أَهجـــر لِهجـــرِ كَ لا أَضُـــرُّ بِـــهِ سِـــواكا
وَإِذا قَطَعتُـــكَ فـــي أَخيـــ كَ قطعـــتُ فيـــك غَـــداً أَخاكـــا
حَتّـــى أُرى مُتَقَسَّـــما يَـــومي لِـــذا وَغَـــداً لِـــذاكا

(ج1/ص241)

إذا ما الفكر ولَّد حسن لفظٍ

– قال إبراهيم بن العباس :

إِذا مـــا الفكـــرُ ولَّـــدَ حُســـنَ لَفـــظٍ وأســـلَمه الوجـــود إلـــى العِيـــانِ

ووشَّـــــاه فَنَمْنَمَـــــهُ مُسِـــــدٌّ فصـيحٌ فـي المقـال بـلا لسـان[18]
تـــرى حُلَـــل البيـــان مُنشَّـــراتٍ تجلّـــى بينهـــا صُـــوَرُ المعـــاني

(ج1/ص241)

فلو كان للشكر شخص يَبين

– قال إبراهيم بن العباس :

فلـو كـان للشـكر شـخصٌ يَبـين إذا مـــا تَأَمّلـــه النـــاظِرُ
لمثَّلتُـــه لـــك حتـــى تـــراه فـــتعلم أنـــي امـــرؤٌ شـــاكِرُ

(ج1/ص243)

وما كنتَ إلاّ مثلَ أحلام نائم

– قال إبراهيم بن العباس :

وكنـتَ أَخـي بالدَّهـر حتـى إذا نَبـا نبـوتَ فلمّـا عـادَ عُـدتَ مـع الدَّهـرِ
فـلا يـومَ إقبـالٍ عـددتُك طـائلاً ولا يـومَ إدبـارٍ عَـددتك فـي وِتـرِ
وَمـا كُنـتَ إلاَّ مِثـلَ أَحـلامِ نـائِمٍ لَدى حالَتَيْك من وَفاءٍ ومن غَدرِ

(ج1/ص243)

(18) مسد : مصيب السدود .

هو أسدٌ ضارٍ وأبٌ بَرّ

– قال إبراهيم بن العباس :

أســـــدٌ ضـــــارٍ إذا هيَّجتـــــه وَأَبٌ بَـــــرٌّ إذا مـــــا قَـــــدَرا
يعـــــرِف الأَبعـــــدَ إن أَثـــــرى وَلا يعـــرف الأَدنـــى إذا مـــا افتَقـــرا

(ج1/ص244)

أين أهل العفة والكرم ؟!

– قال إبراهيم بن العباس :

تَلِـــجُ الســـنونَ بيوتَهـــم وَتَـــرى لهـــم عَـــن جـــارِ بَيـــتهم ازوِرارَ مناكِـــبِ
وَتـــــراهُمُ بِســـــيوفِهِم وَشِـــــفارهم مُستَشـــــرِفين لِراغِـــــبٍ أَو راهِـــــبِ
حـــامِين أَو قـــارين حيـــث لَقِيـــتَهُم نَهـــبَ العُفـــاةِ وَنُهـــزَةً لِلرّاغِـــبِ

(ج1/ص244)

الخالُ يكسو الوجه القبيح جمالا

– قال إبراهيم بن سيابة :

يكـــون الخـــالُ فـــي وجـــهٍ قبـــيحٍ فيكســـــوهُ الملاحـــــةَ والجمـــــالا

فكيــف يُـلامُ معشــوقٌ علــى مَــنْ يراهــا كلَّهــا فــي العــين خــالا ؟!

(ج1/ص288)

ووجدتُ حِلمك لي عليك دليلا

– قال إبراهيم بن سيابة :

إنْ كــان جُرْمِـي قــد أحــاطَ بحُرْمَتِـي فــأحِطْ بجُرْمِـي عَفــوَك المــأمولاَ
فكــمِ ارْتَجَيْتُـكَ فـي التـي لا يُرْتَجَـى فــي مِثْلِهــا أحــدٌ فنِلْــتُ السُّـولاَ[19]
وَضَـلَلْتُ عنـك فلـم أجِدْ لـي مَذْهَبـاً ووجـدتُ حِلْمَـكَ لـي عليـك دليـلاَ
هَبْنِـي أســأتُ ومـا أســأتُ أُقِـرُّ كَـيْ يـزدادَ عَفْـوُك بعـد طَـوْلِك طُـولاَ[20]
فــالعفو أجمــلُ والتفضُّــل بــامرئٍ لــم يَعــدَمِ الرّاجــون منــه جميــلاَ

(ج1/ص290)

الشهادة والمعرفة

– قال الأصمعي : تقدم رجل من بني دارم إلى سوَّار بن عبد الله ليُقيم عنده شهادة ، فصادفه يتمثل قول الأسود بن يَعفر [21] :

(19) السؤل والسؤلة ، ويترك همزهما : ما سألته .

(20) الطول ، بالفتح : الفضل .

(21) من قصيدة له هي إحدى مختارات المفضل الضبي ، وهي عنده في ستة وثلاثين بيتاً .

ولقــد علمــتُ لــو أن علمــيَ نــافعٌ ... أنَّ الســبيل ســبيلُ ذي الأعــوادِ[22]

إنّ المنيَّـــة والْحُتـــوفَ كلاهمـــا ... يُــوفي المخــارمَ يَرميــان سَــوادي[23]

مـــاذا أُؤَمِّـــلُ بعـــد آل مُحـــرِّقٍ ... تركـــوا منـــازلَهُم وبعـــد إيـــاد[24]

أهـــل الخَوَرنـــق والسَّـــدير وبـــارقٍ ... والقصـرِ ذي الشُـرُفات مـن سِـنادِ[25]

نَزلـــوا بـــأنقُرَةٍ يفـــيضُ علـــيهمُ ... مـاءُ الفـراتِ يفـيضُ مـن أطـوادِ[26]

جَـرت الريـاحُ علـى رُسـوم ديـارهم ... فكأنمـــا كـــانوا علـــى ميعـــادِ

ولَقـــد غَنـــوا فيهـــا بـــأنعَمِ عيشـــةٍ ... فـــي ظـــلِّ مُلـــكٍ ثابـــت الأوتـــادِ

فـــإذا النعـــيمُ وكـــلُّ مـــا يُلهـــى بـــه ... يومـــاً يَصـــيرُ إلـــى بِلـــى ونفَـــادِ

(ج1/ص292-293)

ذرني أكن للمال ربا !

- كان للأسود (بن يعفر) أخ يقال له : حُطائط بن يعفر شاعر ، وأخوه حطائط الذي قال لأمهما رهم بنت العباب ، وعاتبته على جوده فقال :

تقـــول ابنـــةُ العبَّـــاب رَهـــمٌ حَرَبتنـــي ... حُطائط لم تَترك لنفسك مَقعدا[27]

---

(22) ذو الأعواد ، من أجداد أكثم بن صيفي حكيم تميم . وقيل له : ذو الأعواد ، لسرير كانوا يحملونه عليه لما أسن ، فكان سريره ملاذ الخائف وملجأ المحتاج .

(23) يوفي : يعلو . والمخارم : أفواه الفجاج والطرق في الجبال ، واحدها مخرم . وسواد الرجل : شخصه .

(24) آل محرق هنا : هم ملوك الحيرة من لخم .

(25) الخورنق كسفرجل : قصر من قصور الحيرة . والخورنق هو بالفارسية خورنكاه ، وهو بيت الضيافة . والسدير : قصر كان ما بين نهر الحيرة إلى النجف إلى كسكر من هذا الجانب . وبارق ماء بالعراق ، أو هو نهر كما في (معجم البلدان) بين القادسية والبصرة ، وهو من أعمال الكوفة . وسنداد : منزل لإياد، وهو في أسفل سواد الكوفة .

(26) أنقرة : عاصمة الدولة التركية اليوم .

(27) حربتني : سلبتني مالي .

إذا مـــا جمعنـــا صِـــرمةً بعـــد هجمـــةٍ تكون علينا كابن أمّك أسودا[28]

فقلـت ولـم أعـيَ الجـوابَ : تـأمَّلي أكان هُزالاً حَتفُ زيدٍ وأربدا

أريـنـــي جـــواداً مـــات هُـــزلاً لعلَّنـــي أرى ما ترَين أو بخيلاً مُخلَّدا

ذَريـنـــي أكـــن للمـــال ربَّـــاً ولا يكـــن لي المالُ ربَّاً تحمدي غِبَّه غدا

ذريـنـــي فـــلا أعيـــا بمـــا حـــلَّ ســـاحتي أسودُ فأُكفى أو أطيع المُسَوَّدا

ذريـنـــي يكـــن مـــالي لعِرضـــي وِقايـــةً يَقي المالُ عِرضي قبل أن يتبدَّدا

أجـــارةَ أهلـــي بالقصـــيمة لا يكـــن عليَّ –ولم أظلم– لسانُكِ مِبرَدا[29]

(ج1/ص295)

الناس معادن

– دخل أرطأة بن سهيَّة على عبد الملك بن مروان ، فاستنشده شيئاً مما كان يناقض به شبيب بن البرصاء ، فأنشده :

أبـي كـان خيـراً مـن أبيـك ولـم يـزل جنيبـــاً لآبـــائي وأنـــت جنيـــبُ[30]

فقال له عبد الملك بن مروان : كذبتَ ، شبيبٌ خيرٌ منك أباً . ثم أنشده :

ومـا زلـتُ خيـراً منـك مـذ عـضَّ كارهـاً برأســك عــاديُّ النِّجــاد رســوب[31]

فقال له عبد الملك : صدقتَ ، أنت في نفسك خيرٌ من شبيب . فعجب من عبد

---

(28) الصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين ، والهجمة : أربعون من الإبل إلى سبعين فما دون المائة ، فإذا بلغت المائة فهي الهنيدة .

(29) القصيمة : الرملة التي تنبت الغضى .

(30) الجنيب : الطائع المنقاد .

(31) النجاد : حمائل السيف . وعادي النجاد : سيف قديم ، كأنه لقدمه أدرك زمن عاد . والرسوب : الماضي الذي يغيب في الضريبة ويرسب .

الملك مَن حضر ومِن معرفته مقادير الناس على بُعدهم منه في بواديهم ، وكان الأمر على ما قاله كان شبيب أَشرفَ أباً من أرطاة ، وكان أرطاة أشرفَ فعلاً ونفساً من شبيب .

(ج1/ص297)

رأيت المرء تأكله الليالي !

– دخل أرطأة بن سهيَّة على عبد الملك بن مروان ، فقال له : كيف حالك يا أرطأة ؟ –وكان قد أسنّ– فقال : ضعفتْ أوصالي ، وضاع مالي ، وقلَّ منّي ما كنت أحبّ كثرته ، وكثر مني ما كنت أُحبّ قلّته . قال : فكيف أنت في شعرك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أطربُ ولا أغضب ولا أرغبُ ولا أرهب ، وما يكون الشعر إلاّ من نتائج هذه الأربع ، وعلى أني القائل :

رأيــــتُ المـــــرءَ تأكلـــه الليـــالي كأكـــل الأرض ســـاقطةَ الحديـــدِ
ومـــا تبغـــي المنيَّـــةُ حـــين تـــأتي علـــى نفـــس ابـــن آدم مـــن مزيـــدِ
وأعلـــمُ أنهـــا ســـتكُرُّ حتـــى تُـــوَفّي نـــذرها بـــأبي الوليـــدِ

فارتاع عبد الملك ثم قال : بل توّفي نذرها بك ويلك ! ما لي ولك ؟ فقال : لا تُرَع يا أمير المؤمنين ، فإنَّما عنيتُ نفسي –وكان أرطأة يُكنى أبا الوليد– فسكن عبد الملك ، ثم استعبر باكياً وقال : أما والله على ذلك لَتُلِمَّنَّ[32] بي .

(ج1/ص297–298)

(32) لتلمن بي : لتنزلن بي .

وكل امرئ يوماً سيلقى حمامه

– كان الأبيرد (الرياحي) قد رثى أخاه بريداً ، وكان قد حزن عليه حزناً شديداً ، وامتنع عن الطعام والشراب أياماً حتى قالوا له : إنك إن أقمت على هذا الفعل تلفت ؛ فاتق الله ، فإن أخاك قد ذهب . فكأنه تعزى ، فأكل وشرب ، وقال يرثيه :

تطاول ليلي لم أنمه تقلباً ... كأن فراشي حال من دونه الجمرُ

أراقب من ليل التمام نجومه ... لدُنْ غاب قرنُ الشمس حتى بدا

تذكرت قَرماً بان منا بنصره ... الفجرُ[33]

فإن تكن الأيام فَرّقن بيننا ... ونائله يا حبذا ذلك الذُّكرُ[34]

وكنتُ أرى هجراً فراقَكَ ساعةً ... فقد عذرتنا في صحابتنا العُذُرُ[35]

أحقاً عبادَ الله أنْ لست لاقياً ... ألا لا بل الموتُ التفرّقُ والهجرُ

فتى إن هو استغنى تخرَّق في الغنى ... بريداً طوال الدهر ما لألأ العُفرُ[36]

وسامى جسيمات الأمور فنالها ... فإن قلَّ مالاً لم يؤدْ متنه الفقُرُ[37]

ترى القوم في العزَّاء ينتظرونه ... على العسر حتى أدرك العسرَ اليسرُ[38]

فليتك كنتَ الحيَ في الناس باقيا ... إذا ضل رأيُ القوم أو حَزَب الأمرُ[39]

فتى يشتري حُسن الثناء بماله ... وكنتُ أنا المَيْتَ الذي غيَّب القبرُ

كأن لم يُصاحبنا بُريدٌ بغبطة ... إذا السنةُ الشهباءُ قلَّ بها القَطْرُ[40]

لعمري لنعم المرءُ عالى نعيَّه ... ولم يأتنا يوماً بأخباره السَّفرُ

---

(33) لدن : منذ .

(34) القرم : الفحل ، وهو السيد . بان من البين : وهو البعد . والذكر : التذكر .

(35) العذر : جمع عذير ، كسرير وسرر . والعذير : العاذر .

(36) لألأ العفر : حركت الظباء أذنابها .

(37) تخرق : صار متلافاً .

(38) سامى : بارى فنالها بعد الامتناع .

(39) العزاء : مأخوذ من العزاز ، وهي الأرض الصلبة الصعبة ، وانتقلت مجازاً إلى الشدة .

(40) الشهباء : السنة الشديدة . ويقال : أشهبت السنة القوم : جردت أموالهم .

تمضَّت به الأخبارُ حتى تغلغلتْ ... لنا ابنُ عزيز بعد ما قصر العصرُ[41]

ولما نعى الناعي بُريداً تغوَّلتْ ... ولم تثنه الأطباعُ دوني ولا الْجُدرُ[42]

عساكرُ تغشى النفس حتى كأنني ... بي الأرض فرط الحزن وانقطع الظهرُ[43]

إلى الله أشكو في بُريَدٍ مصيبتي ... أخو سكرةٍ طارت بهامته الخمرُ[44]

وقد كنت أستعفي الإله إذا شكا ... وبثي وأحزاناً تضمَّنها الصدرُ

وما زال في عينيَّ بِعدُ غشاوةٌ ... من الأجر لي فيه وإن سرني الأجرُ

على أنني أقنى الحياءَ واتَّقي ... وسمعي عما كنت أسمعه وقرُ[45]

فحياك عني الليل والصبح إذ بدا ... شماتة أعداءٍ عيونُهم خُزرُ[46]

سقى جَدَثاً لو أستطيع سقيتهُ ... وهُوج من الأرواح غُدوتها شهرُ[47]

ولا زال يرعى من بلاد ثوى بها ... بأودٍ فروَّاه الروافدُ والقطرُ[48]

حلفتُ برب الرافعين أكفَّهم ... نباتٌ إذا صاب الربيع بها نضرُ[49]

ومجتمعِ الحجاجِ حيث توافقت ... وربِّ الهدايا حيث حلَّ بها النحرُ

يمين امرىءٍ آلى وليس بكاذب ... رفاقٌ من الآفاق تكبيرُها جأرُ

لئن كان أمسى ابن المعذَّرِ قد ثوى ... وما في يمين قالها صادقٌ وِزرُ

هو الخلف المعروف والدين والتقى ... بريدٌ لنعم المرءُ غيَّبه القبرُ

أقام فنادى أهلَهُ فتحمَّلوا ... ومسعرُ حربٍ لا كهامٌ ولا غُمرُ[50]

---

(41) عالى : رفع الصوت به . والنعي : خبر الموت .

(42) الأطباع : جمع طبع ، وهو النهر .

(43) تغولت : كادت تميد بي .

(44) العساكر : الشدائد .

(45) الوقر : الصمم .

(46) أقنى الحياء : يقال : قني الحياء قنواً ، كرضي ورمى : لزمه . كأقنى واقتنى وقنى . الخزر : كسر العين خلقة ، أو ضيقها .

(47) الهوج : الشديدة . والأرواح : جمع روح : الرياح العاصفة .

(48) أود بفتح الهمزة وضمها : مكان .

(49) ثوى : أطال الإقامة أو نزل .

(50) مسعر حرب : مثيرها . والكهام : الكليل . والغمر : الذي لم يجرب الأمور .

فتى كان يغلي اللحم نيئاً ولحمهُ ... وصُرِّمت الأسبابُ واختلطَ النَّجرُ[51]
فتى الحي والأضياف إنْ رَوَّحَتْهم ... رخيص لجاديه إذا تنزل القدرُ[52]
إذا جارةٌ حلَّتْ لديه وفى بها ... بَليلٌ وزادُ السَّفْرِ إنْ أرملَ السَّفْرُ[53]
عفيفٌ عن السوآتِ ما التبست بهِ ... فآبت ولم يُهتك لجارته سِتْرُ
سلكتَ سبيلَ العالمين فما لهم ... صليبٌ فما يُلفى لعودٍ به كَسْرُ
وكل امرىءٍ يوماً سيلقى حِمامَهُ ... وراء الذي لاقيت مَعدىً ولا قصرُ[54]
وأبليتَ خيراً في الحياة وإنما ... وإن نأت الدعوى وطال به العمرُ
ثوابك عندي اليوم أن ينطقَ الشِّعرُ

(ج1/ص305-208)

تفهَّم أيها الرجل الجهول

- قال أُحيحة بن الجلاح :

تَفَهَّمْ أَيُّها الرَجُلُ الجَهولُ ... وَلا يَذهَبْ بِكَ الرَأيُ الوَبيلُ
فَإِنَّ الجَهلَ مَحمِلُهُ خَفيفٌ ... وَإِنَّ الحِلمَ مَحْمِلُهُ ثَقيلُ
لَعَمرُ أَبيكَ ما يُغني مَقامي ... مِنَ الفِتيانِ رائحةٌ جهولُ
نَؤومُ ما تَقلَّصَ مُستَقلاً ... على الغايات مَضجَعُهُ ثَقيلُ
تَبُوعٌ لِلحَليلَةِ حَيثُ حلَّتْ ... كَما يَعتادُ لَقحَتَهُ الفَصيلُ
إِذا ما بِتُّ أَعصِبُها فَباتَت ... عَلَيَّ مَكانَها الحُمّى النَسولُ

(51) صرمت : بالبناء للمجهول : قطعت . النجر : الأصل .
(52) يغلي اللحم : يشتريه غالياً . الرخيص : أراد به المبلول . الجادي : طالب الجدوى ، وهي العطاء .
(53) روحتهم : هبت عليهم . البليل : ريح باردة مع ندى . وزاد السفر : هو أن يقوم المرء بزاد المسافرين الذين لم يحضروا طعاماً . والسفر : بسكون الفاء ، هم المسافرون . أرمل : نفذ زاده .
(54) معدى : مصرف أو مجاز .

لَعَـــلَّ عِصـــابَها يَبغيـــكَ حَرْبـــاً وَيـــأَتيهِم بِعَورَتِـــكَ الـــدَليلُ
وَقَـــد أَعـــدَدتُ لِلحَـــدَثانِ أصـــلاً لَـــوَ اَنَّ المَـــرءَ يَنفَعُـــهُ العُقـــولُ

(ج1/ص319)

أحبك حُبَّيْن

– قال آدم بن عبد العزيز :

أُحبُّـــكَ حُبَّـــيْنِ ، لـــي واحـــدٌ وآخـــر أنـــك أهـــلٌ لِـــذاكَ
فأمـــا الـــذي هـــو حُـــبُّ الطِّبـــاعِ فشـــيءٌ خُصصـــتَ بـــه عَمَّـــنْ ســـواكَ
وأمـــا الـــذي هـــو حـــبُّ الجمـــال فلســـــتُ أرى ذاك حتـــــى أراكَ
ولســـت أمـــنُّ بهـــذا عليـــك لـــك المـــنُّ فـــي ذا وهـــذا وذاكَ

(ج1/ص343)

وإنَّ الجهلَ للأحساب غول

– لما أثرى أبو عطاء (أفلح السندي) أعنَتَه مولاه عَنبرُ بن سماك الأسديّ حتى ابتاع نفسه منه ، فقال يهجوه :

إذا مـــا كنـــتَ مُتخـــذاً خلـــيلاً فـــلا تَـــثقَنْ بكـــلِّ أخـــي إخـــاء
وإن خُيِّـــرْتَ بيـــنهمُ فالصَـــقْ بأهـــل العقـــل مـــنهم والحيـــاء
فـــإن العقـــل لـــيس لـــه إذا مـــا تُـــذُوكرتِ الفضـــائلُ مـــن كِـــفاء[55]

(55) الكفاء : المجازاة ، ويراد هنا أنه لا شيء يقوم به ويعدله .

وإن النَّـــوْكَ للأحســـاب غُـــول بـــه تـــأوي إلـــى داء عَيـــاء[56]
فـــلا تَـــثِقن مـــن النَّـــوْكى بشـــيءٍ ولـــو كـــانوا بنـــي مـــاء الســـماء[57]

(ج1/ص367)

بغلُ أبي دلامة !

– كان سببُ هجاءِ أبي دُلامة بغلتَهُ ، أن أبا عطاء السندي هجاها ، فخاف أبو دلامة أن تشتهر بذلك ، فباعها وهجاها بقصيدته المشهورة ، وأبيات أبي عطاء فيها :

أبَغْـــلَ أبـــي دُلامـــةَ مُـــتِّ هَـــزْلاً عليـــــه بالســـــخاء تُعَوِّلينـــــا
دَوَابُ النـــاس تَقْضِـــم فـــي المخـــالي وأنـــــتِ مُهانـــــةٌ لا تَقضِـــــمينا
ســـليهِ البيـــعَ واســـتعْدي عليـــه فإنـــــك إنْ تُبـــــاعي تَســـــمنينا

(ج1/ص371)

بل أرسل حكيماً وأوصه

– قال حماد الراوية :أنشدت أبا عطاء السندي يوماً هذا البيت :

إذا كنـــت فـــي حاجـــة مُرســـلا فأرســـــلْ حكيمـــــاً ولا تُوصِـــــهِ

قال أبو العطاء : بئس ما قال . فقلت : كيف تقول أنت ؟ قال : أقول :

إذا أرســـلتَ فـــي أمـــرٍ رســـولاً فَأفهِمـــــهُ وأرسِـــــله أديبـــــا

(56) الغول من معانيه : الداهية . والنوك : الجهل .

(57) ماء السماء : من أجداد ملوك الحيرة .

وإنْ ضَـــيَّعتَ ذاكَ فـــلا تَلُمْـــهُ علـــى أن لـــمْ يَكـــنْ عَلِـــمَ الغُيُوبـــا

(ج1/ص371)

لكلِّ همٍّ من الهموم سَعَة

– قال الأضبطُ بن قريع :

لِكُـــلِّ هَـــمٍّ مِـــنَ الهُمـــومِ سَـــعَة وَالصُـــبحُ وَالْمســـيُ لا بقـــاء مَعَـــهْ
لا تحقـــــرَنَّ الفقيـــــرَ علَّـــــك أن تركـــع يومـــاً والـــدهرُ قـــد رَفَعَـــهْ
وَصِـــلْ حِبـــالَ البَعيـــدِ إن وَصَـــلَ الـــ حَبـــلَ واقـــصِ القَريـــبَ إنْ قَطَعَـــهْ
قَـــد يَجمَـــعُ المـــالَ غَيـــرُ آكِلِـــهِ وَيَأكُـــلُ المـــالَ غَيـــرُ مَـــنْ جَمَعَـــهْ
مـــا بـــالُ مَـــن غَيَّـــه مُصِـــيبُكَ لـــو يَملِـــكُ شَـــيئاً مِـــن أَمـــرِهِ وَزَعَـــهْ[58]
حَتّـــى إذا مـــا اِنجَلَـــت غوايَتُـــهُ أَقبَـــلَ يَلحَـــى وَغَيُّـــهُ فَجَعَـــهْ[59]
أَذودُ عَـــن نفســـهِ وَيَخـــدعني يـــا قَـــومِ مَـــن عـــاذِري مِـــنَ الْخُدَعَـــهْ
فَاقبَـــلْ مِـــنَ الـــدَهرِ مـــا أَتـــاكَ بِـــهِ مَـــن قَـــرّ عَينـــاً بَعَيشِـــهِ نَفَعَـــهْ

(ج1/ص374–375)

أتصبر للبين أم تجزع ؟

(58) غيه ، هنا : خيبته وحرمانه ، ووزعه : كفه ، ورويت : ما بال من سره مصابك . ورويت : لا يملك . وخطأها صاحب (الخزانة) .

(59) الغي : الضلال .

– قال أشجع بن عمرو السَّلمي :

أتصـــــبِرُ للبـــــينِ أم تَجـــــزَعُ فـــــإنَّ الـــــديارَ غـــــداً بَلقَـــــعُ
غـــــداً يتفـــــرَّق أهـــــلُ الهـــــوى ويكثـــــر بـــــاكٍ ومُســـــترجِعُ

(ج1/ص383)

رأيتك لا تستلذ المطال

– قال أشجع بن عمرو السلمي :

رأيتُـــــك لا تســـــتلذُ المَطـــــالَ وتُـــــوفي إذا غـــــدر الخـــــائِنُ
فَمـــــاذا تُـــــؤَخِّر مـــــن حـــــاجتي وأَنـــــت لتعجيلهـــــا ضـــــامِنُ
ألـــــم تـــــر أَنَّ احتبـــــاس النَّـــــوالِ لمعـــــروف صـــــاحبه شـــــائِنُ

(ج1/ص386)

عِزُّ الفقر وهوانُ الثراء !

– قال أشجع بن عمرو السَّلمي :

رُوَيـــــدَك إِنَّ عِـــــزَّ الفقـــــر أَدنـــــى إِلَـــــيَّ مِـــــنَ الثَـــــراءِ مـــــع الْهَـــــوانِ
ومـــــاذا تَبلـــــغ الأيـــــام مِنـــــي بِرَيـــــب صُـــــروفِها ومعـــــي لســـــاني

(ج1/ص386)

قد جدَّ بي سهرٌ فلم أرقد له !

– قال أشجع بن عمرو السَّلمي :

غَلَبَ الرُّقادُ عَلى جُفونِ الْمُسهَدِ وَغَرِقتُ في سَهرٍ وَلَيلٍ سَرمَدِ
قَد جَدَّ بي سَهَرٌ فَلَم أَرقُد لَهُ وَالنَومُ يَلعَبُ في جُفونِ الرُّقَّدِ
وَلَطالَما سَهِرَتْ بِحُبّي أَعْيُنٌ أُهدي السُهادَ لَها وَلَمّا أَسهَدِ
أَيّامَ أَرعى في رِياضِ بَطالَةٍ وِرْدَ الصِبا مِنها الَّذي لَم يورَدِ
لَهوٌ يُساعِدُهُ الشَبابُ وَلَم أَجِد بَعدَ الشَبيبَةِ في الهَوى مِن مُسعِدِ[60]

(ج1/ص390)

بديهته وفكرته سواء

– قال أشجع بن عمرو السَّلمي :

بديهتُهُ وفكرتُهُ سواءٌ إذا ما نابه الخطبُ الكبيرُ
وأحزَمُ ما يكون الدهرَ رأياً إذا عيَّ المُشاوِرُ والْمُشيرُ
وصدر فيه للهَمِّ اتساعٌ إذا ضاقت بما تحوي الصُدورُ

(ج1/ص394)

ما لا يكون فلا يكون بحيلة

(60) مسعد : معين .

- قال أبو عيينة بن محمد :

مـــا لا يكـــون فـــلا يكـــون بحيلـــةٍ أبـــدًا ، ومـــا هـــو كـــائنٌ فيكـــونُ
ســـيكون مـــا هـــو كـــائنٌ فـــي وقتـــه وأخـــو الجهالـــة مُتعـــبٌ محـــزونُ
يســـعى القـــويُّ فـــلا ينـــال بســـعيه حظـــاً ، ويحظـــى عـــاجزٌ ومَهـــينُ

(ج2/ص7)

لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة

- قال أبو عيينة بن محمد :

لـــو كنـــتُ أعـــرف فـــوق الشـــكْر منـــزلةً أوفـــى مـــن الشـــكر عنـــد الله فـــي الـــثَّمنِ
أخلصـــتُها لـــك مـــن قلبـــي مُهذَّبـــةً حَـــذواً علـــى مِثـــل مـــا أوليـــتَ مـــن حَسَـــنِ

(ج2/ص8)

جسمي معي غير أن الروح عندكم !

- قال أبو عيينة بن محمد :

جســـمي معـــي غيـــرَّ أنَّ الـــروحَ عنـــدكمُ فـــالروحُ فـــي وطـــنٍ والجســـم فـــي وطـــنِ
فَلْيعجـــبِ النـــاسُ منـــي أن لـــي جســـداً لا روحَ فيـــه ولـــي روحٌ بـــلا بـــدنِ

(ج2/ص8)

زمانٌ أعلامه سفلة

– قال عبد الله بن محمد أبي عيينة :

قـــد أصـــبح النـــاس فـــي زمـــانٍ أعلامُـــــه السِّـــــفْلةُ الشِّـــــرارُ
يَســـــتأخِر الســـــابقُ المـــــذكِّي فيـــــه ، ويَســـــتقدِم الحمـــــارُ
ولـــيس للمـــرء مـــا تمنّـــى يومـــاً ، ومـــا إنْ لـــه اختيـــارُ
مـــا قـــدَّر الله فهـــو آتٍ وفـــي مقـــاديره الخِيـــارُ

(ج2/ص9)

مَنْ تاهَ واحدةً فَتِهْ عَشْراً !

– كتب إبراهيم (بن أبي محمد اليزيدي) إلى بعض أصحابه ، وقد رأى منه جفوة ، ثم عاد واستصلحه فكتب إليه :

مَـــن تـــاه واحـــدةً فَتِـــهْ عَشـــراً كـــي لا يجـــوز بنفســـه القَـــدْرا
وإذا زهـــا أحـــدٌ عليـــكَ فكـــن أَزَهـــى عليـــه ولا تكـــن غمـــرا[61]
أرأيـــتَ مَـــنْ لـــم تـــرجُ منفعـــةً منـــه ولـــم تحـــذرْ لـــه ضـــرَّا
لـــم تُســـترَكَّ وتســـتذلَّ لـــه بـــل كـــن أشـــدَّ إذا زهـــا كِبـــرا[62]

(ج2/ص12)

(61) الغمر : من لم يجرب الأمور .

(62) استركه : استضعفه .

لو لم يكن ذنبٌ لما عُرف العفو

- قال إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي :

أنـا المـذنب الخطَّـاء والعفـو واسـعٌ ... ولـو لـم يكـن ذنـبٌ لمـا عُـرِفَ العفـوُ
ثملـتُ فأبـدتْ منـيَ الكـأسُ بعـضَ مـا ... كرهـتُ ومـا أن يسـتوي السُّـكرُ والصـحوُ
ولـولا حُمَيَّـا الكـأسِ كـان احتمـالُ مـا ... بـدهَتْ بـه لا شـك فيـه هـو السَّـرْوُ(63)
ولا سـيما إذ كنـت عنـد خليفـةٍ ... وفـي مجلـسٍ مـا إن يجـوز بـه اللغـوُ
تنصَّـلتُ مـن ذنبـي تنصـل ضـارعٍ ... إلـى مـن لديـه يغفـر العَمَـدُ والسـهوُ

(ج2/ص12)

شوقي إليك على الأيام يزداد !

- قال أحمد بن محمد اليزيدي :

شـوقي إليـك علـى الأيـام يـزدادُ ... والقلـبُ مُـذْ غبـت للأحـزان معتـادُ
يـا لهـف نفسـي علـى دهـر فُجِعْـتُ بـهِ ... كـأنَّ أيامَـه فـي الحسـنِ أعيـادُ

(ج2/ص15)

(63) السرو : الفضل ، والسخاء في المروءة .

أَتجيبني بخلاف ما أمَّلْتُه ؟ !

- قال أحمد بن محمد اليزيدي :

يـــا مـــن شـــكوتُ إليـــه مـــا ألقـــاهُ ... وبـــذلتُ مـــن وجـــدي لـــه أقصـــاهُ
فأجـــابني بخـــلاف مـــا أمَّلتُـــه ... ولربمـــا مُنِـــعَ الحـــريصُ مُنـــاهُ
أتُـــرى جمـــيلاً أن شـــكا ذو صَـــبوةٍ ... فهجرتَـــه وغضْـــبتَ مـــن شـــكواهُ
يكفيـــك صـــمتٌ أو جـــوابٌ مـــؤيسٌ ... إن كنـــتَ تكـــره وصْـــله وهـــواهُ
مـــوتُ المحـــبِ ســـعادةٌ إن كـــان مـــن ... يهـــــواه يـــــزعمُ أن ذاك رِضـــــاهُ

(ج2/ص16)

لا تُؤَيسنَّك من كريم نَبوةٌ

- قال إبراهيم بن المدبر :

لا تؤْيِسَـــنَّك مـــن كـــريم نَبْـــوةٌ ... فالســـيف ينبـــو وهـــو عضْـــب بـــاترُ
هـــذا الزمـــانُ تســـومني أيامُـــه ... خَســـفاً وهـــا أنـــذا عليـــه صـــابرُ
إن طـــال ليلـــي فـــي الإســـار فطالمـــا ... أفنيـــتُ دهـــراً ليلُـــه متقاصِـــرُ
والحـــبس يَحجبنـــي وفـــي أكنافـــه ... منِّـــي علـــى الضَّـــرَّاء ليـــثٌ خـــادرُ
عجبـــاً لـــه كيـــف التقـــتْ أبوابُـــه ... والجـــودُ فيـــه والربيـــعُ البـــاكرُ
هـــلا تَقطَّـــعَ أو تصـــدَّعَ أوْ وَهَـــى ... فعَذرتُـــه لكنـــه بـــيَ فـــاخرُ ؟!

(ج2/ص46-47)

تصدَّقَ بنعله وانصرفَ حافياً

– حكى سوَّار بن أبي شراعة عن أبيه : أنه كان جواداً لا يُليق شيئاً ، ولا يُسأل ما يَقدِر عليه إلاّ سمح به ، وأنه وقف عليه سائل يوماً فرمى إليه بنعله وانصرف حافياً ، فعثر فدميتْ إصبعُه ، فقال في ذلك :

ألا لا أُبالي في العُلا ما أصابني ... وإن نَقِبتْ نعلاي أو حَفيتْ رجلي[64]

فلم ترَ عيني قطُّ أحسنَ منظراً ... من النَّكْبِ يَدْمَى في المواساة والبذلِ[65]

ولست أبالي مَنْ تأوَّبَ منزلي ... إذا بقيت عندي السراويلُ أو نعي

(ج2/ص64-65)

– وقال أيضاً :

لَئِنْ كنتَ في الفتيان آلَوْتَ سيّداً ... كثيرَ شحوبِ اللونِ مختلفَ العَصْبِ

فما لك من مولاك إلا حِفاظُهُ ... وما المرءُ إلا باللسان وبالقلْبِ

هما الأصغران الذائدان عن الفتى ... مكارهَهُ والصاحبان على الخطْبِ

فإلا أُطِقْ سعيَ الكرام فإنني ... أفكُّ عن العاني وأصبرُ في الحرْبِ

(ج2/ص65)

قد كان عتبك مرة مكتوماً !

– قال أحمد بن يوسف الكاتب :

---

(64) نقبت النعل : تخرقت .

(65) النكب : مصدر نكبت الحجارة رجله : أصابتها وخدشتها .

قـــد كـــان عتبُـــك مـــرَّةً مكتومـــا فـــالآن أصـــبح ظـــاهراً معلومـــا
نـال الأعـادي سُـــــؤْلَهـم لا مُتِّعـوا لمـــا رأونـــا ظاعنـــاً ومُقيمـــا
واللهِ لـــو أبصـــرتني لوجـــدتني والـــدمع يجـــري كالْجُمـــانِ ســـجوما
هبنـــي أســـأتُ فعـــادةٌ لـــك أن تُـــرى مـــتـــطِّـــولاً مـــتـــجـــاوزاً مـــظـــلـــوما

(ج2/ص67-68)

ما ذقت بعدك لا نوماً ولا وسنا !

- قال أحمد بن يوسف الكاتب :

يـــا ســـيِّداً فَقْـــدُه أغـــرى بـــيَ الْحَزَنـــا مـــا ذُقـــتُ بعـــدك لا نومـــاً ولا وســـنا
لا زلـــتُ بعـــدك مطويّـــاً علـــى حُـــرَقٍ أشْـــنى الْمُقـــامَ وأشـــنى الأهـــلَ والوطنـــا
ولا أرى حســـــناً تبـــــدو محاســـــنُه إلاّ تـــذكرتُ شـــوقاً وجهـــكَ الحســـنا

(ج2/ص68)

قلبي مع الظاعنين حزينُ

- قال أمية بن أبي عائذ العمري :

ألا إنّ قلبـــــي مـــــع الظاعنينـــــا حـــــزينٌ فمـــــن ذا يُعَـــــزّي الحزينـــــا
فيـــا لـــكِ مـــن روعـــةٍ يـــوم بـــانوا بمـــــن كنـــــت أحســـــب ألاَّ يَبينـــــا

(ج2/ص78)

بثَّ النوال ولا تمنعك قلته

- قال بشار بن برد :

إنَّ الكـــريمَ ليُخْفـــي عنـــك عُســـرَتَهُ حتَّـــى تـــراه غنيّـــاً وهـــوَ مجهـــودُ
إِذَا تَكَرَّهْـــتَ أَنْ تُعْطِـــي الْقَلِيـــلَ وَلَـــمْ تَقْـــدِرْ عَلَـــى سَـــعَةٍ لـــم يَظْهَـــرِ الْجُـــودُ
أَوْرِقْ بِخَيـــرٍ تُرَجَّـــى للنَّـــوَال فَمَـــا تُرَجـــى الثمـــارُ إذا لـــم يُـــورقِ العـــودُ
بُـــثَّ النَّـــوَالَ ، وَلاَ تَمْنَعْـــكَ قِلَّتُـــهُ فكـــلُّ مـــا ســـدَّ فقـــراً فهـــو محمـــودُ

(ج2/ص151)

وأي الناس تصفو مشاربه ؟

- قال بشار بن برد :

إذا كنـــتَ فـــي كـــل الأمـــورِ مُعاتبـــاً صـــديقَكَ ، لـــم تَلـــقَ الـــذي لا تُعاتِبُـــهْ
فَعِـــشْ واحـــداً أو صِـــلْ أخـــاك فإنـــه مُقـــارِفُ ذنـــبٍ مَـــرَّةً ومُجانِبُـــهْ[66]
إذا أنـت لـم تشـرب مِـراراً علـى القـذى ظمئـتَ ، وأَيُّ النـاسِ تصـفو مشـارُبهْ ؟!

(ج2/ص152)

(66) مقارف ذنب : مخالطه ومرتكبه ، من قارف الخطيئة : إذا خالطها .

بعيدُ الثرى لا يُبْلَغُ قَعْرُهُ

– سأل معاوية بن أبي سفيان ليلى الأخيلية عن توبةَ بنِ الْحُمَيِّر فقال : ويحك يا ليلى! أكما يقول الناس كان توبة ؟ .

قالت : يا أمير المؤمنين ، ليس كل ما يقول الناس حقاً ، والناس شجرةُ بغيٍ يحسدون أهل النعم حيث كانوا ، وعلى من كانت . ولقد كان يا أميرَ المؤمنين سَبطَ البنان ، حديدَ اللسان ، شجاً للأقران ، كريمَ المخبر ، عفيفَ المئزر ، جميلَ المنظر ، وهو يا أميرُ المؤمنين كما قلتُ له .

قال : وما قلتِ له ؟

قالت : قلتُ ولم أتعدَ الحقَّ وعلمي فيه :

بَعيـدُ الثَّـرَى لا يَبْلُـغُ القَـوْمُ قَعْـرَهُ ... أَلَـدٌّ مُلِـدٌ يغلـبُ الحـقَّ باطِلُـهْ[67]

إذا حـلَّ رَكْـبٌ فـي ذراه وظِلِّـه ... ليمْـنعهم ممـا تُخـاف نَوازِلُـهْ

حماهم بنَصل السيف من كل فادحٍ ... يخافونـه حتـى تمـوتَ خَصـائلُهْ[68]

فقال لها معاوية : ويحك! يزعم الناس أنه كان عاهراً خارباً . ف

قالت من ساعتها :

مَعـاذَ إلهـي كـانَ واللّـهِ سَـيِّداً ... جَـواداً عَلـى العِـلاّتِ جَمّـاً نوافِلُـهْ[69]

أَغَـرَّ خَفاجيـاً يَـرى البُخْـلَ سُـبَّةً ... تَحَلَّـبُ كَفّـاهُ النَّـدى وأَنامِلُـهْ[70]

عَفِيفـاً بعِيـدَ الهـمِّ صُـلْباً قناتُـهُ ... جمـيلاً مُحَيَّـاهُ قَلِـيلاً غوائِلُـهْ

وكـانَ إذا مـا الضَّـيْفُ أرْغـى بَعِيـرَهُ ... لَدَيْـهِ أَتتـهُ وسـعُهُ وفَواضِـلُهْ

وقَـدْ عَلِـمَ الجـوعُ الـذي بـاتَ سـارِياً ... عَلـى الضَّـيفِ والجيـرانِ أَنَّـكَ قاتلُـهْ

---

(67) الألد : الكثير الجدل والخصومة . ومُلِدٌّ : إذا عسرت عليه في الخصومة .

(68) الفادح هنا : الخطب من خطوب الدهر . الخصائل : جمع خصيلة ، وهي كل لحمة فيها عصب .

(69) على العلات : أي : على كل حال من عسره ويسره .

(70) خفاجي : منسوب إلى خفاجة ، وهو من آباء توبة .

وأَنَّـكَ رَحْـبُ البـاعِ يـا تَـوْبُ بـالقِرى إذا مـا لئـيمُ القَـوْمِ ضـاقَتْ منازِلُـهْ
يَبِيـتُ قَرِيـرَ العَـيْنِ مَـنْ بـاتَ جـارُهُ ويُضْـحي بخَيْـرٍ ضَـيْفُهُ ومُنازِلُـهْ

فقال لها معاوية : ويحك يا ليلى! لقد جُزتِ بتوبة قَدره !.

فقالت : والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وخبرتَه لعرفتَ أني مقصِّرة في نعته وأني لا أبلغ كُنهَ ما هو أهله .

فقال لها معاوية : من أي الرجال كان ؟

قالت :

أَتَتْـهُ المَنايـا حِـينَ تـمَّ تَمامُـهُ وأَقْصَـرَ عنـه كُـلُّ قِـرْنٍ يُطاولُـهْ
وكـانَ كليـثِ الغـابِ يَحْمـي عَرِينَـهُ وتَرْضَـى بِـهِ أَشْـبالُهُ وحَلائِلُـهْ
غَضُـوبٌ حَلِـيمٌ حـين يُطلَـب حِلْمُـهُ وسُـمٌّ زُعـافٌ لا تُصـابُ مَقاتِلُـهْ

قال : فأمر لها بجائزةٍ عظيمة .

(ج2/ص225-226)

أميرٌ فعَّالٌ خير من قوَّال

– لما ولي (ثابت بن كعب) –وشهرته بثابت قُطنة ، لأنه فقد عينه في حرب مع الترك فكان يضع عليها قُطنة– عملاً من أعمال خراسان ، صعد المنبر يوم الجمعة ، فرام الكلام ، فتعذر عليه وحُصِرَ ، فقال : ﴿... **سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾ [الطلاق : 7] ، وبعد عيٍّ بياناً ، وأنتم إلى أميرٍ فعَّال ، أحوج منكم إلى أمير قوَّال :

وإلاّ أكـن فـيكم خطيبـاً فـإنني بسـيفي إذا جـدَّ الـوغى لَخطيـبُ

فبلغت كلماته خالد بن صفوان –ويقال : الأحنف بن قيس– فقال : والله ما علا

ذلك المنبر أخطب منه في كلماته هذه ، ولو أن كلاماً استخفني ، فأخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً له لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها ، وهذا الكلام بخالد بن صفوان أشبه منه بالأحنف .

(ج2/ص234-235)

حليمٌ إذا ما الحلم كان مروءةً

- قال ثابت قطنة :

تعفَّفْتُ عن شتم العشيرة إنني وجدتُ أبي قد عفَّ عن شتمها قبلي
حليمٌ إذا ما الحلم كان مروءة وأجهلُ أحياناً إذا التمسوا جهلي

(ج2/ص243)

بم تغلبَ الرجال . . وأنت دميمُ ؟ !

- لقي تأبَّطَ شراً ذات يوم رجلاً من ثقيف ، يقال له : أبو وهب ، وكان جباناً أهوج ، وعليه حلة جيدة ، فقال أبو وهب لتأبط شراً : بم تغلب الرجال يا ثابت ؟ وأنت -كما أرى- دميمٌ ضئيل ! .

قال : باسمي ، إنما أقول ساعةَ ما ألقى الرجل : أنا تأبط شراً . فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت .

فقال له الثقفي : أبهذا فقط ؟!

قال : قط .

قال : فهل لك أن تبيعني اسمك ؟ .

قال : نعم ، فبم تبتاعه ؟ .

قال : بهذه الحلة ، وكنيتي لك .

قال له : أفعل ، ففعل . وقال له تأبط شراً : لك اسمي ، ولي اسمك وكنيتك . وأخذ حلته وأعطاه طمرية ، ثم انصرف وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقفي :

ألا هـل أتـى الحسـناءَ أن حليلَهـا تـأبط شـراً واكْتنيْـتُ أبـا وهـبِ
فهبْـهُ تسـمَّى اسـمي وسَـمَّاني باسـمه فـأين لـه صـبري علـى مُعظـم الْخَطـبِ ؟
وأيـن لـه بـأسٌ كبأسـي وسَـوْرَتي وأيـن لـه فـي كـل فادِحـة قلبـي ؟

(ج2/ص246)

أخو الحزم يُبصرُ القصدَ

- قال ثابت بن جابر «تأبط شراً» :

إذا المـرء لـم يَحتـل وقـد جَـدَّ جَـدُّه أضـاع وقاسـى أمـرَهُ وهـو مُـدبرُ
ولكـنْ أخـو الحـزم الـذي لـيس نـازلاً بـه الأمـرُ إلاّ وهـو لِلقَصـد مبصـرُ
فـذاك قَريـعُ الـدهر مـا عـاش حُـوّلٌ إذا سُـدَّ منـه منخـرٌ جـاشَ منخـرُ

(ج2/ص249)

الجودُ ليس سجيتك !

- قال جرول بن أوس «الحطيئة» :

سُـئِلتَ فلـم تبخـلْ ولـم تُعـطِ طـائلاً فسِـيَّان لا ذمٌ عليـك ولا حمـدُ

وأنــتَ امــرؤُ لا الجــودُ منــكَ ســجيَّةٌ فتُعطي ولا يُعدي على النائل الوُجْدُ[71]

(ج2/ص269)

أصدق بيت قالته العرب

– قال أبو عمرو بن العلاء : لم تقل العرب بيتاً قط أصدق من بيت الحطيئة :

مَــنْ يَفعــلِ الخيــرَ لا يَعــدَمْ جوازيَــهُ لا يَــذهبُ العُــرفُ بــين الله والنــاسِ[72]

فقيل له : فقول طرفة :

ســتُبدي لــك الأيــام مــا كنــتَ جــاهلاً ويأتيــك بالأخبــار مَــن لــم تُــزوِّدِ

فقال : من يأتيك بها ممن زودتَ أكثر ، وليس بيت مما قالته الشعراء إلاّ وفيه مطعن ، إلاّ قولَ الحطيئة :

لا يَذهبُ العُرفُ بين الله والناس

(ج2/ص272)

وتقوى اللهِ خير الزاد ذخرا

– لما حضرت عبيد الله بن شداد الوفاة ، دعا ابنه محمداً وقال له : يا بُني ! ، أرى داعي الموت لا يُقلعُ وبحقٍ أنَّ منْ مضى لا يرجع ، ومن بقي فإليه ينزع . يا بُني ! ، لِيكنْ

(71) الوجد : اليسار والسعة .

(72) جوازيه : جمع جازية : اسم مصدر للجزاء ، كالعافية .

أولى الأمور بك تقوى الله في السر والعلانية ، والشكر لله ، وصِدق الحديث والنية ، فإن للشكر مزيداً ، والتقوى خيرُ زادٍ ، كما قال الحطيئة :

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ ولكنّ التقيَ هو السعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخْراً وعند الله للأتقى مزيدُ
وما لا بدّ أن يأتي قريبٌ ولكن الذي يمضي بعيدُ

(ج2/ص273)

أُذكرْ تحنُّنَنا إليك وشوقنا

- قال أبو عبيدة : إنّ الحطيئة أراد سفراً ، فأتته امرأته وقد قُدِّمت راحلته ليركب ، فقال :

عدي السنين إذا رحلتُ لعودتي وذري الشهورَ فإنهنَّ قِصارُ

- فقالت امرأته :

أُذكرْ تحنُّننا إليكَ وشوقنا واذكرْ بناتِك إنهنَّ صِغارُ

- فقال : حُطوا ، لا رحلتُ لسفرٍ أبداً .

(ج2/ص274)

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا

- قال ابن عيينة : سمعت ابن شبرمة يقول : وأنا والله أعلم بجيِّد الشعر ، لقد أحسن

الحطيئة حيث يقول :

أَقِلـــوُّا عليهـــمْ لا أبـــا لأبيكـــم ... مـن اللوم أو سُـدُّوا المكـانَ الـذي سـدُّوا
أولئـك قـومٌ إن بَنـوا أحسنـوا البُنـا ... و إن عاهـدوا أوفَـوْا وإن عقـدوا شـدُّوا
وإن كانـتِ النَّعمـاءُ فـيهم جَـزَوْا بهـا ... وإن أنعمـوا لا كدَّروهـا ولا كَـدُّوا
وإن قـال مـولاهم علـى جـلِّ حـادثٍ ... مـن الـدهر رُدُّوا فضـلَ أحلامكـم رَدُّوا
مطـاعين فـي الهيجـا مكاشـيف للدجـى ... بنـى لهـمُ آباؤهـمْ وبنـى الجـدُّ

(ج2/ص274-275)

. . ولا تُسمعوا بناتي غناء شبانكم

– روى المفضل أن الحطيئة أقحمته السنة[73] ، فنزل ببني مُقلد بن يربوع ، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : إن هذا الرجل لا يسلم أحد من لسانه ، فتعالوا حتى نسأله عما يحب فنفعله ، وعما يكره فنجتنبه . فأتوه ، فقالوا له : يا أبا مُليكة ! إنك اخترتنا على سائر العرب ، ووجب حقك علينا ، فمُرنا بما تحب أن نفعله ، وبما تحب أن ننتهي عنه ؟ .

فقال : لا تكثروا زيارتي فتملوني ، ولا تقطعوها فتوحشوني ، ولا تجعلوا فناء بيتي مجلساً لكم ، ولا تُسمعوا بناتي غناء شبانكم ، فإن الغناء رُقية الزنا .

فأقام عندهم . فلم يزل مقيماً فيما يرضى حتى انجلت عنه السَّنة ، فارتحل وهو يقول :

جـــاورتُ آلَ مقلَّـــدٍ فحمـــدتُهم ... إذ لـيس كـل أخـي جِـوارٍ يُحمَـدُ
أيـامَ مَـنْ يُـردِ الصـنيعة يصـطنعْ ... فينـا ومَـنْ يُـرد الزهـادة يَزهـدُ

(ج2/ص275)

(73) أقحمته : أوقعته في شدة ومشقة . والسنة : الجدب .

يَعيبُني وأُعِينُه !

- قال الزبرقان بن بدر :

لـــي ابـــنُ عـــمٍّ لا يـــزا ... لُ يَعيبُنـــي ويُعـــينُ عائـــبْ
وأُعِينُـــه فـــي النائبـــا ... ت ولا يُعـــين علـــى النوائـــبْ
تَســـري عقارِبُـــه إِلَيْـــ ... يَ ولا تَـــدِبّ لـــه عقـــاربْ
لاهِ ابـــن عمـــكَ لا يخـــا ... فُ الْمُحزنـــات مـــن العواقـــبْ[74]

(ج2/ص277-278)

الحطيئة والزبرقان

- قال الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر ويناضل عن بغيض بن شماس :

واللهِ مـا مَعْشَـرٌ لامُـوا امْـرءاً جُنُبـاً ... فـي آل لأْيٍ بـنِ شَـمَّاسٍ بأَكْيـاسِ
مـا كـان ذنـبُ بَغِـيضٍ لا أبـا لكُـمُ ... فـي بـائسٍ جـاء يَحْـدُو آخـرَ النـاسِ
لقـد مَـرَيْتُكُم لـو أن دِرَّتَكـم ... يومـاً يَجـيء بهـا مَسْـحِي وإِبْسَاسِـي[75]
وقـد مـدحتُكُم عمـداً لأُرْشِـدكم ... كيمـا يكـون لكـم مَتْحِـي وإِمراسـي
لمـا بـدا لـي مـنكم غيـبُ أنفِسـكم ... ولـم يكـن لجِراحـي فـيكمُ آسـي
أزمعـتُ يأسـاً مُبِينـاً مـن نَـوَالِكُمُ ... ولـن يُـرَى طـارداً للحُـرِّ كالياسِ
جـارٌ لقـومٍ أَطَـالُوا هُـونَ منـزِلِه ... وغـادرُوه مقيمـاً بـينَ أَرْمـاسِ
مَلُّـوا قِـرَاه وهَرَّتْـه كلابُهُـم ... وجَرَّحُـوه بأنيـابٍ وأَضْـراسِ

---

(74) لاه : بمعنى الله .

(75) مريتكم : من مرى الناقة يمريها ، أي : مسح ضرعها . الدرة : اللبن . الإبساس : صوت تسكن به الناقة عند الحلب .

دَعِ المكـــارمَ لا ترحـــلْ لبُغْيتهـــا واقعُـدْ فإنـكَ أنـت الطـاعمُ الكاسِـي
مَـن يَفْعَـلِ الخَيـرَ لا يَعْـدَمْ جَوَازِيَـه لا يـذهبُ العُـرْف بـين الله والنـاسِ
مـا كـان ذنبـي أن فَلَّـتْ مَعَـاوِلَكم مـن آلِ لأْيٍ صَـفَاةٌ أصـلُها رَاسِـي
قـد ناضَـلُوكَ فسَـلُّوا مـن كنَـائِنهم مجـداً تَلِيـداً ونَـبْلاً غيـر أَنْكـاسِ[76]

(ج2/ص279-280)

إياك وهجاء الناس

- قال الحطيئة يستعطف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليطلق سراحه من الحبس الذي ناله بهجائه الزبرقان بن بدر :

مـاذا تقـول لأفـراخٍ بـذي مَـرَخٍ زُغْـبِ الحواصـلِ لا مـاءٌ ولا شـجرُ[77]
ألقيـت كاسـبَهم فـي قَعْـرِ مُظلمـة فـاغفرْ عليـك سـلامُ الله يـا عمـرُ
أنـتَ الإمـامُ الـذي مـن بعـدِ صـاحبه ألقـى إليـك مقاليـدَ النهـى البشـرُ
لـم يـؤثروك بهـا إذْ قـدَّموك لهـا لكـنْ لأنفُسِـهم كانـت بـك الأُثَـرُ
فـامنُنْ علـى صِـبْيَةٍ بالرَّمـل مسـكنُهمْ بـين الأبـاطح تغشـاهم بهـا القِـرُ[78]
أهلـي فـداؤك كـم بينـي وبيـنهم مـن عـرض داويَّـةٍ تعمـى بهـا الْخُبـرُ[79]

فأخرجه وقال له : إياك وهجاء الناس .

(ج2/ص281)

(76) أنكاس : جمع نكس ، وهو أضعف السهام .
(77) ذو مرخ : واد بين فدك والوابشية .
(78) القرر : جمع قرة بالكسر ، وهي البرد .
(79) الداوية والدوية : الفلاة الواسعة .

عمر يشتري أعراض المسلمين

- لما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة ، فاشترى منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم . فقال الحطيئة في ذلك :

وأخذتَ أطرافَ الكلام فلم تَدَعْ شتماً يضرُّ ولا مديحاً ينفعُ

ومنعتني عِرضَ اللئيم فلَم يَخفْ ذمِّي وأصبح آمناً لا يفزَعُ

(ج2/ص283)

الحطيئة يحاور ابن عباس

بينا ابن عباس جالسٌ في مجلس[80] رسول اللّه صلى الله عليه وسلّم بعد ما كُفّ بصره وحوله ناسٌ من قريشٍ ، إذ أقبل أعرابيٌّ يخطر ، وعليه مِطرفٌ وجُبّة وعمامة خزٍّ ، حتّى سلّم على القوم ، فردّوا عليه السّلام .

فقال : يا ابن عمّ رسول اللّه ، أفتني . قال : في ماذا ؟ قال : أتخاف عليَّ جُناحاً إن ظلمني رجلٌ فظلمته ، وشتمني فشتمته ، وقصّر بي فقصّرت به ؟ فقال : العفو خيرٌ ، ومن انتصر فلا جناح عليه .

فقال : يا ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أرأيت امرءاً أتاني فوعدني ، وغرّني ومنّاني ، ثمّ أخلفني واستخفّ بحرمتي ، أيسعني أن أهجوه ؟ .

قال : لا يصلح الهجاء ، لأنّه لا بدّ لك من أن تهجو غيره من عشيرته فتظلم من لم يظلمك ، وتشتم من لم يشتمك ، وتبغي على من لم يبغ عليك ، والبغي مرتعٌ وخيمٌ ، وفي العفو ما قد علمتَ من الفضل .

(80) أي : في المكان الذي كان يجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

قال : صدقت وبررت .

فلم ينشب أن أقبل عبد الرّحمن بن سيحان المحاربيّ حليف قريشٍ ، فلمّا رأى الأعرابيّ أجلّه وأعظمه وألطف في مسألته ، وقال : قرّب اللّه دارك يا أبا مُليكة ، فقال ابن عباسٍ : أجرولٌ ؟ قال : جرولٌ ، فإذا هو الحطيئة ، فقال ابن عباسٍ : للّه أنت ! أيّ مِردى[81] قِذّافٍ ، وذائدٍ عن عشيرةٍ ، ومثنٍ بعارفة تُؤتاها أنت يا أبا مُليكة ! واللّه لو كنتَ عرَكتَ[82] بجنبك بعض ما كرهتَ من أمر الزّبرقان كان خيراً لك ، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك ، وشتمت من لم يشتمك .

قال : إنّي واللّه بهم يا أبا العباس لعالم .

قال : ما أنت بأعلم بهم من غيرك .

قال : بلى واللّه !يرحمك اللّه ! ثمّ أنشأ يقول :

أنا ابنُ بَجدتِهم عِلماً وتجربةً فسَلْ بسعدٍ تجدْني أعلمَ النّاسِ[83]

سعدُ بن زيدٍ كثيرٌ إن عددتَهُمُ ورأسُ سعد بن زيدٍ آلُ شمّاسِ

والزّبرقان ذُنابـاهم وشرّهمُ ليس الذُّنابى أبا العباس كالرّاسِ

فقال ابن عباسٍ : أقسمتُ عليك ألا تقول إلا خيراً . قال : أفعل .

ثمّ قال ابن عباس : يا أبا مُليكة ، من أشعر النّاس ؟ .

قال : أمِنَ الماضين ، أم مِنَ الباقين ؟

قال : من الماضين . قال : الذي يقول :

ومن يجعل المعروفَ من دون عرضِه يَفِرْهُ ومَنْ لا يَتَّقِ الشّتمَ يُشْتَمِ

وما بدونه الذي يقول :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلُمُّه على شَعثٍ أيُّ الرّجال المهذّبُ ؟!

ولكنّ الضّراعة أفسدته كما أفسدت جرولاً –يعني نفسه– ، واللّه يابن عمّ رسول اللّه

---

(81) المردى : في الأصل : حجر يرمى ، ويطلق على الرجل الشجاع ، فيقال : إنه لمردى حروب .

(82) عرك بجنبه ما كان من صاحبة : احتمله .

(83) البجدة : دخلة الأمر وباطنه ، ومن الأمثال : (أنا ابن بجدتها) يقال للعالم بالشيء المتقن له .

صلى الله عليه وسلّم لولا الطّمع والجشع لكنت أشعر الماضين ، فأمّا الباقون فلا تشكّ أنّي أشعرهم وأصردهم[84] سهماً إذا رميت .

(ج2/ص284-286)

من كلام الحطيئة عند الوفاة

– لما حضرت الحطيئةَ الوفاةُ اجتمع إليه قومه فقالوا : يا أبا مُليكة أَوْصِ . فقال : ويلٌ للشعر من راوية السوء . قالوا : أوصِ رحمك الله يا حُطيءُ ، قال : من الذي يقول :

إذا أَنْبَض الرامون عنها تَرَنَّمَتْ ترنُّمَ ثَكْلَى أَوجعتَها الجنائزُ[85]

– قالوا : الشمَّاخ . قال : أبلغوا غطفان أنه أشعرُ العرب ، قالوا : ويحك ! أهذه وصيةٌ ! أوصِ بما ينفعك ! قال : أبلغوا أهل ضابىء[86] أنه شاعر حيث يقول :

لِكلِّ جَديدٍ لذَّةٌ غيرَ أنّني رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذ

– قالوا : أوصِ ويحك بما ينفعك ! قال : أبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعرُ العرب حيث يقول :

فَيَا لَكَ من لَيْلٍ كأنَّ نجومَهُ بكلِّ مُغَارِ الفَتْل شُدَّتْ بِيَذْبُلِ[87]

– قالوا : اتق الله ودعْ عنك هذا ، فقال : أبلغوا الأنصار أن صاحبهم أشعر العرب حيث يقول :

يُغْشَوْنَ حتىّ ما تَهِرُّ كلابُهم لا يَسألون عن السَّوَاد المُقْبِل

---

(84) أصردهم : أنفذهم .

(85) أنبض القوس وأنضبها : جذب وترها لتصوت .

(86) هو ضابئ بن الحارث البرجمي ، ثم اليربوعي الشاعر من تميم .

(87) مغار الفتل : محكمه ، وهو اسم مفعول من أغار الحبل إغارة وغارة : شد فتله . ويذبل : جبل لباهلة .

– قالوا : هذا لا يُغني عنك شيئاً ، فقل غير ما أنت فيه ، فقال :

الشِّـــعْرُ صَـــعْبٌ وطويـــلٌ سُـــلَّمُهْ إذا ارتقَـــى فيـــه الـــذي لا يَعْلَمُـــهْ

زَلَّـــت بـــه إلـــى الحَضِـــيض قَدَمُـــهْ يريـــــدُ أن يعربَـــــه فَيُعْجِمُـــــهْ

– قالوا : هذا مثل الذي كنت فيه ، قال :

قـــد كنـــتُ أحيانـــاً شـــديدَ المعتَمَـــدْ وكنـــتُ ذا غـــربٍ علـــى الخَصْـــمِ أَلَـــدّ[88]

فَوَرَدَتْ نفسي وما كادتْ تَرِدْ[89]

قالوا : يا أبا مُليكة ! ألك حاجة ؟ قال : لا والله ، و لكن أجزع على المديح الجيد يُمدح به من ليس له أهلاً ، قالوا : فمن أشعر الناس ؟ فأومأ بيده إلى فِيهِ وقال : هذا الجحير إذا طمع في خير ، يعني فمه ، واستعبر باكياً ، فقالوا له : قل : لا إله إلا الله ، فقال :

قالـــتْ وفيهـــا حَيْـــدَةٌ وذُعْـــرُ عَـــوْذٌ بِرَبِّـــي مِـــنْكُمُ وحُجْـــرُ[90]

(ج2/ص287-288)

---

(88) الغرب : الحد ؛ ومنه غرب السيف : حده .

(89) يقال : ورد فلان بلد كذا وماء كذا ، إذا أشرف عليه وإن لم يدخله . ولعله يريد من الورود الإشراف على الموت .

(90) حيدة : من حاد عن الشيء ، إذا صد عنه أو نفر خوفاً منه . حجر : أي دفع ومنع ، والعرب تقول عنه الأمر تنكره : حجراً له بالضم ، أي : دفعاً .

من علامات الكريم

– قال جرول بن أوس «الحطيئة» :

متى تأتهِ تعشو إلى ضوء ناره تجدْ خير نار ، عندها خيرُ موقدِ[91]

(ج2/ص290)

بيوتُ الشعر أربعة

– قال محمد بن سلاّم : رأيت أعرابياً من بني أسد أعجَبني ظَرفُه وروايتُه ، فقلت له : أيها عندكم أشعرُ ؟ قال : بيوت الشعر أربعة : فخرٌ ، ومديح ، وهجاء ، ونَسيب ، وفي كلها غلب جرير ، قال في الفخر :

إذا غضبتْ عليك بنو تميم حسِبتَ الناسَ كلَّهم غِضابا

والمديح :

ألستُم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمينَ بطونَ راحِ

والهجاء :

فغضَّ الطَّرفَ إنك من نُميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

والنسيب :

إنّ العيون التي في طرفها حَوَرٌ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

قالوا : أبو عبد الله محمد بن سلاّم : وبيت النسيب عندي :

(91) تعشو : تقصد في الظلام ، ثم اتسع فقيل هل قاصد : عاش .

فلمـــا التقـــى الحيَّـــان ألقيـــتُ العصـــا ومـــات الهـــوى لمـــا أُصـــيبت مقاتلُـــهْ

(ج2/ص292-293)

أأُلامُ على أن يغلبني مثل هذا ؟!

– مرّ راكبٌ بالراعي (واسمه عبيد بن حصين بن معاوية ، وغلب عليه لقب الراعي لكثرة وصفه الإبل في شعره) وهو يغني بيتين لجرير :

وعـــاوٍ عَـــوى مـــن غيرِشـــيءٍ رميتُـــهُ بقارعـــــةٍ أنفاذُهـــــا تقطُـــــرُ الـــــدَّما

خَـــــروجٍ بـــــأفواه الـــــرُّواة كأنهـــــا قَـــــرا هُنـــــدوانيٍّ إذا هُـــــزَّ صَـــــمَّما[92]

فأتبعه الراعي رسولاً يسأله لمن البيتين ؟ قال : لجرير . قال : لو اجتمع على هذا جميع الجن والإنس ما أغنوا فيه شيئاً . ثم قال لمن حضر : ويحكم أأُلام على أن يغلبني مثلُ هذا !

(ج2/ص293)

خبِّرْني بمن أنت فاخر ؟!

– قال أبو عبيدة : التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان ، فقال الفرزدق لجرير :

فإنـــك لاقٍ بالمنـــازل مـــن منـــىً فَخـــاراً فخبِّرنـــي بمـــن أنـــت فـــاخرُ

(ج2/ص298)

(92) الهندواني ؛ بكسر الهاء وتضم : المنسوب للهند .

يا أبتِ . . من أشعر الناس ؟ !

– قال عكرمة بن جرير : قلت لأبي : يا أبت ، من أشعر الناس ؟ فقال : أفي الجاهلية تريد أم في الإسلام ؟ قلت : أخبرني عن الجاهلية . قال : شاعر الجاهلية زهير . قلت : فالإسلام ؟ قال : نبعة الشعر الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يجيد صفة الملوك ، ويُصيب نعت الخمر . قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : دعني فإني نحرت الشعر نحراً .

(ج2/ص299)

جائزتي للعذريِّ يا أمير المؤمنين

– صنع عبد الملك بْن مروان طعاماً فأكثر وأطاب ، ودعا إليه الناس فأكلوا . فقال بعضهم : ما أطيب هذا الطعام ! ما نرى أن أحداً رأى أكثر منه ، ولا أكل أطيب منه . فقال أعرابي من ناحية القوم : أمّا أكثر فلا ، وأما أطيبُ فقد والله أكلت أطيب منه . فطفقوا يضحكون من قوله . فأشار إليه عبد الملك ، فأدنيَ منه . فقال : ما أنت بمحق فيما تقول إلا أن تخبرني بما تبين به صدقك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين . بينا أنا بهجَر[93] في برث[94] أحمر في أقصى حَجر[95] إذ توفي أبي ، وترك كلاً[96] وعيالاً ، وكان له نخل ، وكان فيه نخلة لم ينظر إلى مثلها ، كأن تمرها أخفاف الرباع[97] ، لم يُر تمر أغلظ ولا أصلب ولا أصغر نوى ، ولا أحلى حلاوة منه . وكانت تطرقُها أتان وحشية قد ألفتها ، تأوي بالليل

(93) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بكثرة التمر .

(94) البرث : الأرض اللينة السهلة .

(95) في أقصى حجر ؛ أي : في أبعد ناحية .

(96) الكل : الثقل والعيال .

(97) الرباع : جمع ربع ، كمضر ؛ وهو الفصيل ينتج في الربيع ، وهو أول النتاج .

تحتها ، فكانت تثبت رجليها في أصلها وترفع يديها وتعطو[98] بفيها ، فلا تترك فيها إلا النبيذ[99] والمتفرق . فأعظمني ذلك ووقع مني كل موقع ، فانطلقت بقوسي وأسهمي وأنا أظن أني راجع من ساعتي . فمكثت يوما وليلة لا أراها ، حتى إذا كان السَّحَر أقبلت ، فتهيأتُ لها ، فرشقتها فأصبتها ، وأجهزت عليها ، ثم عمدت إلى سُرتها فاقتددتها[100] ، ثم عمدت إلى حطب جزل فجمعته إلى رضف[101] وعمدت إلى زندي فقدحت النار في ذلك الحطب ، وألقيت سُرَّتها فيه ، وأدركني نوم الشباب ، فلم يوقظني إلا حرَّ الشمس في ظهري ، فانطلقت إليها فكشفتها ، وألقيت ما عليها من قذى ورماد ، ثم قلبت مثل الملاءة البيضاء ، فألقيت عليها من رُطب تلك النخلة المجزعة[102] والمنصِّفة ، فسمعت لها أطيطاً[103] كتداعي عامر وغطفان ، ثم أقبلت أتناول الشحمة واللحمة فأضعها بين التمرتين فأهوي إلى فمي ، فيما أحلف أني ما أكلت طعاماً مثله قط ، فقال له عبد الملك : لقد أكلت طيباً ، فمن أنت ؟ قال : أنا رجل جانبتني عنعنة تميم ، وكشكشةُ أسد ، وكسكسة ربيعة ، وحوشي[104] أهل اليمن ، وإن كنت منهم . قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من أخوالك ، من عذرة . قال : أولئك فصحاء الناس ، فهل لك علم بالشعر ؟ قال : سلني عما بدا لك يا أَمير المؤمنين . قال : أي بيت قالتِ العرب أمدح ؟ قال : قول جرير :

ألستم خير مَن ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راحِ

قال : وجرير في القوم ، فرفع رأسه ، وتطاول لها . ثم قال : أي بيت قالته العرب أفخر ؟ قال : قول جرير:

إذا غضبتْ عليك بنو تميم حَسِبْتَ الناس كلَّهُمُ غِضاباً

---

(98) تعطو : تتناول .

(99) النبيذ : المنبوذ .

(100) اقتد الشيء : قطعه .

(101) الرضف : الحجارة المحماة بالشمس أو النار .

(102) جزع البسر : بلغ الإرطاب نصفه ، ونَصَفَ البسر : أرطب نصفه .

(103) أطيط كل شيء :صوته . وعامر وغطفان : قبيلتان .

(104) الحوشي من الكلام : الغامض .

قال : فتحرك لها جرير . ثم قال له : فأيُّ بيت أهجى ؟ قال : قول جرير:

فغـــض الطـــرف إنـــك مـــن نميـــر فـــلا كعبـــاً بلغـــت ولا كِلابـــاً

قال : فاستشرف لها جرير . قال : فأي بيت أغزل ؟ قال : قول جرير:

إن العيـــون التـــي فـــي طرفهـــا مـــرضٌ قتلننـــا ثـــم لـــم يُحيـــين قتلانـــا

قال : فاهتز جرير وطرب . ثم قال له : فأي بيت قالته العرب أحسن تشبيهاً ؟ قال : قول جرير:

ســـرى نحـــوهم ليـــلٌ كـــأنّ نجومـــه قناديـــلُ فـــيهن الـــذُّبال المفتَّـــلُ

فقال جرير : جائزتي للعذريّ يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : وله مثلها من بيت المال ، ولك جائزتك يا جرير لا ننقص منها شيئاً . وكانت جائزة جرير : أربعة آلاف درهم ، وتوابعها من الحُملان والكسوة ، فخرج العذريّ وفي يده اليمنى ثمانية آلاف درهم ، وفي اليسرى رزمة ثياب .

(ج2/ص299-302)

عمر يقرّب الفقراء ويُباعد الشعراء

– لما استُخلف عمر بن عبد العزيز جاءه الشعراء ، فجعلوا لا يصلون إليه ، فجاء عون بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود وعليه عمامة قد أرخى طرفيها فدخل ، فصاح به جرير :

يـــا أيهـــا القـــارئُ الْمُرْخـــي عِمامَتَـــهُ هـــذا زمانُـــك إنِّـــي قـــد مَضَـــى زَمَنِـــي
أبلِـــغ خليفتَنـــا إن كنـــتَ لاقِيَـــهُ أنِّـــي لَـــدَى البـــابِ كالمَصْـــفودِ فـــي قَـــرَنِ

فدخل على عمر فاستأذن له ، فأدخله عليه ، وقد كان هيأ له شعراً ، فلما دخل عليه

غيَّره وقال :

إنــا لنرجــو إذا مــا الغيــثُ أَخْلَفَنــا ... مــن الخليفــةِ مــا نرجــو مــن المطــرِ
نــال الخلافــةَ إذ كانــت لــه قَــدَراً ... كمــا أَتَــى ربَّــه موســى علــى قَــدَرِ
أَأَذكــر الْجَهــد والبلــوى التــي نزلــت ... أم تَكتفــي بالــذي بُلِّغــت مــن خبــري
مــا زلــتُ بعــدك فــي دارِ تَعَرَّقُنــي ... قد طال بعدَك إصعادي ومُنحدري[105]
لا ينفَــع الحاضــرُ المجهــودُ بادِيَنــا ... ولا يجــود لنــا بــادٍ علــى حَضَــرِ
كــم بالمواسِــم مــن شَــعْثاءَ أَرْمَلــةٍ ... ومــن يَتــيمٍ ضــعيفِ الصــوتِ والبصــرِ
يــدعوك دعــوةَ ملهــوفٍ كــأنَّ بــه ... خَبْلاً مـن الجِـنّ أو مَسّـاً مـن النُّشَـرِ[106]
ممّــن يَعُــدُّك تَكْفِــي فَقْــدَ والــدِه ... كـالفَرْخ فـي العُشِّ لـم يَـنْهَضْ ولـم يَطِـرِ

قال : فبكى عمر ثم قال : يا ابنَ الخطفي ، أمن أبناء المهاجرين أنت فنعرف لك حقهم ؟ أم من أبناء الأنصار فيجب لك ما يجب لهم ؟ أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحب صدقات قومك فيصلك بمثل ما يصل به قومك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أنا بواحد من هؤلاء ، وإني لمن أكثر قومي مالاً ، وأحسنهم حالاً ، ولكني أسألك ما عوَّدَتنيه الخلفاء : أربعة آلاف درهم وما يتبعها من كُسوة وحُملان . فقال له عمر : كل امرئ يلقى فعله ، وأما أنا فما أرى لك في مال الله حقاً ، ولكن انتظر ، يخرج عطائي ، فأنظر ما يكفي عيالي سنة منه فأدَّخره لهم ، ثم إنْ فضَل فضلٌ صرفناه إليك . فقال جرير : لا ، بل يوفر أمير المؤمنين ويُحمد وأخرج راضياً ، قال : فذلك أحبُّ إليّ ، فخرج . فلما ولى قال عمر : إن شر هذا لَيُتَّقى ، رُدُّوه إليّ ، فردوه فقال : إن عندي أربعين ديناراً وخلعتين إذا غُسلت إحداهما لبستُ الأخرى ، وأنا مُقاسمك ذلك ، على أن الله جلَّ وعزَّ يعلم أن عمر أحوج إلى ذلك منك . فقال له : قد وفَّرك الله يا أمير المؤمنين وأنا والله راض . قال : أما وقد حلفت ، فإن ما وفرته علي ولم تضيق به معيشتنا آثر في نفسي من المدح ، فامض مصاحباً ، فخرج . فقال له أصحابه وفيهم الفرزدق : ما صنع بك أمير المؤمنين يا أبا حزرة ؟ قال :

---

(105) أصل معنى التعرق : أخذ ما على العظم من اللحم نهشاً بالأسنان ، يريد أنها تفقره ، ولا تدع له شيئاً .

(106) النشر: جمع نشرة وهي رقية يعالج بها المجنون والمريض .

خرجت من عند رجل يقرِّب الفقراء ، ويباعد الشعراء ، وأنا مع ذلك عنه راضٍ ، ثم وضع رجله في غرز راحلته وأتى قومه . فقالوا له : ما صنع بك أمير المؤمنين أبا حزرة ؟ فقال :

تركــتُ لكــم بالشــام حَبْــلَ جماعــةٍ أَمِـينَ القُـوَى مُسْتَحْصِـدَ العَقْـدِ باقيَـا[107]
وجــدتُ رُقَــى الشــيطانِ لا تســتفِزُّه وقــد كــان شــيطاني مــن الجِــنّ راقيَــا

(ج2/ص306-308)

أشعر الناس

– قال مسعود بن بشر : قلت لابن مُناذر بمكة : من أشعر الناس ؟ قال : من إذا شئت لعب ، وإذا شئت جدّ ، فإذا لعب أطمعك لِعبُه فيه ، وإذا رُمته بَعُد عليك ، وإذا جدّ فيما قصد له أيأسَك من نفسه . قلت : مثلُ مَن ؟ قال : مثل جرير حين يقول إذا لعب :

إنّ الــذِينَ غَــدَوْا بِلُبّــكَ غَــادَرُوا وشــلاً بعينــكَ مــا يــزالُ مَعينــا

ثم قال حين جدّ :

إنَّ الــذي حَــرَمَ المكــارمِ تغلِبــاً جعــل النبــوةَ والخلافــةَ فينــا
مُضــرٌ أبــي وأبــو الملــوك فهــلْ لكــمْ يــا آل تَغلــبَ مــنْ أبٍ كأبينــا
هــذا ابــن عمــي فــي دمشــق خليفــة لــو شــئتُ ســاقكمُ إلــيَّ قَطينــا[108]

(ج2/ص312)

(107) المستحصد : المستحكم .

(108) القطين : الخدم والحشم .

الجواب الحسن ينجي من ورطة

قال هشام بن عبد الملك لشبَّةَ بن عقال ، وعنده الفرزدق وجرير والأخطل ، وهو يومئذ أمير : ألاَ تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزَّقوا أعراضَهم ، وهتكوا أستارهم ، وأغروا بين عشائرهم في غير خير ، ولا بِرّ ، ولا نفع ، أيُّهم أشعر؟ فقال شبةُ : أمَّا جرير فيَغرِف من بحر ، وأما الفرزدق فينحتُ من صخر ، وأمَّا الأخطل فيجيد المدح والفخر . فقال هشام : ما فسرت لنا شيئًا نحصله ، فقال : ما عندي غير ما قلت . فقال لخالد بن صفوان : صِفهم لنا يا ابنَ الأهتم ، فقال : أما أعظمهم فخرًا ، وأبعدهم ذِكرًا ، وأحسنهم عذرًا ، وأسيرهم مثلاً ، وأقلُّهم غزلاً ، وأحلاهم عللاً ، الطامي إذا زَخَر ، والسامي إذا خَطَر ، الذي إن هدر قال ، وإن خَطَر صال ، الفصيح اللِّسان ، الطويل العنان : فالفرزدق . وأمَّا أحسنُهم نعتًا ، وأمدحهم بيتًا ، وأقلُّهم فوتًا ، الذي إن هجَا وضع ، وإن مدح رفع : فالأخطل . وأما أغزرُهم بحرًا ، وأرقُّهم شعرًا ، وأهتكهم لعدوِّه سِترًا ، الأغرُّ الأبلق ، الذي إن طَلَب لم يُسبَق ، وإن طُلِب لم يُلْحَق : فجرير . وكلهم ذكيُّ الفؤاد ، رفيع العماد ، واري الزناد . فقال له مسلمة بن عبد الملك : ما سمعْنَا بمثلك يا خالدُ في الأولين ، ولا رأينا في الآخرين ، وأشهد أنَّك أحسنهم وصفًا ، وألينهم عِطفًا ، وأعفُّهم مقالاً ، وأكرمهم فعالاً . فقال خالد : أتمَّ الله عليكم نعمه ، وأجزل لديكم قِسَمه ، وآنس بكم الغربة ، وفرَّج بكم الكربة –وأنت والله– ما علمتُ أيها الأمير ، كريمُ الغِراس ، عالِمٌ بالناس ، جواد في المِحْل ، بسامٌ عند البَذْل ، حليم عند الطيش ، في ذِروة قريش ، ولباب عبد شمس ، ويومُك خيرٌ من أمس . فضحك هشام وقال : ما رأيت كتخلُّصك يا ابنَ صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم ، حتى أرضيتَهم جميعًا وسلمت منهم .

(ج2/ص316-317)

لو رثيته لكنت أشعر العرب

- قال جرير عند موت الفرزدق :

مـــات الفـــرزدق بعـــد مـــا جدَّعتُـــه ليـــت الفـــرزدق كـــان عـــاش قلـــيلا

فقال له المهاجر : بئسَ لعمرُ الله ما قلتَ في ابن عمك ! أتهجو ميتاً ! أما والله لو رَثيتَهُ لكنتَ أكرمَ العرب وأشعرَها . فقال : إن رأى الأمير أن يكتمها عليّ فإنها سَوءة ، ثم قال من وقته :

فـــلا وضـــعت بعـــد الفـــرزدق حامـــلُ ولا ذاتُ بعـــل مـــن نفـــاس تعلَّـــتِ[109]

هـــو الوافـــدُ الميمـــونُ والراتـــقُ الثـــأى إذا النعـــل يومـــا بالعشـــيرة زلـــتِ[110]

ثم بكى ، ثم قال : أما والله إني لأعلم أني قليل البقاء بعده ، ولقد كان نحمُنا واحداً ، وكل واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه صاحبه . فكان كذلك مات بعد سنة . وقد زاد الناس في بيتي جرير هذين أبياتاً أخر ، ولم يقل غيرهما وإنما أضيفت إلى ما قاله .

(ج2/ص318-319)

لحى اللهُ من لا يُعرَفُ الوُدُّ عنده

- قال جميل بن عبد الله :

لحـى اللَّـهُ مـن لا يُعـرَفُ الـوُدُّ عنـدَهُ ومـــن حبلُـــهُ إن مُـــدَّ غيـــرُ متـــينِ

(109) تعلت المرأة من نفاسها : برئت منه وخرجت .

(110) الثأى : الفتق والفساد .

ومـــن هـــو ذو لـــونين لـــيس بـــدائمٍ علـــى العهـــد خـــوَّانٍ لكـــلَّ أمـــينِ

(ج2/ص324)

أَغرَّك أني لا بخيلٌ ولا مفحش ؟!

- قال جميل بن عبد الله :

أغـــرَّك إنـــي لا بخيـــلٌ علـــيكمُ ولا مُفْحِـشٌ فيمـا لـديك التقاضـيا ؟!
أعـدُّ الليـالي مـا نأيـت ولـم أكـن وقـد عشـت دهـرًا لا أعـدُّ الليـاليـا
إذا اكتحلـتْ عينـي بعينـك لـم أزلْ بخيـر وَحَلَّـتْ غمـرةً عـن فؤاديـا
ومـا زادنـي النـأيْ المفـرِّقُ بيننـا سُـلُّواً ولا طـولُ التلاقـي تقاليـا

(ج2/ص326)

لا أستطيع تجلُّداً عن ذكركم

- قال جميل بن عبد الله :

يـا ليتنـي ألقـى المنيّـةَ بغتـةً إنْ كـانَ يـومُ لقـائكم لـم يُقْـدَرِ
أو أسـتطيعُ تجلُّـداً عـن ذكـركمْ فيُفيـقَ بعـضُ صِـبابتي وتَفَكُّـري

(ج2/ص332)

أحارب من حاربت ! !

- قال معن بن أوس :

أحـاربُ مـن حاربـتَ مِـنْ ذي عـداوةٍ وأحـبِسُ مـا لـي إنْ غَرِمـتَ فأعقِـلُ[111]

وإنـي أخـوك الـدائمُ العهـدِ لـم أخـنْ إنِ ابْـزاكَ خصـمٌ أو نبـا بـك منـزلُ

سـتقطع فـي الـدنيا إذا مـا قطعتنـي يمينـك فـانظر أيَّ كـفٍّ تَبَـدَّلُ

(ج2/ص365-366)

فواندمي على الشباب !

- قال عمرو بن شأس :

فَـوا نـدمي علـى الشـباب وَوانَـدَمْ نـدمتُ وبـان اليـوم منـي بغيـر ذَمْ

وإذ إخـوتي حـولي وإذْ أنـا شـائِخٌ وإذ لا أجيـب العـاذلات مـن الصَـمَمْ

(ج2/ص365-366)

كريمٌ لا تغيره الليالي !

- قَدِمَ أميةُ بن أبي الصلت على عبد الله بن جُدعان ، فلمَّا دخل عليه قال له عبد الله : أمرٌ ما أتى بك ؟! فقال أمية : كلابٌ غُرماءُ قد نبحتني ونهشتني . فقال له عبد الله :

(111) يريد : فأعقل عنه . يقال عقل عنه : إذا غرم ما لزمه من دية . وأما عقلته ، فمعناه : دفعت ديته .

قَدمت عليَّ وأنا عليل من حقوق لزمتني ونهشتني ، فأَنْظِرْني قليلاً ، ما في يدي[112] ، وقد ضَمِنتُك وفاء دينك ، ولا أسأل عن مبلغه . قال : فأقام أمية أياماً ، فأتاه فقال :

أَأَذكـــرُ حـــاجتي أم قـــد كفـــاني ... حيـــاؤك إن شـــيمتَك الحيـــاءُ ؟
وعلمُـــكَ بِـــالأمور وأنـــت قَـــرْمٌ ... لَـــك الحسَـــبُ المهـــذَّبُ وَالســـناءُ
كـــــريمٌ لا يُغيِّـــــره صـــــباحٌ ... عـــن الخُلُـــقِ الجميـــل ولا مســـاءُ
تُبـــاري الـــريحَ مَكرُمَـــةً وجُـــوداً ... إذا مـــا الكلـــب أجحـــرهُ الشـــتاءُ
إذا أثنـــى عليـــك المـــرءُ يومـــاً ... كفـــاهُ مِـــن تَعَرُّضِـــهِ الثنـــاءُ
إذا خُلِّفـــتَ عبـــد الله فـــاعلم ... بـــأن القـــوم لـــيس لهـــم جـــزاءُ
فأرضـــك كـــلُّ مكرمـــة بناهـــا ... بنـــو تَـــيْمٍ وأنـــتَ لهـــم ســـماءُ
فـــأبرزَ فضـــلَهُ حقـــاً علـــيهِم ... كمـــا بـــرزتْ لناظرِهـــا الســـماءُ
فهـــل تخفـــى الســـماء علـــى بصـــيرٍ ... وهـــل بالشـــمس طالعـــةً خفـــاءُ

فلمَّا أنشده أميةُ هذه الأبيات كانت عنده قينتان ، فقال : خذ أيتهما شئت ، فأخذ إحداهما وانصرف . فمرَّ بمجلس مِن مجالس قريش فلاموه على أخذها وقالوا : لقد لقيته عليلاً ، فلو رددتها عليه ، فإنَّ الشَّيخ يحتاج إلى خدمتها ، كان ذلك أقرب لك عنده ، وأكثر من كل حقٍّ ضمنه لك . فوقع الكلام مِن أمية موقعاً وندم ، ورجع إليه ليردَّها عليه . فلما أتاه بها قال له ابن جُدعان : لعلك إنما رددتها لأن قريشًا لاموك على أخذها ، وقالوا : كذا وكذا ، فوصف لأمية ما قال له القوم . فقال أمية : والله ما أخطأت يا أبا زهير . قال عبد الله : فما الذي قلت في ذلك ؟ فقال أمية :

عطـــاؤك زَيْـــنٌ لامـــرئٍ إنْ حَبَوْتَـــهُ ... ببـــذلٍ ومـــا كـــلُّ العطـــاء يـــزينُ
ولـــيس بشـــينٍ لامـــرئٍ بـــذلُ وجهِـــهِ ... إليـــك كمـــا بعـــض السُّـــؤال يشـــينُ

فقال له عبد الله : خذ الأخرى ، فأخذهما جميعًا وخرج .

(ج2/ص376-377)

(112) يريد : ما في يدي شيء .

كبراء قريش والخمر !

- قال ابن أبي الزناد :

ما مات أحد من كبراء قريش في الجاهلية إلاّ ترك الخمر استحياءً مما فيها من الدّنس . ولقد عابها ابن جُدعان قبل موته فقال :

شـــربتُ الخمـــرَ حتـــى قـــال قـــومي ألســـتَ عـــن السِّـــفاهِ بمُســـتفيقِ
وحتـــى مـــا أوسّـــدُ فـــي مَبيـــتٍ أنـــام بـــه ســـوى التُّـــربِ الســـحيقِ
وحتـــى أغلـــق الحـــانوتُ رهنـــي وآنســـت الهـــوان مـــن الصـــديق[113]

(ج2/ص378)

عمر وجبلة بن الأيهم

- لما أسلم جبلة بن الأيهم الغساني ، وكان من ملوك آل جفنة ، كتب إلى عمر رضي اللّه عنه يستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له عمر ، فخرج إليه في خمسمائة من أهل بيته من عَكّ وغسان ، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يعلمه بقدومه ، فسرَّ عمر رضوان اللّه عليه ، وأمر الناس باستقباله وبعث إليه بأنزال ، وأمر جبلة مائتي رجل من أصحابه فلبسوا الديباج والحرير ، وركبوا الخيول معقودة أذنابها ، وألبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جبلة تاجه وفيه قرطا مارية ، وهي جدته ، ودخل المدينة فلم يبق بِها بِكرٌ ولا عانسٌ إلا تبرَّجت وخرجت تنظر إليه وإلى زِيِّه ، فلما انتهى إلى عمر رحب به وألطفه وأدنى مجلسه ، ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبلة ، فبينا هو يطوف بالبيت ، وكان مشهوراً بالموسم ، إذ وطئ إزاره رجلٌ من بني فزارة فانحلَّ ، فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزاري ،

(113) أغلق الرهان : استحقه . والحانوت : الخمار . والحانوت أيضاً : دكان الخمار .

فاستعدى عليه عمر رضوان اللّه عليه ، فبعث إلى جبلة ، فأتاه فقال : ما هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه تعمد حلَّ إزاري ، ولولا حُرمةُ الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف ، فقال له عمر : قد أقررت ، فإما أن تُرضيَ الرجل ، وإما أن أُقيده[114] منك . قال جبلة : ماذا تصنع بي ؟ قال : آمر بهشم أنفك كما فعلت . قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ، وهو سُوقة وأنا ملك ؟ قال : إن الإسلام جمعك وإياه ، فلست تفضله بشيء إلا بالتُقى والعافية ، قال جبلة : قد ظننت يا أمِير المؤمنين أني أكون في الإسلام أعزَّ مني فِي الجاهلية . قال عمر : دع عنك هذا فإنك إن لم تُرضِ الرجلَ ، أقدته منك . قال : إذاً أتنصَّر . قال : إن تنصرت ضربت عنقك ، لأنك قد أسلمت ، فإن ارتددت قتلتك . فلما رأى جبلة الصدق من عمر ، قال : أنا ناظر في هذا ليلتي هذه ، وقد اجتمع بباب عمر من حيٍّ هذا وحيٍّ هذا خلق كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة ، فلما أمسَوْا أذن له عمر فِي الانصراف ، حتى إذا نام الناس وهدؤوا ، تحمَّل جبلة بخيله ورواحله إلى الشام ، فأصبحت مكّة وهي منهم بلاقع ، فلما انتهى إلى الشام تحمَّل في خمسمائة رجل من قومه حتّى أتى القسطنطينية ، فدخل إلى هرقل ، فتنصر هو وقومه ، فسرَّ هرقل بذلك جداً ، وظن أنه فتح من الفتوح عظيم ، وأقطعه حيث شاء ، وأجرى عليه من النُّزُل ما شاء ، وجعله من مُحدثيه وسُمَّاره .

وقيل : وجرى بينه وبين رجلٍ من أهل المدينة كلامٌ ، فسبَّ المدينيّ فردَّ عليه ، فلطمه جبلة ، فلطمه المدينيّ ، فوثب عليه أصحابه ، فقال : دعوه حتى أسأل صاحبه وأنْظر ما عنده . فجاء إلى عمر فأخبره ، فقال : إنك فعلت به فعلاً ، ففعل بك مثله . قال : أوَ ليس عندك من الأمر إلا ما أرى ؟! قال : لا ، فما الأمر عندك يا جبلة ؟ قال : من سبّنا ضربْناه ، ومنْ ضربنا قتلناه . قال : إنما أنزل القرآن بالقصاصِ . فغضب وخرج بِمن معه ، ودخل أرْض الروم فتنصّر ، ثم ندم وقال :

تَنَصَّـرَتِ الأَشْـرَافُ مِـنْ عَـارِ لَطْمَـةٍ وما كـانَ فيهـا لـو صَـبَرتُ لهـا ضَـرْ
وَيَـا لَيْـتَ لِـي بِالشَّـامِ أَدْنَـى مَعِيشَـةٍ أُجَـالِسُ قَـوْمِي ذَاهِـبَ السَّـمْعِ وَالْبَصَـرْ

(114) أقيده : أقتص له .

أَدِيــنُ بِمَــا دَانُــوا بِــهِ مِــنْ شَــرِيعَةٍ وَقَدْ يُحْبَسُ الْعُودُ الضَّجُورُ عَلَى الدَّبُرْ[115]
تَكَنَّفنِــي فيهــا لَجَــاجٌ ونَخْــوَةٌ وبِعْــتُ بهــا العَــيْنَ الصــحيحةَ بــالعورْ
فيــا لَيْــتَ أُمِّــي لــمْ تَلِــدْني وليتَنِــي رجعتُ إلى القولِ الذي قال لي عُمَرْ
ويــا ليتنــي أرْعــى المَخــاضَ بقفــرةٍ وكنــتُ أســيراً فــي ربيعــةَ أو مُضَــرْ

ولما ولِّي معاوية بعث إليه ، فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام ، ووعده إقطاع الغوطة بأسرها ، فأبى ولم يقبل .

(ج3/ص16-17،20)

أرى الصفح لنفسي فضلا

- قال جعيفران بن علي :

لســتُ بــراضٍ مــن جَهــولٍ جهْــلا ولا مُجازيــــهِ بفعــــلٍ فِعْــــلا
لكــنْ أرى الصــفحَ لنفســيَ فضْــلا مَــن يُــرِدِ الخيــرَ يجِــدْهُ سَــهْلا

(ج3/ص36)

غريب بين الناس

- قال جعيفران بن علي :

طــاف بــه طيــفٌ مــن الوســواسِ نفَّــر عنــه لَــذَّةَ النُّعــاسِ

(115) العود : المسن من الإبل ، والدبر : الإصابة بالدبرة ، وهي القرحة تحدث مع الرجل .

فمـــا يُـــرى يـــأنسُ بالأُنـــاسِ ولا يَلَـــذُّ عِشْـــرةَ الْجُـــلاَّسِ

فهـو غريـبٌ بـين هـذي النـاسِ

(ج3/ص36)

هيبة المال !

- قال جعيفران بن علي :

رأيـــتُ النـــاس يـــدعوني بمجنـــون علـــى حـــالي

ومـــا بـــي اليـــومَ مـــن جِـــنٍّ ولا وســـواسِ بَلبـــالِ[116]

ولكـــنْ قـــولُهم هـــذا لإفلاســـي وإقلالـــي

ولـــو كنـــتُ أخـــا وَفْـــرٍ رَخيّـــاً نـــاعمَ البـــالِ

رأونـــي حَسَـــنَ العقـــل أحُـــلُّ المنـــزلَ العـــالي

ومـــا ذاك علـــى خُبْـــرٍ ولكـــنْ هيبـــةُ المـــالِ

(ج3/ص37)

خلّوا سبيلي

- قال جعيفران بن علي :

ونـــدامَى أكلـــوني إذ تغيّبْـــتُ قلـــيلا

زعمـــوا أنِّـــيَ مجنـــو نٌ أرى العُـــرْي جمـــيلا

(116) البلبال : شدة الهم .

كيـــف لا أعـــرَى ومـــا أُبْـــ ـــصر فـــي النـــاس مثـــيلا[117]
إن يكـــن قـــد ســـاءكم قُـــر بـــي فخلُّـــوا لـــي ســـبيلا
وأتمّـــوا يـــومكم ســـرّ كـــم الله طـــويلا

(ج3/ص38)

يرى الشح عاراً والسماحة رفعة

– لما وقع الطاعون بالكوفة ، أفنى بني غاضرة ، ومات فيه بنو زِرّ بن حبيش الغاضري ، صاحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكانوا ظرفاء ، وبنو عمٍّ لهم ، فقال الحكم بن عبدل الغاضري يرثيهم :

أبعـدَ بنـي زِرٍّ وبعـدَ ابـن جَنَـدلٍ وعَمـروٍ أُرَجِّـي لَـذَّةَ العـيش فـي خَفـضِ
مَضـوا وَبَقينـا نَأمُـلُ العـيشَ بعدَهُـم ألا إنَّ مَـن يَبقـى علـى إثـرِ مَـنْ يَمضـي
فقـد كـان حَـولي مـن جِـيادٍ وسالـمٍ كُهـولٌ مَسـاعيرٌ وكـلُّ فتـىً بـَضِّ[118]
يـرى الشـح عـاراً والسمـاحة رفـعة أغـرُّ كعـودِ البانـة الناعِـمِ الغَـضِّ

(ج3/ص62)

وأدرك ميسور الغنى ومعي عرضي

اجتمع الشعراء إلى الحجاج وفيهم ابن عبدل ، فقالوا للحجاج : إنما شعر ابن عبدل

(117) المثيل : يطلق أيضاً على الفاضل .

(118) مساعير : جمع مسعار ، وهو موقد نار الحرب . وبض : رخص الجسم .

كله هجاءٌ وشعرٌ سخيف ؛ فقال له : قد سمعت قولهم فاستمع مني . قال : هات ، فأنشده قوله :

وإنِّـي لأسْـتَغْني فمـا أبْطَـرُ الغنـى وأعْرِضُ ميسوري لمن يبتغي قَرْضي[119]

وأُعْسِـرُ أحيانـاً فتشـتدَ عُسـرتي فـأُدْرِكُ مَيْسـورَ الغنـى ومعـي عِرْضـي

حتى انتهى إلى قوله:

ولسـتُ بِـذي وَجْهـينِ فـيمَن عَرَفْتَـهُ ولا البخـلُ فـاعلَمْ مِـنْ سـمائي ولا أرضـي

فقال له الحجاج : أحسنت! وفضله في الجائزة عليهم بألفي درهم .

(ج3/ص67-68)

ذو الإصبع . . وبنائه!

كان لذي الإصبع أربع بنات وكن يُخطبن إليه ، فيعرض ذلك عليهنْ فيستحين ولا يزوجهن ، وكانت أمهن تقول : لو زوجتهن! فلا يفعل . قال : فخرج ليلة إلى مُتحدَّثٍ لهن فاستمع عليهن وهن لا يعلمن ، فقلن : تعالين نتمنى ولنصدُق في أمانينا . فقالت الكبرى :

ألا ليـتَ زوجـي مـن أُنـاسٍ ذَوي غِنـىً حـديثُ الشـباب طيِّـبُ الـريح والعِطـرِ

طبيـبٌ بـأدواء النسـاء كأنـه خليفـةُ جـانٍ لا ينـام علـى وِتـرِ

فقلن لها : أنت تحبين رجلاً ليس من قومك . فقالت الثانية :

ألا هـل أراهـا ليلـةً وضَـجيعُها أشـمُّ كنصـل السـيف غَيـرُ مُبَلَّـدِ

---

(119) البطر : الطغيان عند النعمة . ونصب الغنى على إسقاط الخافض ، وبذلك أول قوله تعالى ﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا** ... ﴾ [القصص : 58] ، قال صاحب –اللسان– وتأويله : بطرت في معيشتها ، فحذف وأوصل .

لَصُـــوقٌ بأكبـــاد النســـاء وأصـــلُه إذا مـا انتمـى مـن سـرِّ أهلـي ومَحْتِـدي

فقلن لها : أنت تحبين رجلاً من قومك . فقالت الثالثة :

ألا ليْتـــهُ يمـــلا الجِفـــان لضـــيفه لـه جفنـةٌ يشـقى بهـا النِّيـبُ والْجُـزْرِ[120]

لـه حَكمـات الـدهر مـن غيـر كَبـرة تشين ولا الفاني ولا الضَّرع الغَمْرُ[121]

فقلن لها : أنت تُحبين رجلاً شريفاً . وقلن للصغرى : تمني . فقالت : والله ما أريد شيئاً . قلن : والله لا تبرحين حتى نعلم ما في نفسك . قالت : زوج من عُود خير من قُعود . فلما سمع ذلك أبوهن زوّجهن أربعتهن . فمكثن برهة ثم اجتمعن إليه ، فقال للكبرى : يا بُنية ، ما مـالُكم ؟ قالـت : الإبـل . قـال : فكيـف تجـدونها ؟ قالـت : خـير مـال ، نأكـل لحومهـا مُزعاً[122] ، ونشرب ألبانها جُرَعاً ، وتحملنا وضعيفنا معاً . قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خيرُ زوج يُكرم الحليلة ، ويعطي الوسيلة[123] ، قال : مال عميم وزوج كريم . ثم قال للثانية : يا بنية ما مالكم ؟ قالت : البقر . قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : خير مال ، تألف الفناء ، وتُوَدِّك[124] السقاء ، وتملأ الإناء ، ونساء في نساء ، قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خير زوج يكرم أهله وينسى فضله ، قال : حظيت ورضيت . ثم قال : للثالثة : ما مالكم ؟ قالت : المعزى ، قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : لا بأس بها نولدها فُطُماً[125] ، ونسلخها أدماً[126] ، قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : لا بأس به ليس بالبخيل الْحُكر[127] ولا بالسمح البذر . قال : جَدْوى[128] مغنية . ثم قال للرابعة : يا

---

(120) النيب : جمع ناب . وهي الناقة المسنة ، وقيل لها : ناب لطول نابها . الجزر : بضم الزاي وسكّن للضرورة ، جمع جزور ، وهي الناقة المجزورة . وإنما عطفت على النيب ، لأن من الإبل ما يكون جزوراً للنحر لا غير .

(121) الحكمات : جمع حكمة ، وأصلها الحديدة في اللجام تمنع الفرس من مخالفة راكبه . والمراد بها هنا : التجارب لأنها تمنع من ارتكاب ما لا يليق . الضرع : الضعيف ، والغمر : من لم يجرب الأمور .

(122) مزعة : جمع مزعة ، بضم الميم وكسرها ، وهي قطعة اللحم .

(123) الوسيلة : ما يتقرب به إلى الغير .

(124) تودك السقاء : تجعل فيه الودك وهو الدسم .

(125) جمع فطيم ، وهو ما يفصل عن الرضاع .

(126) الأدم : اسم لجمع الأديم ، وهو الجلد أو الأحمر منه أو مدبوغه .

(127) الحكر : المستبد بالشيء .

بنية ، ما مالكم ؟ قالت : الضأن . قال : وكيف تجدونها ؟ قالت : شر مال ، جُوف[129] لا يشبعن ، وهِيمٌ[130] لا ينقعن ، وصُمٌّ[131] لا يسمعن ، وأمر مغويتهن يَتْبَعْنَ[132] . قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : شرّ زوج ، يكرم نفسه ويُهين عرسه . قال : «أَشْبَهَ امْرءاً بعضُ بَزَّهِ»[133] .

(ج3/ص72-75)

وصية أب لابنه

لما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه أسيداً فقال له : يا بني ، إن أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سئم العيش ، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغتُه ، فاحفظ عني : أَلِن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، وأكرِمْ صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك ، واحم حريمك ، وأعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريخ ، فإن لك أجلاً لا يعدوك ، وصُنْ وجهك

---

(128) الجدوى : الغناء والنفع . وفي «الكامل» للمبرد : «جذو مغنية» . وقال في تفسيره : الجذو ، جمع جذوة ، وأصل ذلك في الخشب ما كان منه فيه نار .

(129) جوف : عظام الأجواف .

(130) الهيم : العطاش ، واحده أهيم أو هيماء . ولا ينقعن : لا يروين .

(131) هذا وارد على وجه التمثيل ، وشبهت الضأن بما لا يسمع لبلادتها . والعرب يقولون : أبلد ما يرعى الضأن .

(132) قال علي بن عبد الله : قلت لأبي عائشة : ما قولها : (وأمر مغويتهن يتبعن) فقال : أما تراهن يمرون فتسقط الواحدة منهن في ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها إليه .

(133) أشبه امرءاً بعض بزه : أي ماله مثله . وقالها سهيل بن عمرو في ابنه لما أجاب لغير ما سئل عنه ، أي أشبه أمّه في حمقها .

عن مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتم سؤدُدُك ؛ ثم أنشأ يقول :

أَأُسَـــــيدُ إنْ مـــــالاً مَلكـــــ ـــــتَ فسِـــرْ بـــه سَـــيراً جمـــيلاً
آخِ الكـــــــرامَ إن استطعـــــــ ـــــتَ إلـــى إخِـــائهمُ سَـــبيلاً
واشـــــــربْ بكأسِـــــــهمُ وإنْ شَـــربُوا بـــه السُّـــمَّ الثَّمـــيلا[134]
أهِـــــنِ اللئـــــامَ ولا تكـــــن لإخـــــائِهم جَمـــــلاً ذَلـــــولاً
إنَّ الكـــــــرام إذا تُـــــــوا خـــيهم وجَـــدتَ لهـــم فُضـــولاً[135]
ودَعِ الـــــذي يَعِـــــد العشيـــــ ـــــرةَ أن يســـــيلَ ولـــــن يســـــيلا
أبُنـــــــيّ إنَّ المـــــــالَ لا يَبْكـــــي إذا فَقَـــــدَ البخـــــيلا
أَأُسَـــــيدُ إنْ أزْمعـــــتَ مـــــن بلـــــدٍ إلـــى بلـــــدٍ رَحِـــيلاً
فـــــاحفَظْ وإنْ شَـــحَطَ الْمَـــزا رُ أخـــا أخيـــكَ أو الـــزَّمِيلا[136]
واركـــــبْ بنفسِـــــك إن هَمَمْـــــ ـــــتَ بهـــا الحزُونَـــةَ والسُّـــهولا
وصِـــلِ الكـــرام وكـــن لمـــن ترجـــو مَودَّتَـــهُ وَصـــولاً
ودَعِ التَّـــوانيَ فـــي الأمـــو ر وكـــن لهـــا سَلِســـاً ذلـــولا
وابسُـــط يمينَـــكَ بالنـــدى وامـــدُدْ بهـــا باعـــاً طـــويلاً
وابسُـــط يـــديك بمـــا ملكْـــ ـــتَ وشـــيِّدِ الحسَـــبَ الأثِـــيلا
واعـــزِمْ إذا حاولـــت أمـــ ـــراً يَفْـــرِجُ الهـــمَّ الـــدخيلا
وابـــذُلْ لضـــيفك ذاتَ رَحْـــ لِـــكَ مُكرمـــاً حتـــى يَـــزولا
واحلُـــلْ علـــى الأيْفـــاعِ للـــ ـــعافينَ واجتَنِـــبِ الْمَســـيلا
وإذا القُـــرومُ تخـــاطرتْ يومـــاً وأرْعَـــدَتِ الْخَصـــيلا[137]
فاهصِـــرْ كَهَصْـــرِ الليـــث خضَّـــ بَ مـــنْ فريســـته التَّلـــيلا[138]

(134) الظاهر أن الثميل هنا : الناقع . والثمال ، بضم أوله ، والمثمل وهو السم المنقع ، أي : أنقع فبقي وثبت .

(135) الفضول : جمع فضل .

(136) الزميل : الرفيق في السفر الذي يعينك على أمورك .

(137) الخصيل : جمع خصيلة وهي كل لحمة فيها عصب .

(138) التليل : العنق .

وانـــــزلْ إلـــــى الهيجـــــا إذا أبطالُهـــــا كرِهـــــوا النُـــــزولا
وإذا دُعيـــــتَ إلـــــى الْمُهِـــــمِّ فكُـــــنْ لفادِحِـــــهِ حَمـــــولا

(ج3/ص77-79)

ذو الإصبع يبكي قبيلته

كان السبب في تفرق عدوان وقتال بعضهم بعضاً حتى تفانوا : أن بني ناج بن يشكر ابن عدوان أغاروا على بني عوف بن سعد بن ظرب بن عمرو بن عباد بن الشكر بن عدوان ، ونذرت[139] بهم بنو عوف فاقتتلوا ، فقتل بنو ناج ثمانية نفرٍ ، فيهم عمير بن مالك سيد بني عوف ، وقتلت بنو عوف رجلاً منهم يقال له سنان بن جابر ، وتفرقوا على حرب ، وكان الذي أصابوه من بني واثلة بن عمرو بن عباد وكان سيداً ، فاصطلح سائر الناس على الديات أن يتعاطوها ورضوا بذلك ، وأبى مرير بن جابر أن يقبل بسنان بن جابر دية ، واعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومن والاهم ، وتبعه على ذلك كرب بن خالد أحد بني عبس بن ناج ، فمشى إليهما ذو الإصبع وسألهما قبول الدية وقال : قد قتل منا ثمانية نفر فقبلنا الدية وقتل منكم رجل فاقبلوا ديته ؛ فأبيا ذلك وأقاما على الحرب ، فكان ذلك مبدأ حرب بعضهم بعضاً حتى تفانوا وتقطعوا .

فقال ذو الإصبع في ذلك :

يـا مَـن لِقَلـبٍ شَـديدِ الهَـمِّ مَحـزونِ أمســـــى تَـــذَكَّرَ ريَّـــا أمّ هـــارونِ
أَمسـى تَـذَكَّرَها مِـن بَعـدِ مـا شَـحَطَتْ وَالـدَّهرُ ذو غِلَـظٍ حينـاً وَذو لـينِ[140]
فَـإِن يَكُـن حُبُّهـا أَمسـى لَنـا شَـجَناً وأَصـبَحَ الـوَليُ مِنهـا لا يُـواتيني[141]

(139) يقال : نذر بالشيء ، أي : علمه فحذره .
(140) شحطت : بعدت .
(141) الشجن : الهم والحزن . الولي : القرب .

فَقَـد غَنَينـا وَشَـمْلُ الـدَارِ يَجمَعُنـا ... أُطيـعُ رَيّـا وَرَيَّـا لا تُعاصـيني[142]

نَرمـي الوُشـاةَ فَـلا نُخطـي مَقـاتِلَهُم ... بخـالصٍ مِـن صَـفاءِ الـوُدِّ مَكنـونِ

ولـي ابـنُ عـمٍّ علـى مـا كـان مـن خُلُـقٍ ... مُختلِفـان فَأقْليـهِ وَيَقْلينـي[143]

أَزرى بِنـا أَنَّنـا شـالَتْ نَعامَتُنـا ... فَخـالَني دونَـهُ بَـل خِلتُـهُ دونـي[144]

لاه اِبـنُ عَمِّـكَ لا أَفضَـلتَ فـي حَسَـبٍ ... شـيئاً وَلا أَنـتَ دَيّـاني فَتَخْزونـي[145]

وَلا تَقـوتُ عِيـالي يَـومَ مَسـغَبَةٍ ... وَلا بِنَفسِـكَ فـي العَـزّاءِ تَكفينـي[146]

فَـإِن تُـرِدْ عَـرَضَ الـدُنيا بِمَنقَصَـتي ... فَـإِنَّ ذَلِـكَ مِمّـا لَـيسَ يُشـجيني[147]

وَلا تـرى فِـيَّ غَيـرَ الصَـبرِ مَنقَصَـةً ... وَمـا سِـواهُ فَـإِنَّ اللَـهَ يَكفينـي

لَـولا أَواصِـرُ قُربـى لَسـتَ تَحفَظُهـا ... وَرَهبَـةُ اللَـهِ فـي مـولى يُعـاديني[148]

إِذاً بَرَيتُـكَ بَريـاً لا اِنجبـارَ لَـهُ ... إِنّـي رَأَيتُـكَ لا تَنفَـكُّ تَبرينـي

إِنَّ الَّـذي يَقـبِضُ الـدُنيا وَيَبسـطُها ... إِن كـانَ أَغنـاكَ عَنّـي سَـوفَ يُغنينـي

اللَـهُ يَعلَمُكُـم وَاللَـهُ يَعلَمُنـي ... وَاللَـهُ يَجـزَيُّكُم عَنّـي وَيَجزينـي

مـاذا عَلَـيَّ وَإِن كُنـتُم ذَوي رَحمـي ... ألاَّ أُحِـبَّكُم إِذ لَـم تُحِبّـوني

لَـو تَشـرَبونَ دَمـي لَـم يَـروَ شـارِبُكُم ... وَلا دِمـاؤُكُم جَمعـاً تُرَوّينـي

وَلـي اِبـنُ عَـمٍّ لَـو أَنَّ الناسَ فـي كَبَـدي ... لَظَـلَّ مُحتَجِـزاً بِالنَبـلِ يَرمينـي[149]

يـا عمـرو إِن لا تَـدَعْ شَـتمي وَمَنقَصَـتي ... أَضـرِبْكَ حتـى تَقـولَ الهامَـةُ اسـقوني[150]

---

(142) غنينا : أقمنا .

(143) أقليه : أبغضه .

(144) أزرى به : قصر به ، وزرى عليه : عابه . شالت نعامتنا : تفرق أمرنا واختلفنا .

(145) لاه ابن عمك : أراد : لله ابن عمك . فحذف اللام الخافضة ، اكتفاء بالتي تليها . الديان : القائم بالأمر . وتخزوني : تسوسني وتقهرني .

(146) المسغبة : المجاعة . العزاء : الضيق والشدة .

(147) يشجيني : يحزنني .

(148) الأواصر : جمع آصرة : وهي ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف .

(149) المحتجز : الشاد مئزره على وسطه ، وهو كناية عن التهيوء للأمر والتشمر له .

(150) هذا وارد على ما يزعمه العرب في جاهليتهم من أن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره وتقول : اسقوني اسقوني ، فإذا أدرك بثأره طارت .

كُــلُّ اِمــرِئٍ صــائِرٌ يَومــاً لِشــيمَتِهِ ... وَإِن تَخَلَّــقَ أَخلاقــاً إِلــى حــينِ
إِنّــي لَعَمــرُكَ مــا بــابي بِــذي غَلَــقٍ ... عَــنِ الصَــديقِ وَلا خَيــري بِمَمنــونِ[151]
ولا لســاني علــى الأدنــى بمنطلــقٍ ... بِــالمُنكَراتِ وَمــا فَتكــي بِمَــأمونِ
لا يُخــرِجُ القَســرُ منــي غيــرَ مَغضــبَةٍ ... وَلا أَلــينُ لِمَــن لا يَبتَغــي لينــي[152]
وَأَنــتُم مَعشَــرٌ زَيــدٌ عَلــى مائَــةٍ ... فَــأجمَعوا أَمــرَكُم شَــتى فَكيــدوني
فَــإِن عَلمــتُم سَــبيلَ الرُشــدِ فَــانطَلِقوا ... وإن غَبيْــتُم طريــقَ الرُشــدِ فَــأتوني
يــا رُبَّ ثــوبٍ حواشــيه كأوســطِه ... لا عيب في الثوب من حسنٍ ومن أينِ
يومــاً شــدَدتُ علــى فرغــاءَ فاهقــةٍ ... يومــاً مــن الــدهر تــارات تمــاريني[153]
مــاذا علــيَّ إذا تــدعونني فَزَعــاً ... ألا أُجيــبَكم إذ لا تُجيبــوني
وكُنــتُ أُعطــيكُمُ مــالي وَأَمــنَحُكُم ... وُدّي عَلــى مُثبَــتٍ فــي الصَــدرِ مَكنــونِ
يــا رُبَّ حَــيٍّ شَــديدِ الشَــغْبِ ذي لَجَــبٍ ... ذعــرت مــن راهــنٍ مــنهم ومرهــون[154]
رَدَدتُ بــاطِلَهُم فــي رَأسِ قــائِلِهِم ... حَتّــى يظلُّــوا خُصــوماً ذا أَفــانينِ[155]
يــا عمــرو لَــو كُنــتَ لــي أَلفَيتَنــي يَسِــراً ... سَــمحاً كَريمــاً أُجــازي مَــن يُجــازيني[156]

(ج3/ص79-82)

(151) الغلق : ما يغلق به الباب .

(152) معناه : إذا أكرهت على شيء لم يكن عندي إلا الإباء له .

(153) الفرغاء : الواسعة . والمراد : طعنة واسعة سدها بثوب ليحبس الدم . والفاهقة : التي تفهق بالدم ، أي : تصب .

(154) اللجب : ارتفاع الأصوات واختلاطها .

(155) الأفانين : الأحوال .

(156) اليسر : السهل الانقياد .

رحل الشباب وليته لم يرحل

- قال عبد الرحمن بن خالد المخزومي :

رَحــل الشــبابُ وَلَيتَــهُ لَــم يَرحَــلِ وغــدا لِطيَّــة ذاهِــبٍ مُتَحمّــلِ[157]

وَلَّــى بِــلا ذمٍّ وغــادرَ بعــدَهُ شــيْباً أقــام مكانَــهُ فــي المنــزلِ

ليــتَ الشــبابَ ثَــوى لــدينا حِقبَــةً قبــل المشــيبِ ولَيتَــهُ لــم يَرْحَــلِ

فَنُصــيبَ مــن لذَّاتــهِ ونَعيمِــهِ كالعهــدِ إذْ هــو فــي الزمــانِ الأوّلِ

(ج3/ص85)

صَحِبتُك إذ عيني عليها غشاوة !

- قال الحارث بن خالد المخزومي :

صَــحِبتُكَ إذ عيْنــي عليهــا غِشــاوةٌ فلمــا اِنجَلــتْ قَطَّعــتُ نفســي ألومُهــا

ومــا بــي وإن أقصــيْتَني مِــن ضَــراعةٍ ولا افتقــرتْ نفســي إلــى مَــن يَضــيمُها

عَطفــتُ عليــك الــنفسَ حتــى كأنَّمــا بِكفَّيــكَ بُؤســي أو عليــك نعيمُهــا

(ج3/ص88)

(157) الطية : المنتأى ، والقصد ، والنية التي تنوى . المحتمل : الراحل .

لا أخون الصديق في السرّ

- قال الحارث بن خالد المخزومي :

لا أخــونُ الصــديق فــي الســرِّ حتــى يُنقَـــلَ البحـــرُ بالغرابيـــل نقـــلا

(ج3/ص89)

الزبير يثني .. وحسان يمدح

مر الزبير بن العوام بمجلس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسان بن ثابت ينشدهم من شعره وهم غير نُشاطٍ مما يسمعون منه ، فجلس معهم الزبير ، فقال : ما لي أراكم غير آذنين مما تسمعون من شعر ابن الفريعة ، فلقد كان يعرِض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيحسن استماعه ، ويُجزل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه بشيء ، فقال حسان :

أقــام علـــى عهـــدِ النَّبـــي وهَديـــهِ حَواريُّـــه والقـــولُ بالفعـــلِ يُعـــدَلُ[158]

أقـــام علـــى منهاجِـــه وطريقِـــهِ يـــوالي ولـــيَّ الحـــقِّ والحـــقُّ أعـــدَلُ

هـــو الفـــارسُ المشـــهورُ والبطـــلُ الـــذي يصـــولُ إذا مـــا كـــان يـــومٌ مُحَجَّـــلُ

إذا كشـفَتْ عـن سـاقِها الحـربُ حَشَّـها بـأبيضَ سَـبَّاقٍ إلـى المـوتِ يُرْقِـلُ[159]

---

(158) حواري النبي صلى الله عليه وسلّم : الزبير بن العوام ، لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري في صحيحه : «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**» . وفي رواية أحمد «**الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمَّتِي وَحَوَارِيَّ مِنْ أُمَّتِي**» أي : خاصتي من أصحابي وناصري .

(159) حش الحرب : أسعرها وهيجها . أرقل : أسرع ، والإرقال : ضرب من السير السريع .

(159) المرقل : المعظم لمسود .

وإنَّ امـــرأً كانـــت صـــفيَّةُ أُمَّـــهُ ... ومِـــن أَسَـــدٍ فـــي بيتِهـــا لمرَفَّـــلُ[160]

لـــه مِـــنْ رســـول الله قربـــى قريبـــةٌ ... ومـــن نصـــرة الإســـلامِ مجـــدٌ مؤثَّـــلُ

فكـــم كُربـــةٍ ذبَّ الزُّبيـــرُ بســـيفِه ... عـــن المصـــطفى واللهُ يعطـــي فيجـــزِلُ

فمـــا مِثلُـــه فـــيهم ولا كـــان قبلَـــه ... ولـيس يكـونُ الـدَّهرَ مـا دام يَـذْبُلُ[161]

ثنـــاؤُك خيـــرٌ مِـــن فعـــالِ معَاشـــرٍ ... وفعلُـــك، يـــا ابـــنَ الهاشـــميَّةِ أفضـــلُ

(ج3/ص117-118)

حسان يرد على وفود العرب

قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم وهم سبعون أو ثمانون رجلاً ، فيهم الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعطارد بن حاجب ، وقيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتم ، وانطلق معهم عيينة بن حصن ، فقدموا المدينة ، فدخلوا المسجد فوقفوا عند الحجرات ، فنادوا بصوت عال جاف : اخرج إلينا يا محمد ، فقد جئنا لنفاخرك ، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا ، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ، فقام الأقرع بن حابس ، فقال : والله إن مدحي لزين ، وإن ذمي لشين ، فقال النبي : «**ذَلِكَ اللَّهُ**» . فقالوا : إنا أكرم العرب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**أَكْرَمُ مِنْكُمْ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ**» ، فقالوا : ائذن لشاعرنا وخطيبنا . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس وجلس معه الناس ، فقام عطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذي له الفضل علينا وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكاً وجعلنا أعز أهل المشرق ، وآتانا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف ، ليس في الناس مثلنا ، ألسنا برؤوس الناس

(160) يذبل : اسم جبل في بلاد نجد .

وذوي فضلهم! فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ، ولو نشاء لأكثرنا ، ولكنا نستحي من الإكثار فيما خَوَّلنا الله وأعطانا ، أقول هذا فأتوا بقول أفضل من قولنا ، أو أمر أبين من أمرنا ، ثم جلس .

فقام ثابت بن قيس بن شماس فقال : الحمد لله الذي السموات والأرض خلقُه ، وقضى فيهن أمره ، ووسع كرسيَّهُ عِلمُه ، ولم يقض شيئاً إلا من فضله وقدرته ، فكان من قدرته أن اصطفى من خلقه لنا رسولاً أكرمهم حسباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأحسنهم رأياً ، فأنزل عليه كتاباً وائتمنه على خلقه ، وكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان ، فأجابه من قومه وذوي رحمه المهاجرون أكرم الناس أنساباً ، وأصبح الناس وجوهاً ، وأفضل الناس فعالاً ، ثم كان أول من اتبع رسول الله من العرب واستجاب له نحن معشر الأنصار ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا ويقولوا : لا إله إلا الله ، فمن آمن بالله ورسوله مَنع منَّا ماله ودمه ، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في الله ، وكان جهاده علينا يسيراً ، أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات .

فقام الزبرقان فقال :

نحْــنُ الْمُلُــوكُ فَــلا حَــيٌّ يُقَارِبُنَــا ... مِنَّــا الْمُلُــوكُ وَفِينَــا يُؤْخَــذُ الرُّبُــعُ[162]

تِلْــكَ الْمَكَــارِمُ حُزْنَاهَــا مُقَارَعَــةً ... إِذَا الْكِــرَامُ عَلَــى أَمْثَالِهَــا اقْتَرَعُــوا

كَــمْ قَــدْ نُشِــدْنَا مِــنَ الأَحْيَــاءِ كُلِّهِــمُ ... عِنْــدَ النِّهَــابِ وَفَضْــلُ الْعِــزِّ يُتَّبَــعُ

وَنَنْحَــرُ الْكُــومَ عُبْطًــا فِــي مَنَازِلِنَــا ... لِلنَّــازِلِينَ إِذَا مَــا اسْــتَطْعَمُوا شَــبِعُوا[163]

وَنَحْــنُ نُطْعِــمُ عِنْــدَ الْمَحْــلِ مَــا أَكَلُــوا ... مِــنَ الْعَبِــيطِ إِذَا لَــمْ يَظْهَــرِ الْقَــزَعُ

وَنَنْصُــرُ النَّــاسَ تَأْتِينَــا سَــرَاتُهُمُ ... مِــنْ كُــلِّ أَوْبٍ فَتَمْضِــي ثُــمَّ تُتَّبَــعُ

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حسان بن ثابت ، فجاء ، فأمره أن يجيبه ،

---

(162) كان من عاده العرب في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضاً وغنموا ، أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصاً دون أصحابه ، وذلك الربع يسمى المرباع .

(163) الكوم : جمع أكوم وهو البعير الضخم السنام ، والأنثى كوماء . عبط الذبيحة عبطاً : نحرها من غير داء ولا كسر وهي سمينة فتية . ويقال للناقة : عبيطة ، والجمع : عبط ، بضمتين ، وقد تسكن عينه .

فقال حسان :

إِنَّ الـــذَّوَائِبَ مِـــنْ فِهْـــرٍ وَإِخْـــوَتَهمْ ... قَـــدْ بَيَّنُـــوا سُـــنَّةً لِلنَّـــاسِ تُتَّبَـــعُ[164]

يَرْضَـــى بِهَـــا كُـــلُّ مَـــنْ كَانَـــتْ سَـــرِيرَتُهُ ... تَقْـــوَى الإِلَـــهِ وَبِـــالأَمْرِ الَّـــذِي شَـــرَعُوا[165]

قَـــوْمٌ إِذَا حَـــارَبُوا ضَـــرُّوا عَـــدُوَّهُمُ ... أَوْ حَـاوَلُوا النَّفْـعَ فِـي أَشْـيَاعِهِمْ نَفَعُـوا[166]

سَـــجِيَّةٌ تِلْـــكَ مِـــنْهُمْ غَيْـــرُ مُحْدَثَـــةٍ ... إِنَّ الْخَلائِـقَ فَـاعْلَمْ شَـرُّهَا الْبِـدَعُ[167]

لا يَرْقَـــعُ النَّـــاسُ مَـــا أَوْهَـــتْ أَكُفُّهُـــمُ ... عِنْـــدَ الـــدِّفَاعِ وَلا يُوهُـــونَ مَـــا رَقَعُـــوا[168]

إِنْ كَـــانَ فِـــي النَّـــاسِ سَـــبَّاقُونَ بَعْـــدَهُمُ ... فَكُـــلُّ سَـــبْقٍ لأَدْنَـــى سَـــبْقِهِمْ تَبَـــعُ

أَعِفَّـــةٌ ذُكِـــرَتْ فِـــي الْـــوَحْيِ عِفَّـــتُهُمْ ... لا يَطْمَعُـــونَ وَلا يُـــرْدِيهِمُ الطَمَـــعُ[169]

وَلا يَضِـــنُّونَ عَـــنْ جَـــارٍ بِفَضْـــلِهِمُ ... وَلا يَمَسُّـــهُمُ مِـــنْ مَطْمَـــعٍ طَبَـــعُ[170]

يَسْـمُونَ لِلْحَـرْبِ تَبْـدُو وَهْـيَ كَالِحَـةٌ ... إِذَا الزَّعَـانِفُ مِـنْ أَظْفَارِهَـا خَشَـعُوا[171]

لا يَفْرَحُـــونَ إِذَا نَـــالُوا عَـــدُوَّهُمُ ... وَإِنْ أُصِـيبُوا فَـلا خُـوْرٌ وَلا جُـزُعُ[172]

كَـأَنَّهُمْ فِـي الْـوَغَى وَالْمَـوْتُ مُكْتَنِـعٌ ... أُسُـودُ بِيشَـةَ فِـي أَرْسَـاغِهَا فَـدَعُ[173]

خُـذْ مِـنْهُمُ مَـا أَتَـى عَفْـوًا وَإِنْ مَنَعُـوا ... فَـلا يَكُـنْ هَمُّـكَ الأَمْـرَ الَّـذِي مَنَعُـوا

---

(164) الذوائب : الأعالي ، المراد هنا : السادة . وفهر : أصل قريش ، وهو فهر بن غالب بن النضر بن كنانة ، وقريش كلهم ينسبون إليه ، ولعله يريد بإخوة فهر : الأنصار ، وبالذوائب من فهر : المهاجرين .

(165) السريرة ، كالسر . والسر : ما أخفيته ، وقال الليث : السر : ما أسررت به ، والسريرة : عمل السر من خير أو شر .

(166) حاولوا : راموا وطلبوا . الأشياع : جمع شيعة ، وهي الأنصار والأتباع .

(167) السجية : الغريزة ، وما جبل عليه الإنسان . الخلائق ، جمع خليقة : وهي الطبيعة . البدع : جمع بدعة ، والمراد بها هنا : مستحدثات الأخلاق ، لا ما هو كالغرائز فيها .

(168) لا يرقع الناس : يقول : إنهم أعزة ، والكلام على التمثيل .

(169) أعفة ، جمع عفيف ، تقول : رجل عف وعفيف ، والأنثى عفيفة ، وعفة . والعفة : الكف عما لا يحل ويحمل ، لا يطبعون : أي لا يفعلون ما يدنسهم . وقوله : ولا يرديهم الطمع . أي : لا يطمعون طمعاً يؤدي بهم إلى الهلاك .

(170) لا يضنون : لايبخلون . الطبع : الدنس والعيب . وكل شين في دين أو دنيا ، فهو طبع .

(171) الزعانف من الناس : سفلتهم ، ومن لا خير فيهم .

(172) الخور : الضعفاء الذين لا بقاء لهم على الشدة . والجزع : نقيض الصبر .

(173) المكتنع : الداني القريب . بيشة : من عمل مكة مما يلي اليمين ، على خمس مراحل من مكة ، وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الأسد . الفدع : اعوجاج في الرسغ .

فَـإِنَّ فِـي حَـرْبِهِمْ -فَـاتْرُكْ عَـدَاوَتَهُمْ- سُـمًّا يُخَـاضُ عَلَيْـهِ الصَّـابُ وَالسَّـلَعُ[174]
أَكْـرِمْ بِقَـوْمٍ رَسُـولُ اللَّـهِ قَائِـدُهُمْ إِذَا تَفَرَّقَـتِ الأَهْـوَاءُ وَالشِّـيَعُ
أَهْـدَى لَهُـمْ مِـدَحِي قَلْـبٌ يُـؤَازِرُهُ فِيمَـا أَرَادَ لِسَـانٌ حَائِـكٌ صَـنَعُ[175]
فَـإِنَّهُمْ أَفْضَـلُ الأَحْيَـاءِ كُلِّهِـمِ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا[176]

فقام عطارد بن حاجب فقال :

أَتَيْنَـاكَ كَيْمَـا يَعْلَـمَ النَّـاسُ فَضْـلَنَا إِذَا اجْتَمَعُـوا وَقْـتَ احْتِضَـارِ الْمَوَاسِـمِ
بِأَنَّـا فُـرُوعُ النَّـاسِ فِـي كُـلِّ مَـوْطِنٍ وَأَنْ لَـيْسَ فِـي أَرْضِ الْحِجَـازِ كَـدَارِمِ[177]

فقام حسان بن ثابت فقال :

مَنَعْنَـا رَسُـولَ اللَّـهِ مِـنْ غَضَـبٍ لَـهُ عَلَـى أَنْـفِ رَاضٍ مِـنْ مَعَـدٍّ وَرَاغِـمِ
هَـلِ الْمَجْـدُ إِلا السُّـؤْدَدُ الْعَـوْدُ وَالنَّـدَى وَجَـاهُ الْمُلُـوكِ وَاحْتِمَـالُ الْعَظَـائِمِ[178]

قال : فقال الأقرع بن حابس : والله إن هذا الرجل لمؤتًى له ! والله لشاعره أشعر من شاعرنا ، ولخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولأصواتهم أرفع من أصواتنا ، أعطني يا محمد ، فأعطاه ، فقال : زدني ، فزاده ، فقال : اللهم إنه سيد العرب ، فنزلت فيهم ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾ [الحجرات : 4] ، ثم إن القوم أسلموا ، وأقاموا عند النبي صلى الله عليه وسلم يتعلمون القرآن ويتفقهون في الدين ، ثم أرادوا الخروج إلى قومهم ، فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم .

(ج3/ص118-122)

(174) يخاض : يخلط . والصاب والسلع : ضربان من الشجر مران .
(175) صنع : صانع حاذق .
(176) شمعوا : لم يجدوا ، والشمع : الطرب والضحك والمزاح .
(177) دارم : أبو حي من تميم .
(178) العود : القديم .

عجباً كيف حسَّنتم الفرار ؟ ! !

لما صار ابن الأشعث إلى رُتبيل ، تمثّل رتبيل بقول حسّان بن ثابت في الحارث بن هشام :

إنْ كُنْـــتِ كَاذِبَـــةَ الَّـــذِي حَـــدَّثْتِنِي فَنَجَـوْتُ مَنْجَـى الْحَـارِثِ بْـنِ هِشَـامِ
تَـــرَكَ الأَحِبَّـــةَ أَنْ يُقَاتِـــلَ دُونَهُـــمْ وَنَجَـــا بِـــرَأْسِ طِمـــرَّةٍ وَلِجَـــامِ

فقال له ابن الأشعث : أوَ ما سمعت ما ردّ عليه الحارث بن هشام ؟ قال : وما هو ؟ فقال : قال :

اللَّـــهُ يَعْلَـــمُ مَـــا تَرَكْـــتُ قِتَـــالَهُمْ حَتَّـــى رَمَـــوْا فَرَسِـــي بِأَشْـــقَرَ مُزْبَـــدِ
وعَلِمْـــتُ أَنِّـــي إِنْ أُقَاتِـــلْ وَاحِـــدًا أُقْتَـــلْ وَلا يَضُـــرُرْ عَـــدُوِّي مَشْـــهَدِي
فَصَـــدَدْتُ عَـــنْهُمْ وَالأَحِبَّـــةُ فِـــيهِمُ طَمَعًـــا لَهُـــمْ بِعِقَـــابٍ يَـــوْمٍ مُرْصَـــدِ

فقال رُتبيل : يا معشر العرب ، حَسَّنتم كلّ شيء ، حتى حَسَّنتم الفرار .

(ج3/ص126)

النابغة وحسان والأعشى والخنساء !

قال عمرو بن شبة : كان النابغة الذبياني يُضَربْ له قُبَّةً من أدم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء ، فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى والخنساء ، وقد أنشده شعره وأنشدته الخنساء قولها :

وَإِنَّ صَـــخراً لَمولانـــا وَسَـــيِّدُنا وَإِنَّ صَـــخراً إذا نَشـــتو لَنَحّـــارُ
وَإِنَّ صَـــخراً لَتَـــأتَمُّ الهُـــداةُ بِـــهِ كَأَنَّـــهُ عَلَـــمٌ فـــي رَأسِـــهِ نـــارُ

فقال : لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك لقلت : إنك أشعر الناس ، ولكنك أشعر من كل ذات هن ، فقالت : إي والله ، ومن كل ذي حصين . فقال حسان أنا –والله– أشعر منك ومنها ومن أبيك ، قال : حيث تقول ماذا ؟ قال حيث أقول :

لَنــا الجَفَنــاتُ الغُــرُّ يَلمَعــنَ بِالضُــحى وَأَســيافُنا يَقطُــرنَ مِــن نَجــدَةٍ دَمــاً
وَلَــدنا بَنــي العَنقــاءِ وَابنــي مُحَــرِّقٍ فَــأَكرِم بِنــا خــالاً وَأَكــرِم بِــذا اِبنَــا

فقالت له الخنساء : قلت : (الجفنات) فقللت العدد ، ولو قلت : الجفان لكان أكثر . وقلت : يلمعن بالضحى . ولو قلت : يشرقن بالدجى لكان أكثر ، لأن الإشراق أدوم من اللمعان . وقلت : بالضحى ، ولو قلت بالدجى لكان أبلغ في المديح ، لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً . وقلت : أسيافنا ، والأسياف دون العشرة ، ولو قلت : سيوف كان أكثر . وقلت : يقطرن ، فدللت على قلة القتل . ولو قلت : تجرين لكان أكثر لانصباب الدم . وقلت : دماً ، والدماء أكثر من الدم . وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك ، فقام حسان منكسراً منقطعاً .

ثم قال له النابغة . ولكنك لا تحسن أن تقول :

خَطَــاطِيفُ حُجْــنٌ فِــي حِبَــالٍ متينــةٍ تَمُــدُّ بهــا أَيــدٍ إِلَيْــكَ نَــوَازِعُ

(ج3/ص127-128)

بم استحققت لقب (الراوية) ؟

قال الوليد بن يزيد لحماد الراوية : بمَ استحققت هذا اللقب ، فقيل لك : الراوية ؟ فقال : بأني أروي لكل شاعر تعرفه أو سمعت به ، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ، ولم تسمع به ؛ ثم لا أُنشد شعراً قديماً أو محدثاً إلا ميزت القديم منه من المحدث . فقال : إن هذا لعلم –وأبيك– كثير! فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً ، ولكني

أُنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام . قال : سأمتحنك في هذا ، وأمره بالإنشاد . فأنشد الوليد حتى ضجر ، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين . وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم .

(ج3/ص149)

ما معنى قول ابن مزاحم ؟

قال الهيثم بن عدي يوماً لحماد الراوية : ألقِ عليَّ ما شئت من الشعر أفسره لك . فضحك وقال لي : ما معنى قول ابن مزاحم الثُّمالي :

تَخَــوَّفَ السَّــيْرُ مِنْهَــا تامِكــاً قَــرِداً كمَــا تَخَــوَّفَ عُــودَ النَّبْعَــةِ السَّــفَنُ[179]

فلم أدرِ ما أقول . فقال : تخوَّف : تنقَّص . قال الله عزَّ وجلّ : ﴿ **أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ** ... ﴾ [النحل : 47] أي : على تنقُّص .

(ج3/ص149-150)

ولا تشهرني بشعرك !

كتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال :

إنَّ لــــي حاجَــــةً فَرَأيَــــكَ فيهــــا لَــكَ نَفســي فِــدى مِــنَ الأَوصــابِ
وَهِــيَ لَيسَــت مِمّــا يُبَلِّغُهــا غَيــ ــري وَلا يَســتَطيعُها فــي كِتــابِ

(179) التامك : السنام . والقرد : المتلبد الصوف . والسفن : الحديدة التي تبرد بها القسي .

غَيـــرَ أَنّـــي أَقولُهـــا حـــينَ أَلقـــا كَ رُوَيـــداً أُسِـــرُّها فـــي حِجـــابِ

فكتب إليه الرجل : اكتب إليَّ بحاجتك ، ولا تَشهَرني بشعرك ، فكتب إليه حماد :

إِنَّـــي عاشِـــقٌ لِجُبَّتِـــك الدَّكـــ ـــناءِ عِشـــقاً قَـــد حـــالَ دونَ الشَـــرابِ
فَاكْسُـــنيها فَـــدَتْكَ نَفســـي وَأَهلـــي أَتَبـــاهى بِهـــا علـــى الأَصـــحابِ
وَلَـــكَ اللَـــهُ وَالأَمانَـــةُ أَن أَجـــ ـــعَلَها عُمرَهـــا أَميـــرَ ثِيـــابي

فبعث إليه بها . وقد رويت هذه القصة لمطيع بن إياس .

(ج3/ص155-156)

هذا الشعر جيد وليس له!

قَدِمَ حماد الراوية على بلال بن أبي بردة البصرة ، وعند بلال ذو الرُّمة ،فأنشده حماد شعراً مدحه به . فقال بلال لذي الرمة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيداً وليس له . قال : من يقوله ؟ قال : لا أدري ، إلا أنه لم يقله . فلما قضى بلال حوائج حماد وأجازه ، قال له : إن لي إليك حاجة . قال : هي مقضية . قال : أنت قلت ذلك الشعر ؟ قال : لا . قال : فمن يقوله ؟ قال : بعض شعراء الجاهلية ، وهو شعر قديم وما يرويه غيري . قال : فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام .

(ج3/ص158)

لقد أفسدحماد الشعر !

قال ابن الأعرابي : سمعت المفضل الضبي يقول :

قد سُلِّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً . فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطئ في روايته أم يَلْحَنُ ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ، لا ولكنه رجل علم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهبَ رجل ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك .!

(ج3/ص158-159)

لا يروى الشعرُ عن حماد !

اجتمع ذات يوم في دار المهدي بعيساباذ[180] ، عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب ، فدعا بالمفضل الضبي الراوية فدخل ، فمكث ملياً ثم خرج إلينا ومعه حماد والمفضل جميعاً وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم ، وفي وجه المفضل السرور والنشاط ، ثم خرج حسين الخادم معهما ، فقال يا معشر من حضر من أهل العلم ، إن أمير المؤمنين يُعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته ، فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل ، فسألنا عن السبب فأخبرنا أن المهدي قال للمفضل لما دعا به وحده : إني رأيت زهير بن أبي سلمى افتتح قصيدته بأن قال :

(180) عيساباذ : أي : عمارة عيسى ، لأن كلمة (باذ) فارسية معناها : عمارة ، وهذه محلة كانت شرقي بغداد ومنسوبة إلى عيسى بن المهدي وكانت إقطاعاً له .

دَعْ ذا، وعدِّ القولَ في هرمٍ

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعت يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً إلا أني توهمته كان يفكر في قول يقوله ، أو يُروِّي في أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال : دع ذا ، أو كان مفكراً في شي من شأنه فتركه وقال : دع ذا ، أي : دع ما أنت فيه من الفكر ، وعد القول في هرم ، فأمسك عنه . ثم دعا بحماد فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل ، فقال : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين ، قال : فكيف قال ؟ فأنشده :

لِمَـــنِ الـــدِيارُ بِقُنَّـــةِ الحِجـــرِ أَقـــوَينَ مُـــذْ حِجَـــجٍ وَمـــذ دَهـــرِ[181]

قَفـــر بِمُنـــدَفَعِ النَحائِـــتِ مِـــن ضَـــفوى أُولاتِ الضَّـــالِ وَالسِـــدرِ[182]

دَع ذا وَعَـــدِّ القَـــولَ فـــي هَـــرَمٍ خَيـــرِ الكُهـــولِ وَسَـــيِّدِ الحَضـــر

قال : فأطرق المهدي ساعة ، ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لا بد من استحلافك عليه ، ثم استحلفه بأيمان البيعة وكل يمين مُحرجة ليصدقنَّه عن كل ما يسأله عنه ، فحلف له بما توثق منه ، قال له : اصدقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير ، فأقر له حينئذ أنه قائلها ، فأمر له فيه وفي المفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكشفه .

(ج3/ص159-160)

(181) القنة : أعلى الجبل . والحجر : موضع بعينه وهو حجر اليمامة .

(182) النحائت : آبار في موضع معروف . ضفوى : مكان دون المدينة . الضال : السدر البري ، فإن نبت على شطوط الأنهار فهو عبري .

زياد يغضب من حماد

قال المسور العنزي –وكان من رواة العرب وكان أسنَّ من سماك بن حرب– عن حماد قال :

دخلت على زياد[183] فقال لي : أنشدني ، فقلت : مِنْ شعر مَنْ أيها الأمير ؟ قال : من شعر الأعشى ، فأنشدته :

بكَرَتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً أَجْمالها

قال : فما أتممت القصيدة حتى تبينت الغضب في وجهه ، وقال الحاجب للناس : ارتفعوا ، فقاموا ، ثم لم أعد والله إليه . قَالَ حماد : فكنت بعد ذلك إذا استنشدني خليفة أو أمير تنبهت قبل أن أنشده لئلا يكون في القصيدة اسم أم له أو ابنة أو أخت أو زوجة .

(ج3/ص161-162)

الشعراء والأمراء !

دخل ابن البواب الحاجب يوماً إلى المأمون وفي يده رقعةٌ فيها أبيات وقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشادها . فظنها له ؛ فقال : هات ، فأنشده :

أجِرْني فإني قد ظَمِئتُ إلى الوعد ... متى تُنجِزُ الوعدَ المؤكَّدَ بالعهدِ
أُعيذُك من خُلْف الملوك وقد بدا ... تقطُّع أنفاسي عليك من الوجدِ
أيَبخَلُ فَرْدُ الحسن عني بنائلٍ ... قليلٍ وقد أفردتُه بهوى فردِ

إلى أن بلغ إلى قوله :

(183) هو زياد بن أبيه ، وأمه سمية .

رأى اللَـهُ عبـدَ اللَـه خيـرَ عبـادِه فملَّكـه واللَـه أعلـمُ بالعبـدِ
ألا إنّمـا المـأمون للنـاس عصـمةٌ مميَّـزة بـين الضـلالة والرُّشـدِ

فقال المأمون : أحسنت يا عبد الله! . فقال : يا أمير المؤمنين ، بل أحسن قائلُها . قال : ومن هو ؟ قال : عبدك ، حسين بن الضحاك . فغضب ، ثم قال : لا حيَّا الله من ذكرتَ ولا بيَّاه ، ولا قرّ به ، ولا أنعم به عيناً! أليس هو القائل :

أعينـيَّ جُـودا وابكيـا لـي محمـداً ولا تـذْخَرا دمعـاً عليـه وأسـعِدا
فـلا تَمَّـت الأشـياءُ بعـد محمـد ولا زال شـملُ الملـك فيـه مبـدَّدا
ولا فـرح المـأمون بالمُلـك بعـده ولا زال فـي الـدنيا طريـداً مشـردا

هذا بذاك ، ولا شيء له عندنا . فقال له ابن البواب : فأين فضل إحسان أمير المؤمنين وسعة حلمه وعادته في العفو! فأمر بإحضاره . فلما حضر سلم ، فرد عليه السلام رداً جافياً . ثم أقبل عليه فقال : أخبرني عنك : هل عرفتَ ، يوم قَتل أخي محمد هاشمية قتلت أو هتكت ؟ قال : لا . قال : فما معنى قولك ؟ :

ومما شـجى قلبـي وكفكـف عبرتـي محـارم مـن آل النبـي اسـتحلتِ
ومهتوكـة بالجلـد عنهـا سـجوفها كعـاب كقـرن الشـمس حـين تبـدَّتِ
إذا حفزتهـا روعـة مـن منـازع لهـا المـرط عـاذت بالخشـوع ورنَّـتِ
وسِـرب ظبـاءٍ مـن ذُؤابـة هاشـمٍ هَـتفن بـدعوى خيـر حـيٍّ وميِّـتِ
أُردُّ يـدا منـي إذا مـا ذكرتُـه علـى كبـدٍ حَـرَّى وقلـبٍ مفتَّـتِ
فـلا بـات ليـلُ الشـامتين بغبطـة ولا بلَغـتْ آمـالُهم مـا تمنَّـتِ

فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعةٌ غلبتني ، وروعةٌ فاجأتني ، ونعمة فقدتُها بعد أن غمرتْني ، وإحسان شكرته فأنطقني ، وسيد فقدته فأقلقني . فإن عاقبت فبحقك ، وإن عفوت فبفضلك . فدمعت عينا المأمون ، وقال : قد عفوت عنك وأمرت لك بإدرار أرزاقك عليك ، وإعطائك ما فات منها ، وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي عن استخدامك .

(ج3/ص170-171)

ويلك اكفُفْ غربَ لسانك !

قال الحسين بن الضحاك : كنت عازماً على أن أرثي الأمين بلساني كله ، وأشفي لوعتي ، فلقيني أبو العتاهية ، فقال لي : يا حسين ، أنا إليك مائل ، ولك محب ، وقد علمت مكانك من الأمين ، وإنه لحقيق بأن ترثيه ، إلا أنك قد أطلقت لسانك في التلهف عليه ، والتوجع له بما صار هجاءً لغيره ، وثلباً له ، وتحريضاً عليه ، وهذا المأمون منصب إلى العراق ، قد أقبل عليك ، فأبق على نفسك ، يا ويحك يا حسين ، أتجسر على أن تقول :

تركـــوا حـــريمَ أبـــيهمُ نَفَـــلاً فالمُحْصَـــناتُ صـــوارخٌ هُتُـــفُ

هيهـــاتَ بعـــدَك أن يـــدومَ لهـــم عـــزٌّ وأن يبقـــى لهـــم شَـــرَفُ

ويلك ! اكففْ غرب لسانك ، واطْوِ ما قد انتشر عنك ، وتلافَ ما فرط منك . فعلمت أنه قد نصحني فجزيته الخير ، وقطعت القول ، فنجوت برأيه ، وما كدت أنجو .

(ج3/ص172)

كيف ظريف شعرائكم ؟

قال لي محمد بن عباد المهلبي : قال لي المأمون وقد قدمت من البصرة : كيف ظريف شعرائكم وواحد مِصْركم ؟ قلت : ما أعرفه . قال : ذاك الحسين بن الضحاك ، أشعر شعرائكم ، وأظرف ظرفائكم . أليس هو الذي يقول :

رأى اللهُ عبـــدَ الله خيـــرَ عبـــاده فملكـــه والله أعلـــم بالعبـــدِ

قال : ثم قال لي المأمون : ما قال فيَّ أحد من شعراء زماننا بيتاً أبلغ من بيته هذا ، فاكتب إليه فاستقدمه . وكان حسين عليلاً ، وكان يخاف بوادر المأمون لما فرط منه ، فكان يكره لقاءه . فقلت للمأمون : إنه عليل يا أمير المؤمنين ، علته تمنعه من الحركة والسفر . قال

: فخذ كتاباً إلى عامل خراجكم بالبصرة حتى يُعطيه ثلاثين ألف درهم . فأخذت الكتاب بذلك وأنفَذتُه إليه فقبض المال .

(ج3/ص172-173)

الضحاك يمدح المعتصم

لما ولي المعتصم الخلافة بعد المأمون ، سأل عن الحسين بن الضحاك ، فأخبر بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه . فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدم . فلما دخل وسلم ، استأذن في الإنشاد ، فأذن له ، فأنشده قوله :

هــــلاّ ســـألت تلـــذُّذَ المُشـــتاقِ وَمَنَنْـــت قبـــل فراقـــه بـــتَلاقِ
إنّ الرقيـــب ليَسْـــتريبُ تنفُّســـاً صُـــعُداً إليـــك وظـــاهرَ الإقـــلاقِ
ولـــئن أرَبْـــتُ لقـــد نظـــرتُ بمقلـــةٍ عَبْـــرى عليـــك ســـخينةِ الآمـــاقِ[184]
نفســـي الفِـــداءُ لخـــائفٍ مترقِّـــب جعـــل الـــوَداعَ إشـــارةً بِعنـــاقِ
إذ لا جـــوابَ لمُفْحَـــمٍ متحيِّـــرٍ إلا الـــدموعُ تُصـــان بـــالإطراقِ

حين انتهى إلى قوله :

خيـــرُ الوُفـــود مبشِّـــرٌ بخلافـــةٍ خَصَّـــتْ ببهجتهـــا أبـــا إســـحاقِ
وَافتْـــه فـــي الشـــهر الحـــرام ســـليمةً مـــن كـــلِّ مُشْـــكلة وكـــلِّ شِـــقاقِ
أعطتـــه صـــفقتَها الضـــمائرُ طاعـــةً قبـــل الأَكُـــفِّ بأوكـــد الميثـــاقِ
ســـكن الأنـــامُ إلـــى إمـــام ســـلامةٍ عـــفِّ الضـــمير مهـــذَّبِ الأخـــلاقِ
فحمـــى رعيَّتَـــه ودافـــع دونهـــا وأجـــار مُمْلِقَهـــا مـــن الإمـــلاقِ

حتى أتمها . فقال له المعتصم : أُدن مني ، فدنا منه ، فملأ فمه جوهراً من جوهر كان

(184) أراب الرجل : كان ذا ريبة .

بين يديه ، ثم أمره بأن يخرجه من فيه ، فأخرجه ، وأمر بأن يُنظم ويُدفع إليه ، ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ، ويعرفوا فعله ، فكان أحسن ما مُدِح به يومئذ .

(ج3/ص173-174)

الضحاك وفتح عمورية

لما افتتح المعتصم عمورية ، مدحه الشعراء بذلك ، ووصفوا حسن فعله ، وكان أحسن ما مدح به يؤمئذ وما قدمه أهل العلم على سائر ما قالته الشعراء ، قول حسين بن الضحاك حيث قال :

قُل للأُلى صرَفوا الوجوه عن الهدى ... متعسِّفين تعسُّف المُرَّاقِ

إني أُحذِّركم بوادِرَ ضَيغَمٍ ... دَرِبٍ بحطمِ موائل الأعناقِ

متأهِّب لا يستفِزُّ جَنانَه ... زَجَلُ الرُّعودِ ولامعُ الإبراقِ

لم يَبقِ من متعرِّمين توثبوا ... بالشام غيرُ جماجمٍ أفلاقِ[185]

من بين مُنجدِلٍ تُمجُّ عروقُه ... عَلَقَ الأخادع أو أسير وَثاقِ[186]

وثَنى الخيولَ إلى معاقلِ قَيصَرٍ ... تختال بين أحزَّةٍ ورِقاقِ[187]

يحمِلن كلَّ مُشمِّرٍ مُتغشِّمٍ ... ليثٍ هِزْبرٍ أهرتِ الأشداقِ[188]

حتى إذا أمَّ الحصونَ مُنازِلاً ... والموتُ بين ترائبٍ وتراقِ[189]

هَرَّت بطارقُها هريرَ قَساورٍ ... بُدِهَت بأكرَهِ منظر ومذاقِ[190]

---

(185) المتعرمون : ذو العرامة ، وهي الشراسة والحدة في الخلق .

(186) العلق : الدم . والأخادع : عروق في العنق .

(187) الأحزة : جمع حزيز ، وهو الغليظ من الأرض . والرقاق : المستوية اللينة منها .

(188) المتغشم : الغضوب . وهرت الأشداق : سعتها . والأسود توصف بذلك .

(189) الترائب : عظام الصدور ، وفوقها التراقي ، مفرده ترقوة .

(190) هرت : صوتت . والقساور : الشجعان والأعزة والأشداء من الرجال ، واحده : قسورة . وبدهت : بغتت .

ثـــم اســـتكانت للحصـــار ملوكُهـــا ذُلاً ونـــاطَ حُلوقَهـــا بِخنـــاقِ[191]
هَرَبـــتْ وأســـلمتِ الصـــليب عشـــيَّةً لـــم يَبْـــق غيـــرُ حشاشَـــة الأرمـــاقِ

فأمر له المعتصم عن كل بيت بألف درهم ، وقال له : أنت تعلم يا حسين أن هذا أكثر ما مدحني به مادح في دولتنا .

(ج3/ص174-175)

أنا في ذمة السحاب وأظمأ !

لما أعيت حسين بن الضحاك الحيلة في رضا المأمون عنه ، رمى بأمره إلى عمرو بن مسعدة ، وكتب إليه :

أنـتَ طَـودي مـن بـين هـذي الِهضـابِ وشِـــهابي مـــن دون كـــلِّ شِـــهابِ
أنـــتَ يـــا عمـــرو قـــوَّتي وحيـــاتي ولســـاني وأنـــت ظُفـــري ونـــابي
أتُرانـــي أنســـى أياديـــك البـــيضَ إذ اســـودَّ نائـــلُ الأصـــحابِ
أيـن عطـفُ الكـرام فـي مـأقِطِ الحـا جـــة يحمـــون حَـــوزةَ الآدابِ[192]
أيـــن أخلاقُـــك الرضـــيَّةُ حالـــت فـــيَّ أم أيـــن رِقَّـــةُ الكتـــابِ ؟
أنـــا فـــي ذمَّـــة السَّـــحاب وأظمـــا ! إنَّ هـــذا لوصـــمةٌ فـــي الســـحابِ
قُـــم إلـــى ســـيِّد البريَّـــة عنـــي قومـــةً تَســـتجِرُّ حســـنَ خطـــابِ
فلعـــل الإلـــه يُطفـــئ عنـــي بـــك نـــاراً علـــيَّ ذاتَ التِهـــابِ

فلم يزل عمرو يلطف للمأمون حتى أوصله إليه وأدرَّه أرزاقه .

(ج3/ص175-176)

---

(191) الخناق : ما يخنق به من حبل أو وتر ونحوه .

(192) المأقط : المضيق في الحرب ، وقد وردت هنا على وجه الاستعارة .

يا أبا محمد أَلِنْ جانبك . . !

اجتمع أصحاب الحديث على سفيان بن عيينة فازدحموا ، فقال : لقد هممت ألا أُحدثكم شهراً . فقام إليه فتى من أهل العراق ، فقال له : يا أبا محمد ، أَلِن جانبك ، وحسِّن قولك ، وتأس بصالحي سلفك ، وأجمل مجالسة جلسائك ، فقد أصبحت بقية الناس ، وأميناً لله ورسوله على العلم ، والله إن الرجل ليريد الحج فتتعاظمه مشقته حتى يكاد أن يقيم ، فيكون لقاؤه إياك وطمعه فيك من أكبر ما يحركه عليه ، قال : فخضع سفيان وتواضع ورقَّ وبكى ، ثم تمثل بقول حارثة بن بدر :

خَلَتِ الديارُ فَسُدْتُ غير مُسَوَّدِ ومِنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بالسُّؤْدُدِ

ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا .

(ج3/ص199)

سَوَّدني قومي حين ذهب خيارهم!

اجتاز حارثة بن بدر الغداني بمجلس من مجالس قومه من بني تميم ومعه كعب مولاه ، فلما اجتاز بالقوم قاموا إليه وقالوا : مرحباً بسيدنا . فلما ولى قال له كعب : ما سمعتُ كلاماً قط أقرَّ لعيني ولا ألذّ لسمعي من هذا الكلام الذي سمعته اليوم . فقال له حارثة : لكني لم أسمع كلاماً قط أكره لنفسي وأبغض إليَّ مما سمعته . قال : ولم ؟ قال : ويحك يا كعب ، إنماسوَّدني قومي حين ذهب خيارهم وأماثلهم ، فاحفظ عني هذا البيت :

خلَت الدِّيَارُ فَسُدْتُ غير مُسَوَّدِ ومن الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بالسُّودُدِ

(ج3/ص199-200)

إلا من تاب

كان حارثة بن بدر الغداني سعى في الأرض فساداً ، فأهدر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه دمه ، فهرب فاستجار بأشراف الناس ، فلم يُجره أحد ، فقيل له : عليك بسعيد بن قيس الهمداني ، فلعله يُجيرك ، فطلب سعيداً ، فلم يجده ، فجلس في طلبه حتى جاء ، فأخذ بلجام فرسه ، فقال : أجرني ، أجارك الله . قال : ويحك ! ما لك ؟ قال : أهدر أمير المؤمنين دمي . قال : وفيم ذاك ؟ قال : سعيت في الأرض فساداً . قال : ومن أنت ؟ قال : حارثة بن بدر الغداني ، قال : أقم .

وانصرف إلى علي رضي الله عنه ، فوجده قائماً على المنبر يخطب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ؟ قال : أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض . قال : يا أمير المؤمنين ، إلا مَن ؟ قال : إلا من تاب . قال : فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً ، وقد أجرته . قال : أنت رجل من المسلمين ، وقد أجرنا مَن أجَرت ، ثم قال علي رضي الله عنه ، وهو على المنبر : أيها الناس ، إني كنت نذرت دم حارثة بن بدر ، فمن لقيه فلا يَعرض له . فانصرف إليه سعيد بن قيس ، فأعلمه وحمله وكساه ، وأجازه بجائزة سنيَّة ، فقال فيه حارثة بن بدر :

أساغ في الحلق ريقاً كان يُجْرِضُني ... وأظهر الله سرِّي بعد كتماني

إني تداركني عفٌّ شمائلهُ ... آباؤُه حين يَنْمي خيرُ قحطانِ

ينميه قيسٌ وزيدٌ والفتى كَرِبٌ ... وذو جَبائرَ من أولاد عثمانِ

الله يَجزي سعيدَ الخير نافلةً ... أعني سعيدَ بن قيس قَرْم همدانِ

أنقّتني مِن شَفا غبراءَ مظلمةٍ ... لولا شفاعتُه أُلبِستُ أكفاني

قالت تميمُ بنُ مرٍّ لا نُخاطبه ... وقد أبتْ ذلكمْ قيسُ بنُ عَيلانِ

وذو رُعين وسيفٌ إبن ذي يزنٍ ... وعلقمٌ قبلهم أعني ابن نبهانِ

فلما أراد الانصراف إلى البصرة شيعه سعيد بن قيس إلى نهر النصريين في ألف راكب وحمله وجهزه ، فقال حارثة يمدحه :

لقــد سُــررْت غَــداةَ النهــر إذ بــرزَتْ أشــياخٌ همــدانَ فيهــا المجــد والخِيــرُ
يقـــودهم ملـــكٌ جَـــزْلٌ مواهبُـــه واري الزنــاد لــدى الخيــرات مــذكورُ
أعنــي سـعيدَ بـن قـيس خيـر ذي يمـنٍ حــامي الــذمار لــدى الســلطان مجبــورُ
مـــا إن يلـــين إذا مـــا ســـيم منقصـــةً لكـــنْ لـــه غضـــبٌ فيهـــا وتنكيـــرُ
أغـــرُّ أبلـــجُ يُستســـقى الغمـــام بـــه جنابُــه الــدهرَ يُضــحي وهــو ممطــورُ

(ج3/ص200-201)

مساجلة أنس وحارثة!

كان أنس بن زنيم الليثي صديقاً لعبيد الله بن زياد ، فرأى منه جفوة وأثرة لحارثة بن بدر الغداني فقال :

أُهـــان وأُقصـــى ثـــم تَنْتصِـــحونني وأيُّ امـــرىء يُعطـــي نصـــيحته قَسْـــرَا
رأيـــتُ أَكُـــفَّ المُصْـــلِتينَ علـــيكُمُ مِـــلاءً وكفِّـــي مـــن عَطايـــاكُم صِـــفْرا
فـإن تَسـألوني مـا علـيّ وتمنعـوا الَّـ ـذِي لـيَ لـم أسـطِعْ علـى ذلكـم صـبرا
فحمـداً صَـرَفت النـاس عمـا يـريبكم ولـو شـئت قـد أعليـت فـي حـربكم قـدرا
رأيـــتكمُ تُعطـــون مـــن تَرهبونـــه زَرابيَّـــةً قـــد وُشِّـــحتْ حَلَقـــاً صُـــفرا[193]
وإنِّـــي مـــع الســـاعي علـــيكم بســـيفه إذا عَظْمكـــم يومـــاً رأيـــتُ بـــه كَســـرا

فقال عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر : أجبه ، فاستعفاه لمودة كانت بينهما ، فأكرهه على ذلك ، وأقسم عليه ليجيبنه ، فقال :

تبـــــدلْتُ مـــــن أنـــــسٍ إنَّـــــهُ كَـــــذَوبُ المـــــودَّةِ خَوَّانُهـــــا
أراهُ بصـــــيراً بضُـــــرِّ الخليـــــ ـــــل وشَـــــرُّ الأخـــــلاَّءِ عُورَانُهـــــا

(193) الزاربية : تكون بمعنى الزرابي ، وهي العبقري من الثياب .

فأجابه أنس فقال :

إن الخيانـــــةَ شـــــرُّ الخَليـــــلِ والكُفْـــــرُ عنـــــدك دِيوانُهـــــا
بَصُـــرْتَ بـــه فـــي قـــديم الزمـــانِ كمـــا بَصُـــرَ العـــينَ إنســـانُها

فأجابه حارثة بن بدر فقال :

أَلِكنـــــي إلـــــى أنـــــسٍ إنَّـــــه عَظِـــيمُ الحُوَاشَـــة عِنْـــدِي مَهِيـــبْ[194]
فمـــا أَبْتَغِـــي عَثَـــراتِ الخليـــلِ وَلاَ أَتبغَّـــــى عليـــــهِ الوثـــــوبْ
ومـــــا إن أَرَى مالَـــــهُ مغنمـــــاً مـــن الـــدهر إنْ أعـــوزتني الكُسُـــوبْ

فقال أنس :

أحـــارِ بـــنَ بـــدرٍ وأنـــت امـــرؤٌ لَعمـــري المتـــاعُ إلـــيَّ الحبيـــبْ
متـــى كـــان مالُـــكَ لـــي مَغْنَمـــاً مـــن الـــدهرِ إن أعـــوزتِني االكُسُـــوبْ
وشـــرُّ الأخـــلاَّءِ عنـــد الـــبلاءِ وعنـــد الرزيَّـــةِ خِـــلٌّ كَـــذُوبْ

قال : فتهادى أنس وحارثة الشعر عند عبيد الله زماناً ، ووقع بينهما شر ، حتى قدم سلم بن زياد من عند يزيد بن معاوية عاملاً على خراسان وسجستان ، فجعل ينتخب ناساً من أهل البصرة والكوفة ، وكان الذي بين عبيد الله وبين سلم سيئاً ، فأرسل سلم إلى أنس يعرض عليه صحبته ، وجعل له أن يستعمله على كورة فقال له أنس : أمهلني حتى أنظر في أمري . وكتب إلى عبيد الله بن زياد :

ألـــم تَرَنِـــي خُيِّـــرْتُ والأمـــرُ واقـــعٌ فمـــا كنـــت لمـــا قلـــت بـــالمُتخيِّرِ
رِضـــاك علـــى شـــيءٍ ســـواهُ ومـــن يكـــن إذا اختـــار ذا حـــزمٍ مـــن الأمـــر يَظْفَـــرِ
قعـــدْت لترضَـــى عـــن جهـــادٍ وصـــاحبٍ شـــفِيقٍ قَـــدِيمِ الـــوُدِّ كـــان مُـــؤَمِّري
علـــى أحـــد الثَّغـــرينِ ثـــم تركتُـــه وقـــد كنـــتَ فـــي تـــأميرِه غيـــر مُمْتَـــرِي
فأمســكتُ عــن سَــلْمِ لســاني وصُــحبتي ليعـــرفَ وجـــه العُـــذرِ قبـــل التَّعـــذرِ
فـــإن كنـــتَ لمَّـــا تَـــدْرِ مـــا هـــي شـــيمتي فَســـلْ بـــيَ أكفَـــائي وسَـــلْ بِـــيَ معشَـــرِي

(194) ألكني : كن رسولاً لي إليه بهذا القول . والحواشة : الاستحياء ، والحواشة من الأمر : ما فيه فظيعة .

ألستُ مع الإحسانِ والجُودِ ذا غِنىً ... وبأسٍ إذا ما كُفِّروا في التَّسَتُّرِ
ورائي وقد أعصي الهوى خشيةَ الرَّدَى ... وأعرفُ غِبَّ الأمرِ قبلَ التَّدبُّرِ
وما كنتُ لولا ذاك ترتدُّ بُغيتي ... عليَّ ارتدادَ المُظلِمِ المُتَجَبِّرِ

ودفعها إلى عبيد الله بن زياد في صحيفة ، فقرأها ثم دفعها إلى حارثة بن بدر ، وقال له : اردد على أنس صحيفته فلا حاجة لنا فيها ، فقال حارثة :

أَلِكْني إلى مَنْ قال هذا وقُلْ له : ... كذبتَ فما إنْ أنت بالمتخيِّرِ
وإنك لو صاحبتَ سَلْماً وجدتَه ... كعهدِكَ عَهْدِ السَّوءِ لَمْ يَتَغَيَّرِ
أتنصحُ لي يوماً ولستَ بناصحٍ ... لنفسكَ فَاغْشُشْ ما بدا لك أو ذَرِ
كذبتَ ولكنْ أنت رَهْنٌ بِخزْيَةٍ ... ويومٍ كأيَّامٍ عَبُوس مُذَكَّرِ
كَأَشْقَرَ أَضْحَى بين رُمحينِ إنْ مَضَى ... على الرُّمْحِ يُنْحَرْ أَو تَاَخَّر يُعْقَرِ

وأعجبت عبيد الله وقال : لعمري لقد أجبته على إرادتي . وأمسكها عبيد الله في يده ، فلما دخل عليه أنس دفعها إليه ، فنظر فيها ثم قال لعبيد الله : لقد رد عليَّ من لا أستطيع جوابه ، وظن أن عبيد الله قالها ، وخرج أنس والصحيفة في يده ، فلقيه عبد الرحمن بن رألان فدفعها إليه أنس ، فلما قرأها قال ، هذا شعر حارثة بن بدر أعرفه . فقال له أنس : صدقت والله . ثم قال لحارثة بن بدر :

عجبتُ لِهَرْجٍ من زمانٍ مُضلَّلِ ... ورأيٍ لألبابِ الرجالِ مُغَيَّرِ[195]
ومن حِقْبةٍ عَوْجاءَ غَولٍ تلبَّستْ ... على الناسِ جِلْدَ الأَرْبَدِ المُتَنَمِّرِ
فلا يُعْرَفُ المعروفُ فيه لأهله ... وإن قِيلَ فيه مُنْكَرٌ لم يُنَكَّرِ
لحارثةَ المُهْدِي الخَنَى لِيَّ ظالماً ... ولم أرَ مِثْلي يَدَّري صَيْد مُدَّري[196]
أحارِ بن بدرٍ قد أتتنِي مقالةٌ ... فما بال نُكْرٍ منك من غير مُنكرِ
أيَروي عليك الناسُ ما لا تقُولُه ... فَتُعْذَرَ أم أنت امرؤٌ غيرُ مُعْذَرِ
فإنْ يك حقّاً ما يُقالُ فلا يكُن ... دَبيباً وجاهِرْني فما من تَسَتُّرِ

---

(195) الهرج : الاختلاط والفتنة .

(196) أدرى الصيد : ختله .

أُقَلِّـدْكَ إن كنـتَ امـرأً خـانَ عِرْضُـه ... قـوافِيَ مـن بَـاقِي الكـلام المُشَـهَّرِ
وقـد كنـتَ قبـل اليـومِ جرَّبـتَ أنَّنـي ... أَشُـقُّ علـى ذي الشِّـعْرِ والمُتَشَـعِّرِ
وإن لسـاني بالقصـائد مـاهرٌ ... تَعِـنُّ لـه غُـرُّ القـوافي وتَنْبَـرِي
أصـادِفُها حينـاً يسـيراً وأبتغِـي ... لهـا مـرَّةً شَـزْراً إذا لـم تَيَسَّـرِ[197]
تنـاوَلُنِي بالشـتم فـي غيـر كُنْهِـه ... فمَهـلاً أبـا الخَيْمَـاءِ وابـنَ المُعَـذّرِ
هجوتَ وقد سَامَاكَ في الشعر خُطَّةَ الـ ... ـذَّلِيلِ ولـم يفعـل كأفعـال مُنْكِـرِ

وقال أنس بن زنيم لعبيد الله بن زياد :

سَـلْ أميـري مـا الـذي غيَّـرهُ ... عـن وِصَـالي اليـومَ حتـى وزَعَـهْ[198]
لا تُهِنّـي بعـد إكرامـك لـي ... فشـديدٌ عـادةٌ مُنْتَزَعَـهْ
لا يكـن وعْـدُك بَرْقـاً خُلَّبـاً ... إنَّ خيـر البـرقِ مـا الغيـثُ مَعَـهْ

(ج3/ص206-207)

خذِ الخراج نجوماً !

استعمل زيادٌ حارثةَ بن بدر على جند نيسابور ، فغاب عنه أشهراً ، ثم قدم فدخل عليه ، فقال له : ما جاء بك ، ولم أكتب إليك ؟ قال : استنظفتُ خراجك ، وجئت به ، وليس لي بها عمل ، فما مقامي ؟ قال : أوَ بذلك أمرتكَ ؟ ارجع ، فاردُدْ عليهم الخراج ، وخذه منهم نجوماً حتى تنقضي السنة ، وقد فرغت من ذلك ، فإنه أرفق بالرعية وبك ، واحذر أن تحملهم على بيع غلاتهم ومواشيهم ولا التعنيف عليهم ، فرجع فردَّ الخراج

(197) الشزر : الشدة والصعوبة .

(198) وزعه : كفه .

عليهم ، وأقام يستخرجه منهم نجوماً ، حتى مضت السنة .

(ج3/ص207)

اكسروا رجل كعب!

اشتكى حارثة بن بدر وأشرف على الموت ، فجعل قومه يعودونه ، فقالوا له : هل لك من حاجة أو شيء تريده ؟ قال : نعم ، اكسروا رجل مولاي كعب لئلا يبرح من عندي ، فإنه يؤنسني ففعلوا ، وأنشأ يقول :

يا كَعْبُ مَهْلاً فلا تَجْزَع على أَحَدٍ ... يا كَعْبُ لم يَبْقَ منَّا غيرُ أَجْسَادِ

يا كَعْبُ مَا رَاحَ من قَوْمٍ ولا بكَرُوا ... إلا وللْمَوْتِ في آثارِهِمْ حَادي

يا كعبُ ما طَلَعَتْ شمسٌ ولا غَرُبَتْ ... إلا تُقَرِّبُ آجالاً لمِيعَادِ

يا كَعْبُ كم من حِمَى قَوْمٍ نَزلْتُ بِهِ ... على صَوَاعِقَ من زَجْرٍ وإِيعَادِ

فإنْ لَقِيتَ بوادٍ حيَّةً ذَكَراً ... فَاذْهَبْ ودَعْني أُمَارِسْ حَيَّة الوَادي

(ج3/ص208)

هذا لعمركم البيان الصريح

قال زياد يوماً لحارثة بن بدر : من أخطب الناس ؟ أنا أو أنت ؟ فقال : الأمير أخطب مني إذا توعد ووعد ، وأعطى ومنع وبرق ورعد ، وأنا أخطب منه في الوفادة وفي الثناء والتحبير ، وأنا أكذب إذا خطبت ، فأحشوا كلامي بزيادة مليحة شهية . والأمير يقصد إلى الحق وميزان العدل ، ولا يزيد فيه شعيرة ولا ينقص منه . فقال له زياد : قاتلك الله

، فلقد أجدت تخليص صفتك وصفتي من حيث أعطيت نفسك الخطابة كلها ، وأرضيتني وتخلصت ، ثم التفت إلى أولاده ، فقال : هذا لعمركم البيان الصريح .

(ج3/ص209)

ولا إن غويتَ أعصيك !

كان مالك بن أبي السمح الطائي المغني صديقاً للحسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن العباس ونديماً ، وكان يتغنى في أشعاره ، وله :

لا عَـيْشَ إلاَّ بمالـكِ بـن أبـي السَّمـ ـــحِ فـــلا تَلْحَنِـــي ولا تَلُـــمِ
أَبْـيَضُ كالسـيف أو كمـا يَلْمَـعُ الْبـا رِقُ فـــي حِنْـــدِسٍ مـــن الظُّلَـــمِ
يُصِـــيبُ مِـــنْ لَـــذَّةِ الكـــريمِ ولا يَهْتِـــكُ حـــقَّ الإســـلامِ والحُـــرَمِ
يـــا رُبَّ ليـــلٍ لنـــا كحاشـــيةِ الْبُـــرْ دِ ويـــومٍ كـــذاكَ لـــم يَـــدُمِ
قـد كنـتُ فيـه ومالِـكُ بـن أبـي السَّمـ ـــح الكـــرِيم الأخـــلاقِ والشِّـــيَمِ
مَـــنْ لـــيس يَعْصِـــيك إنْ رَشَـــدْتَ ولا يَجْهَـــلُ آيَ التَّـــرْخِيص فـــي اللَّمَـــمِ

فقال له مالك : ولا إن غويت –والله بأبي أنت وأمي– أعصيك .

(ج3/ص211)

أبو زبيد يروي قصة الأسد

كان أبو زبيد الطائي أعور أفوه آدم طويلاً ، كان طوله ثلاثة عشر شبراً ، وكان من أحسن الناس وأجملهم ، وكان من زوار الملوك وخاصة ملوك العجم ، وكان عالماً بسيرهم .

وهو من المعمرين ، ذكر أنه عمر مائة وخمسين سنة . وكان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه يُقربه من ذلك ويدني مجلسه ، فحضر ذات يوم عثمان وعنده المهاجرون والأنصار ، فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها ، فالتفت عثمان إلى أبي زبيد وقال : يا أخا تُبَّع المسيح ، أسمعنا بعض قولك ، فقد أُنبئت أنك تجيد . فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

مَـن مُبْلِـغٌ قَومَنـا النـائينَ إذ شَـحَطوا أنَّ الفُـؤادَ إلَـيهم شَـيِّقٌ وَلِـعُ[199]

ووصف فيها الأسد . فقال عثمان رضي الله تعالى عنه : تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت . والله إني لأحسبك جباناً هِداناً[200] . قال : كلا يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيت منه منظراً ، وشهدت منه مشهداً ، لا يبرح ذكره يتجدد ويتردد في قلبي ، ومعذور أنا يا أمير المؤمنين غير ملوم . فقال له عثمان رضي الله عنه : وأنى كان ذلك ؟ قال :

خرجت في صُيَّابة[201] أشرافٍ من أفناء قبائل ذوي هيئةٍ وشارةٍ حسنة ، ترتمي بنا المهاري[202] بأكسائها[203] ، ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشأم ، فاخرَوَّط[204] بنا السير في حمارَّة القيظ ، حتى إذا عصبت الأفواه[205] ، وذبلت الشفاه ، وشالت المياه[206] ، وأذكت الجَوزاءُ الْمَعزاءَ[207] ، وذاب الصيهَد[208] وصرَّ الجُندَب[209] ، وضاف العصفور الضبَّ وجاوره في حجره ، قال قائل : أيها الركب غَوِّروا[210] بنا في

---

(199) شحطوا : بعدوا . وشيق : مشتاق .

(200) الهدان : بكسر الهاء : الأحمق الثقيل .

(201) صياب القوم : خيارهم وسادتهم .

(202) المهاري : جمع مهرية ، منسوبة إلى مهرة : حي من قضاعة من عرب اليمن ، وقيل : نسبة إلى البلد . والإبل المهرية : نجائب تسبق الخيل .

(203) أكساء :جمع كسى ، بالضم ، وهو مؤخر العجز .

(204) اخروط : طال .

(205) عصبت الأفواه : جفت .

(206) شالت المياه : قلت .

(207) المعزاء : الأرض الصلبة كثيرة الحصى .

(208) الصيهد : السراب الجاري وشدة الحر .

(209) صر : صوت . والجندب : الصغير من الجراد .

(210) غور الرجل : أتى الغور ، وهو ما انحدر من الأرض .

ضَوج[211] هذا الوادي ، وإذا وادٍ قد بدا لنا ، كثير الدَّغل[212] دائم الغَلل[213] ، شجراؤه مُغِنَّةٌ ، وأطياره مُرِنَّة[214] . فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلات[215] ، فأصبنا من فضلات الزاد ، وأتبعناها الماء البارد .

فإنا لنصف حرّ يومنا ومماطلته[216] ، إذ صرَّ أقصى الخيل أُذنيه[217] ، وفحص الأرض بيديه . فوالله ما لبث أن جال ، ثم حمحم[218] فبال ، ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحداً فواحداً ، فتضعضعت الخيل ، وتكعكعت[219] الإبل ، وتقهقرت البغال ، فمن نافرٍ بشكاله[220] وناهض بعقاله . فعلمنا أن قد أُتينا وأنه السَّبع ، ففزع كل رجل منا إلى سيفه فاستله من جُرُبَانه[221] ؛ ثم وقفنا له رزدقاً -أي صفاً- وأقبل أبو الحارث[222] من أجمته يتطالع في مشيته من نعته ، كأنه مجنوب[223] ، أو في هجار[224] معصوب ، لصدره نحيط[225] ، ولبلاعمه غطيط ، ولطرفه وميض ، ولأرساغه نقيض[226] ، كأنما يخبط هشيماً أو يطأ صريماً[227] . وإذا هامةٌ كالمِجَنِّ[228] وخدٌّ كالمسنِّ[229] وعينان سجراوان[230] كأنهما

---

(211) الضوج : منعطف الوادي .

(212) الدغل : الشجر الكثير الملتف .

(213) الغلل : الماء الذي يجري بين الأشجار .

(214) مرنة : مصوتة ، يريد : مغردة .

(215) الكنهبل : كسفرجل ، وتضم باؤه :شجر عظام .

(216) مماطلته : طوله وامتداده .

(217) صر أذنيه : سواهما ونصبهما للاستماع .

(218) الحمحمة : صوت الفرس دون الصهيل .

(219) تكعكعت : تأخرت إلى وراء .

(220) الشكال : بالكسر ، الحبل الذي تشد به قوائم الدابة .

(221) جربان السيف : غمده .

(222) أبو الحارث : كنية الأسد .

(223) المجنوب : المصاب بذات الجنب .

(224) الهجار : حبل يشد في رسغ البعير ، ثم يشد إلى حقوه .

(225) نحيط : زفير .

(226) نقيض الأرساغ : صوتها .

(227) الصريم : الحب المقطوع من الزرع .

(228) المجن : الترس ، وهو صفحة من الحديد مستديرة ، تحمل للوقاية من السيف ونحوه .

سـراجان يَقِـدان[231] ، وقصـرة رَبِلَـةٌ[232] ولهزمـة رهلـة[233] وكتـدٌ مِغـبط[234] ، وزَورٌ مُفـرط[235] ، وسـاعد مجـدول ، وعضـد مفتـول ، وكـف شـثنة البـراثن[236] ، إلى مخالـب كالمحاجن[237] . فضرب بيده فأرهج[238] ، وكشر فأفرج عن أنياب كالمعاول[239] مصقولة ، غير مفلولة ، وفم أشدق[240] ، كالغار الأخرق . ثم تمطى فأسرع بيديه ، وحفز[241] وَرِكَيه برجليه ، حتى صار ظِلُّه[242] مثليه ، ثم أقعى فاقشعر[243] ثم مثل فاكفهر[244] ، ثم تجهم فازبأر[245] فلا وذو[246] بيته في السماء ما اتَّقيناه إلا بأول أخ لنا من فزارة ، كان ضخم الجُزارة[247] فوقصه[248] ثم نفضه نفضةً فقضقض[249] متنيه ، فجعل يَلَغ في دمه .

فذمرت أصحابي[250] ، فبعد لَأيٍ ما استقدموا . فهجهجنا به[251] فكر مقشعراً

---

(229) المسن : الحجر الذي يسن به أو يسن عليه .

(230) عين سجراء : بينة السجر ، وهو أن يخالط بياضها حمرة .

(231) يقدان : يتقدان .

(232) القصرة : أصل العنق إذا غلظت . والربلة : كل لحمة غليظة .

(233) اللهمزة :عظم ناتئ ، أو مضغة علية تحت الأذن . ورهلة : منتفخة .

(234) الكتد : ما بين الكاهل إلى الظهر . ومغبط : مرتفع .

(235) الزور : الصدر . ومفرط : جاوز قدره . يريد وصفه بضخامة الصدر .

(236) شثن البراثن : خشنها . والبراثن : جمع البرثن ، وهو من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان .

(237) المحجن : العصا المنعطفة الرأس كالصولجان .

(238) أرهج : أثار الغبار .

(239) المعاول : جمع المعول ، وهو الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر .

(240) فم أشدق : واسع الشدقين .

(241) حفز : دفع .

(242) ظله : طوله .

(243) أقعى : جلس على استه . واقشعر : تقلص جلده ووقف شعره .

(244) مثل : قام منتصباً . واكفهر : كشر .

(245) تجهم : صار وجهه كريهاً . وازبأر : تنفش حتى ظهرت أصول وبر شعره .

(246) ذو : بمعنى الذي في لغة طيئ .

(247) ضخم الجزارة : كبير الرأس واليدين والرجلين . يريد أنه عظيم الجسم .

(248) وقصه : دق عنقه .

(249) قضقض متنيه : كسر متني ظهره ، وهما مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم .

(250) ذمر أصحابه : لامهم وحضهم وحثهم .

بزُبرته[252] كأن شهيما حَوليا[253] فاختلج رجلاً أعجر ذا حوايا[254] فنفضه نفضةً تزايلت منها مفاصله ، ثم نهم ففرفر[255] ، ثم زفر فبربر[256] ، ثم زأر فجرجر[257] ، ثم لحظ[258] ، فوالله لَخِلْتُ البرق يتطاير من تحت جفونه ، من عن شماله ويمينه . فأُرعِشتِ الأيدي ، واصطكت الأرجل ، وأطت الأضلاع[259] ، وارتجت الأسماع ، وشخصت العيون ، وتحققت الظنون ، وانخزلت المتون . فقال له عثمان : اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين عن لقاء عدوهم .

(ج3/ص212-217)

وصف أسد

ولأبي زبيد في وصفه الأسد :

عَبــوسٌ شَــموسٌ مُصــلَخِدٌ مُكابِــدٌ جَســورٌ عَلــى الأَهــوالِ لِلقِــرنِ قــاهِرُ
بَراثِنُــهُ شُــثْنٌ وَعَينــاهُ فــي الــدُّجى كَجَمرِ الغَضى في وَجهِهِ الشَرُّ ظاهِرُ
يُــدِلُّ بِأَنيــاب حــدادٍ كَأَنَّهــا إِذا قَلَّــصَ الأَشــداقَ عَنهــا خَنــاجِر

(ج3/ص217)

---

(251) هجهجنا به : صحنا به وزجرناه ليكف .

(252) الزبرة : الشعر المجتمع بين كتفي الأسد .

(253) الشهيم : ما عظم شوكه من ذكور القنافذ . والحولي : ما أتي عليه حول .

(254) اختلج رجلاً : انتزعه . وأعجر : ممتلئ جداً ، أو عظيم البطن . والحوايا : الامعاء .

(255) نهم : أخرج صوتاً كالأنين . وفرفر : صاح .

(256) زفر : أخرج صوتاً بعد مده إياه . وبربر : صاح .

(257) جرجر : ردد صوته في حنجرته .

(258) لحظ : نظر بمؤخر العين عن يمين ويسار غاضباً .

(259) أطت الأضلاع : صوَّتت .

قصة قيسبة الأسير

خرج قيسبة بن كلثوم السكوني ، وكان ملكاً ، يريد الحج -وكانت العرب تحج في الجاهلية ، فلا يعرض بعضها لبعض- فمرّ ببني عامر بن عُقيل ، فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا ماله وكل ما كان معه ، وألقوه في القِدِّ[260] ، فمكث فيه ثلاث سنين ، وشاع في اليمن أن الجن استطارته[261] . فبينا هو في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم إذ قال لها : أتأذنين لي أن آتي الأكمة فأتشرَّق[262] عليها ، فقد أضر بي القُرّ[263] ؟ فقالت له : نعم ، وكانت عليه جُبة حِبرَة ، لم يُترك عليه غيرها ، فتمشى في أغلاله وقيوده حتى صعد الأكمة ، ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن ، وتغشاه عبرة فبكى ، ثم رفع طرفه إلى السماء ، وقال : اللهم ساكنَ السماء فرِّج لي مما أصبحت فيه . فبينما هو كذلك إذ عرض له راكب يسير ، فأشار إليه أن أقبل ، فأقبل الراكب ، فلما وقف عليه قال له : ما حاجتك يا هذا ؟ قال : أين تريد ؟ قال : أريد اليمن . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا أبو الطمحان القيني ، فاستعبر باكياً . فقال أبو الطمحان : من أنت ؟ فإني أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك ، وأنت بدار ليس فيها ملك . قال : أنا قيسبة بن كلثوم السكوني ، خرجت عام كذا وكذا أريد الحج ، فوثب عليَّ أهل هذا الحي وصنعوا بي ما ترى ، وكشف له عن أغلاله وقيوده . فاستعبر أبو الطمحان ، فقال له قيسبة : هل لك في مائة ناقة حمراء ؟ قال : ما أحوجني إلى ذلك ! قال : فأنِخ . فأناخ . ثم قال له : أمعك سكين ؟ قال : نعم . قال : ارفع لي عن رحلك ، فرفع له عن رحله حتى بدت خشبة مؤخره . فكتب عليها قيسبة بالمسند[264] ، وليس يكتب به غير أهل اليمن :

بَلِّغـــا كِنْـــدَةَ الملـــوكَ جميعـــاً حيـثُ سـارت بـالأكرمِين الجِمـالُ[265]

---

(260) القد : سير يقد من جلد غير مدبوغ ، فتشد به الأقتاب والمحامل ، ويتخذ منه السوط .

(261) استطاره الجن : ذهبت به .

(262) تشرق : جلس بالمشرقة ؛ وهو موضع القعود للشمس ، والموضع الذي تشرق عليه الشمس .

(263) القر ، بالضم : البرد ، أو هو برد الشتاء خاصة ؛ سمي بذلك من الاستقرار والسكون ، كأنه يسكن الحر ويطفئه .

(264) المسند : هو خط حمير ، وهو مخالف لخطنا .

(265) كان قيسبة من قبيلة السكون ، والسكون : بطن من كندة ، لذلك استنجد بملوكهم .

أنْ رِدُوا العَـــيْنَ بـــالخمِيسِ عِجـــالاً واصـــدُروا عنـــه والرَّوايـــا ثِقـــالُ[266]
هَزِئَـــتْ جـــارتِي وقالـــت عجيبـــاً إذ رأَتْنـــي فـــي جِيـــدِيَ الأغـــلالُ
إن تَرَيْنِـــي عـــارِي العِظـــامِ أســـيراً قـــد بَرانـــي تَضَعْضُـــعٌ واخْـــتلالُ
فلقـــد أقْـــدُم الكَتِيبـــةَ بالسيـــ ـــفِ علـــيَّ الســـلاحُ والسِـــرْبالُ

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع لأبي الطمحان مائة ناقة . ثم قال له : أقرئ هذا قومي ، فإنهم سيعطونك مائة ناقة حمراء . فخرج تسير به ناقته حتى أتى حضرموت ، فتشاغل بما ورد له ونسي أمر قيسبة ، حتى فرغ من حوائجه . ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن قيسبة ويبكين ، فذكر أمره ، فأتى أخاه الجَون بن كلثوم ، وهو أخوه لأبيه وأمه ، فقال له : يا هذا ، أنا أدلك على قيسبة ، وقد جعل لي مائة من الإبل . قال له : فهي لك . فكشف عن الرحل ، فلما قرأه الجون ، أمر له بمائة ناقة ، ثم أتى قيس بن معد يكرب الكندي أبا الأشعب بن قيس ، فقال له : يا هذا ، إن أخي في بني عُقيل أسير ، فسر معي بقومك . فقال له : أتسير تحت لوائي حتى أطلب ثأرك وأنجدك ، وإلا فامض راشداً . فقال له الجون : مسُّ السماء أيسر من ذلك وأهونُ عليَّ مما خُيِّرتُه . وضجت السكون[267] ، ثم فاؤوا ورجعوا فقالوا له : وما عليك من هذا ؟ هو ابن عمك ، ويطلب لك بثأرك ! فأنعم له بذلك[268] . وسار قيس وسار معه الجون تحت لوائه ، وكندة والسكون معه ، فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس ، وبه أدرك الشرف . فسار حتى أوقع بعامر بن عقيل ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، واستنقذ قيسبة . وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي :

لا تَشْـــتِمُونا إذ جَلبْنـــا لكُـــمْ أَلْفَـــيْ كُمَيْـــتٍ كلُّهـــا سَـــلْهَبهْ[269]
نحـــن أَبَلْنـــا الخيـــلَ فـــي أرضِـــكُمْ حتـــى ثَأَرْنـــا مـــنكمُ قَيْسَـــبةْ[270]

(266) الخميس : الجيش الكامل ، وهو المؤلف من خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساقة . الروايا : جمع راوية وهي المزادة فيها ماء . وتطلق الراوية أيضاً على البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء .

(267) السكون كصبور : بطن من بطون العرب بكندة .

(268) أنعم له : أي : قل له : نعم .

(269) الكميت : الذي خالط حمرته سواد : والسلهب : الطويل من الخيل والناس ، يقال : فرس سلهب وسلهبة : إذا عظم وطال وطالت عظامه . وفرس مسلهب : ماضٍ .

(270) أبال الخيل واستباها : وقفها للبول . يقال لَنُبيلَنَّ الخيل في عرصاتكم .

واعترضـــتْ مـــن دُونِهـــمْ مَـــذْحِجٌ فصـــادَفوا مـــن خيلِنـــا مَشْـــغَبَهْ

(ج3/ص222-225)

فإنك حبيب ازداد حباً

جنى أبو الطمحان القيني جناية وطلبه السلطان ، فهرب من بلاده ولجأ إلى بني فزارة فنزل على رجل منهم يقال له : مالك بن سعد أحد بني شَمخٍ ، فآواه وأجاره وضرب عليه بيتاً ، وخلطه بنفسه . فأقام مدة ثم تشوق يوما إلى أهله وقد شرب شراباً ثمل منه ، فقال لمالك : لولا أن يدي تقصر عن دية جنايتي لعدت إلى أهلي . فقال له : هذه إبلي ، فخذ منها دية جنايتك وازدد ما شئت . فلما أصبح ندم على ما قاله ، وكره مفارقة موضعه ، ولم يأمن على نفسه ، فأتى مالكاً فأنشده :

ســـأمدَحُ مالِكـــاً فـــي كـــلِّ ركـــبٍ لَقِيـــــتُهُمُ وأتـــــرُكُ كـــــل رَذْلِ
فمـــا أنـــا والبِكـــارةُ أو مَخـــاضٌ عِظـــامٌ جِلَّـــةٌ سُـــدُسٌ وبُـــزْلِ[271]
وقـــد عَرَفَـــتْ كلابُكُـــمُ ثِيـــابي كـــأنِّي مـــنكمُ ونَسِـــيتُ أهلـــي
ورتْ بـــكَ مِـــن بَنِـــي شَـــمْخٍ زِنـــادٌ لهـا مـا شـئْتَ مـن فَـرْعٍ وأصـلِ[272]

قال فقال : مالك مرحباً فإنك حبيب ازداد حباً ، إنما اشتقت لأهلك وذكرتَ أنه يحبسك عنهم ما تطالب به من عقل[273] أو دية ، فبذلت لك ما بذلت ، وهو لك على

---

(271) البكارة : جمع بكر ، والبكر ، بالفتح : الفتي من الإبل ، بمنزلة الغلام من الناس ، والأنثى : بكرة . والمخاض : الحوامل من النوق . وجلة الإبل : مسانها ، وهو جمع جليل ، مثل : صبي وصبية . والسدس : جمع سديس ، كرغيف ورغف ، وهي من الإبل ما دخل في السنة الثامنة ، وذلك إذا ألقى السن التي بعد الرباعية . والبزل : جمع بازل ، وهو الناقة والبعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة ، وفطر نابه . وفي البيت إقواء .

(272) وري الزناد : يضرب مثلاً للظفر والنجاح ، أي :هم ينجحون فيدركون ما يطلبون بك .

(273) العقل : هو الدية ، وهي ما يدفع فدية للقتيل .

كل حال ، فأقم في الرحب والسعة . فلم يزل مقيماً عندهم حتى هلك في دارهم .

وأبو الطمحان هو القائل في بحر بن أوس :

إذا قيـــل أيُّ النـــاس خَيـــرٌ قَبيلـــةً وأصـــبَرُ يومـــاً لا تَـــوَارَى كَواكِبُـــهْ[274]

فـــإنَّ بنـــي لأَمِ بـــن عَمْـــروٍ أُرُومـــةٌ عَلَـتْ فـوقَ صَـعْب لا تُنـالُ مَرَاقِبُـهْ[275]

أضَـــاءتْ لهـــمْ أحســـابهُمْ ووُجـــوهُهمْ دُجَى الليـل حتى نَظَّم الجِزْعَ ثاقِبُهْ[276]

لهـم مَجْلِـسٌ لا يَحْصَـرون عـن النَّـدَى إذا مَطْلَـبُ المعـروف أَجْـدَبَ راكبـهْ[277]

(ج3/ص225-226)

ألا عَلِّلاني قبل نَوْحِ النوائحِ !

قـال ابـن اسـحاق : دخلـت يومـاً علـى المـأمون فوجدتـه حـائراً متفكـراً غـير نشـيط ، فأخـذت أُحدثـه بِمُلـح الأحاديـث وطُرَفهـا ، أستميله لأن يضـحك أو ينشـط ، فلـم يفعـل . وخطر ببالي بيتان فأنشدته إياهما ، وهما :

أَلا عَلِّلانـــي قَبـــلَ نَـــوحِ النَـــوائحِ وَقبـلَ نُشـوز الـنَفسِ بَـينَ الجَـوانِحِ[278]

وَقَبـلَ غَـدٍ ، يـا لَهـفَ نَفسـي عَلـى غَـدٍ إذا راحَ أَصـــحابي وَلَســـتُ بِـــرائِحِ[279]

فتنبه كالمتفزّع ثم قال : من يقول هذا ويحك ؟ قلت : أبو الطمحان القيني يا أمير

---

(274) قبيلة : منصوبة على التمييز . وكذلك يوماً . ويعني بذكر اليوم : الوقعات والحروب . وقوله : لا توارى كواكبه ، أي : لا تتوارى ، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً . ويروى : لا تداوي كواكبه أي : لا تستر .

(275) الأرومة : الأصل . والمراقب : جمع مرقبة ، وهي المنظرة في رأس جبل أو حصن .

(276) الجزع اليماني : الخرز اليماني والصيني ، وهو الذي فيه سواد وبياض . وهو يختلط على ناظم العقد في الظلام .

(277) لا يحصرون عن الندى : لا يبخلون . وفعله من باب فرح .

(278) النشوز : ارتفاع الشيء عن موضعه ، ونشوز النفس بين الجوانح : خروجها منها عند الموت .

(279) راح أصحابي . رجعوا في العشية إلى منازلهم وبقيت في قبري منفرداً .

المؤمنين . قال : صدق والله ، أعدهما عليّ . فأعدتهما عليه حتى حفظهما . ثم دعا بالطعام فأكل ، ودعا بالشراب فشرب . وأمر لي بعشرين ألف درهم .

(ج3/ص226-227)

لا تستثر إحنة ابن عمك !

عاتب عبد الملك بن مروان الحسن بن الحسن رضي الله عنهما على شيء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إياه إلى الخروج معهم على عبد الملك ، فجعل يعتذر إليه ويحلف له . فقال له خالد بن يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين ، ألا تقبل عذر ابن عمك ، وتزيل عن قلبك ما قد أشربته إياه ؟ أما سمعت قول أبي الطمحان القيني :

إذا كانَ في صَدرِ ابنِ عَمِّكَ إحنَةٌ فَلا تَستَثِرْها سَوفَ يَبدو دَفينُها
وَإِنْ حَمأَةَ المَعروفِ أَعطاكَ صَفوَها فَخُذ عَفوَهُ لا يَلتَبِس بِكَ طينُها[280]

(ج3/ص227)

ألا حَنَّتِ المِرقال وائتبَّ ربُّها

نزل أبو الطمحان على الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، وكانت العرب تنزل عليه ، فطال مقامه لدَيه ، واستأذنه في الرجوع إلى أهله ، وشكا إليه شوقاً إليهم فلم يأذن له . وسأله الْمُقام ، فأقام عنده مدة ، ثم أتاه فقال له :

(280) الحمأة : الطين الأسود المنتن . والمقصود هنا عين الماء وفيها صفو وكدرة . وهو يوصيه بأخذ الصفو وترك الطين .

ألاَ حَنَّـــتِ المِرْقـــالُ وائْتـــبَّ ربُّهـــا تَـــذَكَّرُ أوطانـــاً وأَذْكـــرُ مَعْشَـــري[281]
ولـــو عَرَفـــتْ صَـــرْفَ البُيُـــوْعِ لَسَـــرَّهَا بمكـــةَ أنْ تَبْتـــاعَ حَمْضـــاً بـــإذْخرِ[282]
أسَـــرَّكِ لـــو أنّـــا بجَنْبَـــيْ عُنَيـــزةٍ وحَمْـــضٍ وضُـــمران الجنَـــابِ وصَـــعْتَرِ[283]
إذا شـــاء راعيهـــا اســـتقَى مـــن وَقيعـــةٍ كعَـــينِ الغُـــرابِ صَـــفْوُها لـــم يُكَـــدَّرِ[284]

فلما أنشده إياها أذن له فانصرف وكان نديماً له .

(ج3/ص227-228)

جانيك مَن يجني عليك !

كان عامر بن بكر بن يشكر يقال له : الغطريف ، ويقال لبنيه : الغطاريف ، وكان لهم دِيَّتان ، ولسائر قومه دِيَة ، وكانت لهم على دَوس إتاوةٌ يأخذونها كل سنة ، حتى إن كان الرجل منهم ليأتي بيت الدَّوسي فيضع سهمه أو نعله على الباب ، ثم يدخل فيجيء الدوسي ، فاذا أبصر ذلك انصرف ورجع عن بيته ، حتى أدرك عمرو بن حممة بن عمرو فقال لأبيه : ما هذا التطوُّل الذي يتطوّل به إخواننا علينا ؟ فقال : يا بنيّ ، إن هذا شيء قد مضى عليه أوائلنا ، فأعرضْ عن ذكره . فأعرض عن هذا الأمر ، وإن كان رجلاً من دوس عرَّس بابنةِ عم له ، فدخل عليها رجل من بني عامر بن يشكر ، فجاء زوجها فدخل على اليشكري ، ثم أتى عمرو بن حممة فأخبره بذلك ، فجمع دوساً وقام فيهم ، فحرضهم وقال

(281) المرقال : الناقة تسرع في سيرها ، من الإرقال ، وهو ضرب من العدو فوق الخبب . وائتب : تهيأ للذهاب وتجهز ، كأب الثلاثي من بابي نصر وضرب .

(282) يقول : إن ناقته لو عرفت صرف البيوع ، لسرها أن تنتقل من بلاد الإذخر إلى بلاد الحمض لشوقها إلى البادية ، والإذخر : حشيش طيب الرائحة .

(283) عنيزة ؛ قارة سوداء في بطن وادي فلج من ديار بني تميم . حمض : بفتح أوله ؛ موضع بالبحرين . وإذخر هنا : مكان بمكة . ضمران : موضع . وصعتر : بفتح أوله وإسكان ثانيه : موضع .

(284) الوقيعة : مكان صلب يمسك الماء .

: إلى كم تصبرون لهذا الذلِّ ؟! هذه بنو الحارث ، تأتيكم الآن تقاتلكم ، فاصبروا تعيشوا كراماً أو تموتوا كراماً . فاستجابوا له ، وأقبلت إليهم بنو الحارث فتنازلوا ، واقتتلوا ، فظفرت بهم دوس ، وقتلتهم كيف شاءت ، فقال رجل من دوس يومئذ :

قد عَلِمَتْ صفراءُ حَرْشاءُ الذَّيْلِ شرّابةُ المحضِ تروكٌ للقيلِ[285]

ترخي فروعاً مثل أذناب الخيل أنَّ بروقاً دونها كالويلِ

ودُونَها خَرْطُ القَتَادِ بالليلِ[286]

وقال الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسي في هذا اليوم :

يا دارُ مِنْ مَاويَّ بالسَّهْبِ بُنيتْ عَلَى خَطْبٍ مِنَ الخَطْبِ

إذْ لاَ تَرَى إلاَّ مُقَاتِلَةً وَعَجَانساً يُرْقِلْنَ بالرَّكْبِ[287]

وَمُدَجَّجاً يَسْعَى بشِكَّتِهِ مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ كَالكَلْبِ[288]

وَمَعَاشِراً صَدَأُ الحَدِيدِ بِهِمُ عَبَقَ الهِنَاءِ مَخَاطِمَ الجُرْبِ[289]

لما سَمِعْتُ نَزَالِ قَدْ دُعِيَتْ أَيْقَنْتُ أَنَّهُمُ بَنُو كَعْبِ

كعب بنُ عمروٍ لا لكعب بني الـ ـعنقاء والتبيان في النسبِ

فَرَمَيْتُ كبش القوم معتمداً فَمَضَى وَرَاشُوهُ بِذِي كَعْبِ[290]

شكُّوا بِحَقْوَيْهِ القِدَاحَ كَمَا نَاطَ المُعَرِّضُ أَقْدُحَ القُضْبِ[291]

---

(285) الحرشاء : الخشنة . المحض : الخالص . والقيل بالياء : اللبن يشرب نصف النهار . ويقال : هو شروب للقيل : إذا كان مهيافاً دقيق الخصر يحتاج إلى شرب نصف النهار .

(286) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر .

(287) العجانس : ومفردها عجنس كعملس : الجمال الضخمة الصلبة الشديدة مع ثقل وبطء .

(288) الشكة : السلاح .

(289) الهناء : بالكسر : القطران . والمخاطم : ما يقاد منه البعير مكان الخطام .

(290) الكبش :الرئيس . راشوه : حابوه من الرشوة ، والكلام تهكم . وذي كعب : الرمح .

(291) شكوا : يقال : شكه بالرمح : انتظمه ، وفي السلاح دخل . والحقو : الخصر . والقداح : السهام . ناط : علق . والمعرض : الرامي الذي يعرض للقوس عرضاً : إذا أضجعها ثم رمى عنها . والأقدح ، جمع قدح بالكسر : السهم قبل أن يراش أو ينصل ، والقضب جمع قضيب ، وهو القوس عملت من قضيب أو من غصن غير مشقوق .

فكـــأنَّ مُهـــري ظـــلَّ مُنغمســـاً بشـــبا الأســـنة مَغـــرةُ الجـــأبِ[292]
يـــا رُبَّ موضـــوعٍ رفعـــتُ ومـــر فـــوعٍ وضـــعتُ بمنـــزل اللِّصـــبِ[293]
وحليـــلِ غانيـــةٍ هتكـــتُ قرارَهـــا تحـــت الـــوغى بشـــديدة العضـــبِ[294]
كانـــت علـــى حُـــبِّ الحيـــاة فقـــد أحللتهـــا فـــي منـــزل غَـــرْبِ[295]
جانيـــك مَـــن يجنـــي عليـــك وقـــد تُعـــدي الصـــحاح مبـــاركَ الجُـــرُبِ

وقيل : إنهم أقاموا في هذه الواقعة سبع سنين .

(ج3/ص236-238)

وعند جهينة الخبر اليقين !

كان ناس من بطن من قضاعة يقال لهم : بنو سلامان بن سعد بن زيد بن الحاف[296] بن قضاعة . وبنو سلامان بن سعد إخوة عُذرة بن سعد ، وكانوا حلفاء لبني صرمة بن مرة ونزولاً فيهم . وكان الحُرقة وهم بنو حميس بن عامر بن جهينة حلفاء لبني سهم بن مرة ، وكانوا قوماً يرمون بالنبل رمياً سديداً ، فسموا : الحرقة ، لشدة قتالهم . وكانوا نزولاً في حلفائهم بني سهم بن مرة . وكان في بني صرمة يهوديٌّ من أهل تيماء يقال له : جهينة بن أبي حَمل . وكان في بني سهم يهودي من أهل وادي القرى يقال له : الغصين بن حيّ ، وكانا تاجرين في الخمر . وكان بنو جوشن -أهلُ بيت من عبد الله بن غطفان- جيراناً لبني صِرمة ، وكان يتشاءم بهم ، ففقدوا منهم رجلاً يقال له : خصيلة ، كان يقطع الطريق

(292) المغرة بالفتح : لون إلى الحمرة . والجأب : موضع .

(293) اللصب بالكسر : مضيق الوادي . واللواصب : الآبار البعيدة القعر .

(294) العضب : الطعن والقطع .

(295) الغرب : البعيد .

(296) الحاف : أصله الحافي ، وهو مما حذفت العرب ياءه اجتزاء بالكسرة .

وحده . وكانت أخته وإخوته يسألون الناس عنه ، وينشدونه في كل مجلس وموسم . فجلس ذات يوم أخ لذلك المفقود الجوشني في بيت غُصين بن حي جار بني سهم يبتاع خمراً ، فبينما هو يشتري إذ مرّت أخت المفقود تسأل عن أخيها خصيلة ، فقال غصين :

تُســـائل عـــن أخيهـــا كـــلَّ ركـــبٍ وعنـــد جُهَينـــة الخبـــرُ اليقـــينُ

فأرسلها مثلاً ، يعني بجهينة نفسه . فحفظ الجوشني هذا البيت ، ثم أتاه من الغد فقال له : نشدتُك الله ودينك ، هل تعلم لأخي علماً ؟ فقال له : لا وديني لا أعلم . فلما مضى أخو المفقود تمثل :

لَعَمْـرُك مـا ضَـلَّتْ ضـلالَ ابـن جَوْشـنٍ حَصـاةٌ بليـلٍ أُلْقِيَـتْ وَسْـطَ جَنْـدَلِ

أراد : أن تلك الحصاة يجوز أن توجد ، وأن هذا لا يوجد أبداً . فلما سمع الجوشني ذلك تركه ، حتى إذا أمسى أتاه فقتله ، وقال الجوشني :

طَعَنْـتُ وقـد كـاد الظـلامُ يُجِنُّنـي غُصَيْنَ بنِ حَيٍّ في جِوار بني سهمِ(297)

فأُتِيَ حصين بن الحمام فقيل له : إن جارك غصيناً اليهودي قد قتله ابن جوشن جار بني صرمة . فقال حصين : فاقتلوا اليهودي الذي في جوار بني صرمة . فأتوا جهينة بن أبي حَمَلٍ فقتلوه . فشدّ بنو صرمة على ثلاثة من حميس بن عامر جيران بني سهم فقتلوهم . فقال حصين : اقتلوا من جيرانهم بني سلامان ثلاثة نفرٍ . ففَعلوا ، فاستعر الشرُّ بينهم . وكانت بنو صرمة أكثر من بني سهم رَهط الحصين بكثير . فقال لهم الحصين : يا بني صرمة ، قتلتم جارنا اليهودي ، فقتلنا به جاركم اليهودي ، فقتلتم من جيراننا من قضاعة ثلاثة نفر ، وقتلنا من جيرانكم من بني سلامان ثلاثة نفر ، وبيننا وبينكم رَحم ماسّة قريبة ، فمروا جيرانكم من بني سلامان فيرتحلون عنكم ، ونأمر جيراننا من قضاعة فيرتحلون عنا جميعاً ، ثم هم أعلم . فأبى ذلك بنو صرمة ، وقالوا : قد قتلتم جارنا ابن جوشن ، فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلاً من جيرانكم ، فإنك تعلم أنكم أقل منا عدداً ، وأذلّ ، وإنما بنا تعزون وتُمنعون . فناشدهم

(297) أجنه : ستره .

الله والرّحم فأبوا . وأقبلت الخضر[298] من محارب ، وكانوا في بني ثعلبة بن سعد ، فقالوا : نشهد نَهب بني سهم إذا انتهبوا فنصيب منهم . وخذلت غطفان كلُّها حصيناً ، وكرهوا ما كان من منعه جيرانه من قضاعة . وصافَهم حصين الحرب وقاتلهم ومعه جيرانه ، وأمرهم ألا يزيدوهم على النبل ، وهزمهم الحصين ، وكفَّ يده بعدما أكثر فيهم القتل ، وأبى ذلك البطن[299] من قضاعة أن يكفوا عن القوم حتى أثخنوا فيهم ، وكان سِنان بن أبي حارثة خذل الناس عنه لعداوته قضاعة ، وأحب سنان أن يهبّ الحيان من قضاعة ، وكان عيينة بن حصن وزبَّان بن سيار بن عمرو بن جابر ممن خذّل عنه أيضاً . فأجلبت بنو ذبيان على بني سهم مع بني صرمة ، وأجلبت محارب بن خصفة معهم . فقال الحصين بن الحمام في ذلك من أبيات :

أَلاَ تَقبَلــون النَّصْــفَ مِنَّــا وأَنْــتُمُ ... بنــو عمّنــا! لا بَـلَّ هــامَكُم القَطْـرُ[300]

ســنأبَى كمــا تَــأْبَوْن حتــى تُلِيــنَكم ... صــفائحُ بُصْــرَى والأسِــنَّةُ والأَصْــرُ[301]

أيُؤكَــلُ مولانــا ومــولَى ابــنِ عمنــا ... مُقيمٌ ومنصورٌ كما نصرت جَسْرُ[302]

فتلــك التــي لــم يعلــم النــاسُ أننــي ... خَنَعــتُ لهــا حتــى يُغيِّبَنــي القبــرُ

فليــتكُمُ قــد حــال دون لِقــائكم ... سِـنُونَ ثمـانٍ بعـدها حِجَـجٌ عَشْـرُ[303]

أجَــدِّيَ لا ألقــاكُمُ الــدهرَ مَــرَّةً ... علــى مَــوْطِنٍ إلاّ خــدودُكُمُ صُــعْرُ[304]

---

(298) وهم بطن من قيس عيلان سموا بذلك لخضرة ألوانهم .

(299) أي : بنو حميس بن عامر .

(300) النصف : الإنصاف كالنصف محركة . والهام : جمع هامة ، وهي الرأس . يدعو عليهم بألا يمطروا .

(301) الصفائح : السيوف العريضة . بصرى : بلد بالشام من أعمال دمشق . وتنسب إليها السيوف البصرية . الأصر : الكسر والحبس .

(302) المولى : الحليف والجار . يعني حلفاءهم من بني حميس . ومولى ابن عمنا : يعني بني سلامان حلفاء بني عمهم صرمة بن مرة . وجسر : هم جسر بن محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان . وقد تقدم في القصة : أن محارب بن خصفة أجلبت مع بني صرمة على بني سهم قوم الحصين .

(303) حجج : جمع حجة بالكسر وهي السنة .

(304) تقول العرب : أجدي وأجدك ، بالنصب وبكسر الجيم وفتحها . فمن قال : أجدك بكسر الجيم فإنه يستخلفه بجده وحقيقته ، ومن فتح الجيم استحلفه بجده وهو بخته . وصعر : جمع أصعر ، وصف من الصعر بالتحريك وهو ميل الخد ، يقال : صعر خده : إذا أماله عن النظر إلى الناس تهاوناً .

إذا مـا دُعُـوا للبغـي قـاموا وأشـرقَتْ وجـوهُهُمُ ، والرُّشْـدُ وِرْدٌ لـه نَفْـرُ[305]
فواعَجَبـا حتَّـى خُصَـيلةُ أصـبحتْ مَـواليَ عِـزٍّ لا تَحِـلُّ لهـا الخمـرُ!
أَلَمَّـا كَشَـفنا لَأْمَـةَ الـذُّلِّ عـنكُمُ تجـرَّدتَ لا بِـرٌّ جميـلٌ ولا شـكرُ[306]
فـإنْ يـكُ ظَنِّـي صـادقاً تَجْـزِ مـنكُمُ جَـوازِي الإلـهِ والخيانـةُ والغـدرُ[307]

فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم ، وغاظتهم بنو ذيبان ومحارب بن خصفة ، وكان رئيس محارب حميضة بن حرملة . ونكصت عن حصين قبيلتان من بني سهم وخانتاه ، وهما عدوان وعبد عمرو ابنا سهم ، فسار حصين ، وليس معه من بني سهم إلا بنو وائلة بن سهم وحلفاؤهم وهم الحُرقة ، وكان فيهم العدد ، فالتقوا بدارة موضوع ، فظفر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر . وقال الحصين بن الحُمام في ذلك :

جَـزَى الله أفنـاءَ العشـيرةِ كلَّهـا بِـدَارَةِ موضـوعٍ عُقوقـاً ومَأْثَمـا[308]
بنـي عمِّنـا الأدْنَـيْنَ مـنهم ورَهْطَنَـا فـزارةَ إذ رامـت بنـا الحـربَ مُعْظَمـا[309]
ولمّـا رأيـت الـودّ لـيس بنـافعي وإن كـان يومـاً ذا كَواكِـبَ مُظلمـا
صـبَرنا وكـان الصـبرُ منَّـا سَـجِيَّةً بأسـيافنا يَقْطَعْـنَ كَفـاً ومِعْصَـما
نُفَلِّـق هامـاً مـن رجـالٍ أَعِـزَّةٍ علينـا وهـم كـانوا أعَـقَّ وأظلَمـا
نُطـاردهم نسـتنقِذُ الجُـرْدَ بالقَنَـا ويسـتنقذون السَّـمْهرِيَّ المُقوَّمـا[310]
لَـدُنْ غُـدْوَةٍ حتـى أتـى الليـلُ مـا تـرى مـن الخيـل إلاّ خارِجيّـاً مُسَـوَّما[311]

(305) النفر : الجماعة يتقدمون في الأمر .
(306) اللآمة : الدرع . يريد لباس الذل . تجرد للأمر : جد فيه ، أي جددت في قتالنا .
(307) الجوازي : الجزاء ، جمع جازية ، مصدر على فاعلة .
(308) الأفناء من الناس : الأخلاط ، واحدها فنو بالكسر أو فنا كعصا . ودارة موضوع : موضع بين ديار بني مرة وديار بني شيبان .
(309) أي : جزى الله بني عمنا معظماً ، أي : أمراً معظماً .
(310) الجرد : جمع أجرد وجرداء . وفرس أجرد : قصير الشعر رقيقه ، وذلك من علامات العتق والكرم . والسمهري : نسبة إلى سمهر ، وهو رجل كان يثقف الرماح .
(311) الغدوة : البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . الخارجي هنا : كل ما فاق جنسه ونظائره . والخيل المسومة : التي عليها سمة ، أي : علامة تعرف بها ، والمرسلة عليها ركبانها .

وَأَجْـــرَدَ كالسَّـــرْحان يَضـــرِبُه النَّـــدَى ومحبوكـــةً كالسِّـــيدِ شَـــقَّاءَ صِـــلْدِما[312]
يَطَـأْن مـن القَتْلَـى ومـن قِصَـدِ القنـا خَبـاراً فمـا يجـرين إلا تَقَحُّمـا[313]
علـــيهنّ فتيـــانٌ كســـاهم مُحَـــرِّقٌ وكـــان إذا يكســـو أجـــادَ وأكرمـــا[314]
صـــفائحَ بُصْـــرَى أخلَصَـــتْهَا قُيُونُهـــا ومُطَّـــرِداً مـــن نَســـج داودَ مُبْهَمـــا[315]
جـــزى الله عنـــا عبـــدَ عمـــرو ملامـــةً وعَـــدْوانَ سَـــهْمٍ مـــا أذَلَّ وألأَمـــا
فلســـتُ بمبتـــاع الحيـــاةِ بسُـــبَّةٍ ولا مُرْتِـــقٍ مـــن خشـــية المـــوت سُـــلَّما

وقتل في تلك الحرب نُعيم بن الحارث بن عُباد بن حبيب بن وائلة بن سهل قتلته بنو صِرمة يوم دارة موضوع ، وكان وادّاً للحصين ، فقال يرثيه :

قَتَلْنَـــا خمســـةً ورَمَـــوْا نُعيمـــاً وكـــان القتـــلُ للفتيـــان زَيْنَـــا
لعمـــرُ الباكيـــات علـــى نعـــيمٍ لقـــد جلَّـــتْ رَزِيَّتُـــه علينـــا
فـــلا تَبْعَـــدْ نُعَـــيْمُ فكـــلُّ حَـــيٍّ سَـيَلْقى مـن صـروف الـدهرِ حَيْنَـا[316]

ثم إن بني حميس كرهوا مجاورة بني سهم ففارقوهم ومضَوا ، فلحق بهم الحصين بن الحمام فردَّهم ولامهم على كفرهم نعمته وقتله عشيرته عنهم ، [وقال في ذلك :

إنَّ أمـــرءاً بعـــدي تبَـــدَّلَ نصـــرَكم بنصـــر بنـــي ذُبْيـــان حَقـــاً لخاسِـــرُ

(312) السرحان : الذئب ، وكذا السيد . والمحبوك : الفرس الشديد الخلق القوي . والأشق من الخيل : ما يشتق في عدوه ويذهب يميناً وشمالاً كأنه يميل في أحد شقيه ، والطويل . يقال : فرس أشق ، والأنثى شقاء . والصلدم : الصلب ، والشديد الحافر .

(313) نقصد الرمح : انكسر نصفين حتى يبين ، وكل قطعة قصدة بالكسر والجمع قصد . والخبار من الأرض : ما لان واسترخى وكانت فيه أحجار . وتقحم الأمر : رمى بنفسه فيه .

(314) محرق : لقب الحارث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة . وإنما سمي بذلك لأنه أول من حرق العرب في ديارهم . فهم يدعون آل محرق ، وهو أيضاً لقب عمرو بن هند لأنه حرق مائة من بني تميم .

(315) القيون : جمع قين بالفتح ، وهو الحداد . مطرداً : أي : ودرعاً مطرداً ، والدرع قد تذكر . واطرد الشيء : تبع بعضه بعضاً ، واطرد الأمر : استقام . والمعنى تتابعت حلقاتها واتصلت ، ومبهماً : لا مأتى له ولا ثلم فيه .

(316) فلا تبعد : فلا تهلك . والحين : الموت .

أولئـــك قـــومٌ لا يُهـــانُ ثَـــوِيُّهُمْ إذا صَـرَّحَتْ كَحْـلٌ وَهَـبَّ الصَّـنابِرُ[317]

وقال لهم أيضا :

أَلاَ أَبْلِـــغْ لـــديك أبـــا حُمَـــيْسٍ وعاقبـــةُ الملامـــة للمُلـــيمِ[318]
فهـــل لكُـــمُ إلـــى مَـــوْلًى نَصُـــورٍ وخَطْـــبُكُم مـــن الله العظـــيمِ
فـــإنَّ ديـــاركم بجَنُـــوب بُـــسٍّ إلـــى ثَقْـــفٍ إلـــى ذات العُظُـــومِ[319]
غَـــذَتكم فـــي غَـــداةِ النـــاس حُجَّـــا غِـــذاءَ الجـــائع الجَـــدِعِ اللئـــيمِ[320]
فسِـــيروا فـــي الـــبلاد وودِّعونـــا بقَحْـــطِ الغيـــث والكَـــلإِ الـــوَخِيمِ]

(ج3/ص239-246)

برجٌ يؤثِّمني ويكفر نعمتي !

كان البرج بن الجلاس الطائي خليلاً للحصين بن الحمام ونديماً له .. ثم إن البرج أغار على جيران الحصين بن الحمام من الحرقة فأخذ أموالهم ، وأتى الصريخُ[321] الحصينَ بن الحمام ، فتبع القومَ فأدركهم ، فقال للبرج : ما صبَّك على جيراني يا برج ؟ فقال له : وما أنت وهم ، هؤلاء من أهل اليمن وهم منا . وأنشأ يقول :

(317) الثوى : الضيف ، كحل : السنة المجدبة تصرف ولا تصرف . ويُقال : صرحت كحل : إذا لم يكن في السماء غيم . والصنابر : الرياح الباردة .

(318) ألام : أتى ما يلام عليه .

(319) في القاموس المحيط : (بس : بيت لغطفان بناه ظالم بن أسعد لما رأى قريشاً يطوفون بالكعبة ، ويسعون بين الصفا والمروة ، فذرع البيت وأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة ورجع إلى قومه وبنى بيتاً على قدر البيت ووضع الحجرين فقال : هذان الصفا والمروة ، فاجتزؤوا به عن الحج . فأغار زهير بن جناب الكلبي فقتل ظالماً وهدم بناءه) . وثقف وذات العظوم : موضعان .

(320) حجا بالضم وبكسر أيضاً : جمع حاج ، مثل بازل وبزل . والجدع : السيء الغذاء .

(321) الصريخ هنا : المستغيث .

أَنَّــى لــك الحُرُقــات فيمــا بيننــا ؟ عَــنَنٌ بعيــدٌ منــك يــا ابــنَ حُمــامِ[322]
أقبلـــتَ تُزْجِـــي ناقـــة متباطئـــاً عُلْطـــاً تزجِّيهـــا بغيـــرِ خِطـــامِ

تزجي : تسوق . علطاً : لا خطام عليها ولا زمام ، أي : أتيت هكذا من العجلة .

فأجابه الحصين بن الحمام :

بُـــرْجٌ يُـــؤَثِّمني ويَكفُـــرُ نعمتـــي صَـــمِّي لمـــا قـــال الكفيـــلُ صَـــمَامِ[323]
مَهْـــلاً أبـــا زيـــدٍ فإنَّـــك إنْ تَشَـــأْ أُورِدْك عُـــرْضَ مناهِـــلٍ أَسْـــدامِ[324]
أُورِدْكَ أَقْلِبَـــــةً إذا حافلْتَهـــــا خَـــوْضَ القَعُـــودِ خَبِيئَـــةَ الأخصـــامِ[325]
أقبلـــتُ مـــن أرض الحجـــاز بذَمَّـــةٍ عُطُـــلاً أُســـوِّقها بغيـــرِ خِطـــامِ[326]
فـــي إثْـــرِ إخـــوانٍ لنـــا مِـــنْ طيِّـــئٍ ليســـــوا بأكفـــــاءٍ ولا بكـــــرامِ
لا تحســـبَنَّ أخـــا العَفاطـــة أننـــي رَجُـــلٌ بخُبْـــرك لـــيس بـــالعَلاَّمِ[327]
فاستنـــزلوكَ وقـــد بَلَلْـــتَ نِطاقهـــا عـــن بنـــتِ أُمِّـــكَ والـــذيولُ دوامـــي

ثم ناصب الحصينُ بن الحمام البرج الحرب ، فقتل من أصحاب البرج عِدَّةً وهزم سائرهم ، واستنقذ ما في أيديهم ، وأسر البرج ، ثم عرف له حقَّ ندامه وعشرته إياه ، فمنَّ عليه وجزَّ ناصيته وخلَّى سبيله .

(ج3/ص246-248)

(322) أنى لك الحرقات : أي : من أين لك قرابتهم . عن الشيء عناً : ظهر أمامك وعرض . أي : أن ما عنَّ لك في هذا الشأن بعيد وباطل .

(323) أثَّمه تأثيماً : قال له : أثمت . الكفيل هنا : الذي لا يثبت على ظهر دابة . وصمام كقطام : الداهية الشديدة . وصمي صمام ، أي : زيدي يا داهية .

(324) العرض من النهر والبحر : وسطه . مياه أصدام : متغيرة .

(325) الأقلبة : جمع قليب وهي البئر . والأخصام : جمع خصم بالضم ، وخصم كل شيء : طرفه وجانبه .

(326) بذمة : بناقة ذمة ، أي : مفرطة الهزال شبه الهالكة ، فهي مذمومة لأجل ذلك . العطل في الأصل : المرأة ليس عليها حلي ، يريد أن الناقة ليس عليها زمام .

(327) الخبر : العلم بالشيء .

وأعتقنا ابنةَ العمريّ عمرو

جمع الحصين بن الحمام جمعاً من بني عدي ، ثم أغار على بني عقيل وبني كعب فأثخن فيهم ، واستاق نَعَماً كثيراً ونساء ، فأصاب أسماء بنت عمرو سيد بني كعب فأطلقها ومنَّ عليها ، وقال في ذلك :

فِـدًى لِبَنِـي عـديٍّ رَكْـضُ سـاقي ... ومـا جَمَّعـتُ مـن نَعَـمٍ مُـراحِ[328]

تَرَكْنَـا مـن نسـاء بنـي عُقَيْـلٍ ... أَيَـامى تبتغـي عَقْـدَ النكـاحِ[329]

أَرُعْيـانَ الشَّـوِيِّ وجـدتمونا ... أمَ اصـحابَ الكريهـة والنِّطـاحِ[330]

لقـد علمـتْ هَـوازِنُ أنَّ خيلـي ... غَـداةَ النَّعْـفِ صـادقةُ الصَّـباحِ[331]

عليهـا كـلُّ أَرْوَعَ هِبْـرِزِيٍّ ... شـديدٍ حَـدُّه شـاكي السِّـلاحِ[332]

فكَـرَّ علـيهمُ حتَّـى التقينـا ... بمصـقولٍ عوارضُـها صِـباحِ[333]

فأُبْنـا بالنهِّـاب وبالسَّـبايا ... وبـالبِيض الخرائِـدِ واللِّقـاحِ[334]

وأعتقنـا ابنـة العَمْـريِّ عمـرٍو ... وقـد خُضْـنا عليهـا بالقِـداحِ

(ج3/ص248-249)

(328) النعم : الإبل والشاء ، أو خاص بالإبل . وأراح الإبل : ردها إلى المراح بالضم ، أي : المأوى .

(329) أيامى : جمع أيم كسيد ، وهي من لا زوج لها بكراً أو ثيباً .

(330) الشوي : جمع شاة .

(331) النعف : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي ، وهو هنا موضع بعينه ، وصادقة الصباح : أي : الغارة في الصباح . وكانوا أكثر ما يغيرون عند الصباح ، ويسمون يوم الغارة : يوم الصباح .

(332) الأروع : من يعجبك بحسنه أو بشجاعته . والهزبري : المقدام . وحده : بأسه . وشاكي السلاح : ذو شوكة وحد في سلاحه .

(333) بمصقول عوارضها ، أي : بنساء مصقول عوارضها . والعوارض : جمع عارضة ، وهي صفحة الخد . وصباح : جمع صبيحة ، أي : جميلة وضيئة الوجه .

(334) النهاب : جمع نهب ، هو الغيمة . والخريد والخريدة والخرود : البكر لم تمسس ، أو الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة ، والجمع خرائد . واللقاح : الإبل ، واحدتها لقوح كصبور .

هل أسلم حصين بن الحمام ؟

أدرك حصين الإسلام وأسلم ، ويدل على ذلك قوله :

وقافيـــــــةٍ غيـــــــرِ إنْسِـــــــيَّةٍ قَرَضْـــتُ مـــن الشِّـــعر أمثالَهـــا[335]

شَـــــرُودٍ تَلَمَّـــــعُ بالخـــــافقَيْنِ إذا أنْشِـــدَتْ قيـــل مـــن قالهـــا ؟![336]

وحيـــــرانَ لا يهتـــــدي بالنهـــــار مـــــن الظَلْـــــع يَتْبَـــعُ ضُـــلاَّلَها[337]

وداعٍ دعـــــا دعـــــوةَ المســـــتغيثِ وكنـــــتُ كمـــــن كـــــان لَبَّـــى لهـــا

إذا المـــوتُ كـــان شَـــجاً بـــالحُلُوقِ وبـــــادَرتِ الـــــنفسُ أشـــــغالَها[338]

صـــــبَرْتُ ولـــــم أكُ رِعديـــــدَةً ولَلصَّـــبْرُ فـــي الـــرَّوع أَنْجَـــى لهـــا[339]

ويـــــومٍ تَسَـــــعَّرُ فيـــــه الحـــــروبُ لَبِسْـــتُ إلـــى الـــرَّوْعِ سِـــرْبَالها[340]

مُضـــــعَّفةَ السَّـــــرْدِ عاديَّـــــةً وعَضْـــبَ المضَـــارِبِ مِفْصـــالَها[341]

ومُطَّـــــرِداً مـــــن رُدَيْنِيَّـــــة أذودُ عـــــن الـــــوِرْد أبطالَهـــــا[342]

فلـــم يبـــق مـــن ذاكَ إلا التُّقَـــى ونفـــــسٌ تُعـــــالج آجالَهـــــا

أُمـــورٌ مـــن اللَّـــهِ فـــوق الســـماء مقـــــاديرُ تنـــــزلُ أنْزَالَهَـــــا[343]

أعـــــوذُ بربِّـــــي مـــــن المُخْزِيـــــا تِ يـــوم تـــرى الـــنفسُ أعمالَهـــا

---

(335) غير إنسية : يعني أنه ألهمه إياه جني .

(336) قافية شرود : سائرة في البلاد تشرد كما يشرد البعير . وتلمع : تبرق . والخافقان : المشرق والمغرب .

(337) ظلع الرجل كمنع : عرج وغمز في مشيه .

(338) الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .

(339) رجل رعديد ورعديدة : جبان يرعد عند القتال جبناً . والروع : الفزع .

(340) تسعر أصله تتسعر ، أي : تتقد : السربال : القميص . وتطلق على الدرع كما في البيت .

(341) السرد : نسج الدرع . ومضعفة : مضاعفة . وعادية : قديمة ، نسبة إلى عاد . وعضب المضارب : سيفاً قاطعاً . ومفصال : مبالغة في فاصل أي : ماض .

(342) من ردينية ، أي : من رماح ردينية ، نسبة إلى ردينة زوجة سمهر ، وكانا مثقفين للرماح . ورمح مطرد الأنابيب والكعوب ، أي : مستقيمها متتابعها .

(343) أنزال جمع نزل كعنق وقفل ، وهو المنزل ، أي : تقع مواقعها .

وخَـــفّ المـــوازينُ بالكـــافرين وزُلْزلـــــتِ الأرْضُ زِلزَالَهَـــــا
ونـــادى مُنـــادٍ بأهـــل القبـــور فهبُّـــــوا لتُبْـــــرِزَ أثقالَهـــــا
وسُـــعِّرَت النـــارُ فيهـــا العـــذابُ وكـــان السلاســـلُ أغلالَهـــا

(ج3/ص249-250)

ألا هلك الحلو الحلال الحلاحل

قال أبو عبيدة : مات حصين بن الحمام في بعض أسفاره ، فسُمع صائح في الليل يصيح لا يُعرف في بلاد بني مُرَّة :

أَلاَ هَلَـك الحُلْـو الحَـلاَلُ الحُلاَحِـلُ ومَـن عَقْـدُه حَـزْمٌ وعَـزْمٌ ونائـلُ[344]
ومَـنْ خَطبـهُ فَصْـلٌ إذا القـوم أُفحِمـوا يُصـيب مَـرَادِي قولـه مَـن يُحـاوِلُ[345]

- الحلو : الجميل . والحلال : الذي ليس عليه في ماله عيب . والحلاحل : الشريف العاقل.

فلما سمع أخوه مُعَيَّة بن الحمام ذلك قال : هلك والله الحصين ، ثم قال يرثيه :

إذا لاقيـــتُ جمعـــاً أو فِئَامـــاً فـــإنِّي لا أرى كـــأبي يَزِيـــدا[346]
أشـــدَّ مهابـــةً وأعـــزَّ ركنـــاً وأصـــلبَ ســـاعةَ الضَّـــرَّاءِ عُـــودا
صَـــفِيِّي وابـــنُ أُمِّـــي والمُواسِـــي إذا مـــا الـــنفسُ شـــارفتِ الوريـــدا[347]

(344) النائل : النوال والعطاء .
(345) المرادي : جمع مرادة ، بكسر الميم ، وهي صخرة تردى بها الصخور أي تكسر .
(346) الفئام : الجماعة من الناس .
(347) الصفي : الحبيب المصافي .

كَـــأَنَّ مُصَـــدَّراً يحبـــو ورائـــي إلـــى أشـــباله يبغـــي الأســـودا[348]

(ج3/ص250-251)

غلب ابنُ الوليد ابنَ قنبر

لما تهاجى مسلم بن الوليد وابن قنبر ، أمسك عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانه ، فجاء مسلماً ابنُ عم له فقال : أيها الرجل ، إنك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر ، وقد بعثتَ عليه لسانَك ثم أمسكت عنه ، فإما أن قاذعته ، وإما أن سالمته ، فقال له مسلم : إنَّ لنا شيخاً وله مسجد يتهجد[349] فيه ، وله دعوات يدعوها ، ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته في كفايتنا إياه ، فأطرق الرجل ساعة ثم قال :

غلَـــبَ ابـــنُ قُنْبُـــرَ واللئـــيمُ مُغلَّـــبٌ لمـــا اتَّقَيْـــتُ هجـــاءَهُ بـــدعاءِ[350]

مـــا زال يقـــذف بالهجـــاء ولذعـــهِ حتـــى اتَّقَـــوْهُ بـــدعوةِ الآبـــاءِ

فقال له مسلم : والله ما كان ابن قنبر ليبلغ مني هذا ، فأمسك عني لسانك وتعرَّف خبره بعد ، فبعث الرجل والله عليه من لسان مسلم ما أسكته .

(ج3/ص252)

(348) المصدر : العظيم الصدر ، شبه أخاه بالأسد .

(349) التهجد : صلاة الليل .

(350) المغلب : المحكوم عليه بالغلبة .

قد كدتَ تهوي وما قوسي بموتَرة

قال محمد بن عبد الله العبدي القسري : رأيت مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر في مسجد الرُّصافة[351] في يوم جمعة ، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه ، يتهاجيان ، فبدأ مسلم فأنشد قصيدته :

أنـــا النـــار فـــي أحجارهـــا مســـتَكِنَّة فـــإن كنـــتَ مِمّـــن يقـــدحُ النـــار فاقـــدحِ

فأنشد ابن قنبر بعده :

قـــد كـــدتَ تهـــوِي ومـــا قوســـي بمـــوتَرةٍ فكيـف ظنُّـكَ بـي والقـوسُ فـي الوَتَرِ[352]

فوثب مسلم وتواخزا[353] حتى حجز الناس بينهما فتفرقا ، فقال رجل لمسلم : ويحك! أعجزت عن الرجل حتى واثبته ؟ قال : أنا وإياه لكما قال الشاعر :

هنيئاً مريئاً أنتَ بالفُحْشِ أبصَرُ

وكان ابن قنبر مستعلياً عليه مدة ، ثم غلبه مسلم بعد ذلك . فمن مناقضتهما قول ابن قنبر :

كيـــف أهجـــوكَ يـــا لئـــيمٌ بِشـــعْرِي أنـــت عنـــدي فـــاعلمْ هِجـــاءَ هجـــائي
يـــا دعـــيَّ الأنصـــارِ بـــل عبـــدَها النـــذ لَ تعرَّضـــــتَ لـــــي لـــــدَرْك الشـــــقاءِ

(ج3/ص252-253)

(351) يعني رصافة بغداد ، وهي في الجانب الشرقي .

(352) أوتر القوس : جعل لها وتراً .

(353) تواخزا : تطاعنا طعناً غير نافذ .

فهبْ لي ذنوب الدمع . .

دخل الحكم بن قنبر على -صديق له- فبشّ به ورفع مجلسه ، وأظهر له الأنس والسرور ، ثم قال : أنشدني أبياتك التي أقسمت فيها بما في قلبك . فأنشده :

وحـقِّ الـذي فـي القلـب منـك فإنـه عظـيم لقـد حصَّـنت سـرَّك فـي صـدري
ولكنَّمـــا أفشـــاه دمعـــي ، وربَّمـــا أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يدري
فهـب لـي ذنـوب الـدمع ، إنـي أظنُّـه بمـا منـه يبـدو إنمـا يَبتغـي ضـرّي
ولـو يَبتغـي نفعـي لخلَّـى ضـمائري يـردّ علـى أسـرار مكنونِهـا سـتري

(ج3/ص254)

لقد بالغت في اليمين !

قال محمد بن سلام : أنشدني ابن قُنبر لنفسه قوله :

صـــرمْتِنِي ثـــم لا كلّمتِنِـــي أبـــداً إن كنـت خنتُـكِ فـي حـالٍ مـن الحـالِ
ولا اجترمـت الـذي فيـه خيـانتكم ولا جـرتْ خطـرة منـه علـى بـالي

قال : فقلت له وأنا أضحك : لقد بالغت في اليمين . فقال : هي عندي كذاك ، وإن لم تكن عندك كما هي عندي .

(ج3/ص254)

لا تدعُ الناس إلى ذمك

شكا العباس بن محمد إلى الرشيد أن ربيعة الرَّقيّ هجاه ، فقال له : قد سمعت ما كان مدحك به ، وعرفت ثوابك إياه ، وما قال في ذمّك بعد ذلك ، فما وجدته ظلمك به ، ولله در ابن قنبر حيث قال :

وَمَـــن دَعـــا النـــاسَ إلـــى ذَمِّـــهِ ذَمّـــــوهُ بـــــالحقِّ وبالباطِـــــلِ
إن كُنـــتَ لا تَرهَـــبُ ذَمّـــي لِمـــا تَعـــرفُ مِـــن صَـــفحي عَـــنِ الجاهِـــلِ
فَـــاخشَ سُـــكوتي فَطِنـــاً مُنصِـــتاً فيـــكَ لِتحســـينِ خَنـــا القائِـــلِ[354]
مَقالَـــةُ الســـوءِ إلـــى أَهلِهـــا أَســـهلُ مِـــن مُنحَـــدَرٍ ســـائِلِ

ثم قال له الرشيد : فقد اشتريتُ عرضك منه ، وأمرتُه بأن لا يعود لذمك تعريضاً ولا تصريحاً .

(ج3/ص255)

ربما أخطأ جالينوس!

مرض ابن قنبر فأتوه بخصيبٍ الطبيب يعالجه ، فقال فيه :

ولقـــــد قلـــــتُ لأهلـــــي إذ أَتَـــــوْني بخَصِـــــيبِ
لـــــيس والله خصـــــيبُ لِلَّـــــذِي بـــــي بطبيـــــبِ
إنَّمـــــا يَعْـــــرِف دائـــــي مـــــن بـــــه مِثـــــلُ الـــــذي بـــــي

وكان خصيب عالماً بمرضه ، فنظر إلى مائه فقال : زعم جالينوس أن صاحِب هذه

(354) الخنا من الكلام : الفحش .

العلة إذا صار ماؤه هكذا لم يعشْ ، فقيل له : إن جالينوس ربما أخطأ . فقال : ما كنت إلى خطئه أحوج مني إليه في هذا الوقت . ومات ابن قنبر من علته تلك .

(ج3/ص255)

سبب خصومة حماد وبشار

كان السبب في مهاجاة حماد عجرد بشاراً أن حماداً كان نديماً لنافع بن عقبة ، فسأله بشار تنجُّزَ حاجةٍ له من نافع ، فأبطأ عنها . فقال بشارٌ فيه :

مواعيـــدُ حَمّـــاد ســـماءٌ مُخيلـــةٌ تَكشّـفُ عـن رعـد ولكـن سَـتَبْرُقُ[355]

إذا جئتَـــه يومـــاً أحـــالَ علـــى غـــدٍ كما وعد الكَمُّون ما ليس يصدُقُ[356]

وفـــي نـــافع عنّـــي جَفـــاءٌ ، وإنّنـــي لأُطـــرق أحيانـــاً ، وذو اللُّـــبّ يُطـــرِقُ

وللنَّقَـــرَى قـــومٌ فلـــو كنـــتُ مـــنهمُ دُعيـتُ ولكـن دونـيَ البـابُ مغلـقُ[357]

أبـــا عُمَـــرٍ خَلَّفْـــتُ خلفَـــك حـــاجتي وحاجـــةُ غيـــري بـــين عينيـــك تَبْـــرُقُ

ومـــا زُلـــتُ أســـتأنيك حتـــى حســـرتَني بوعـــدٍ كجـاري الآلِ يَخفَـى ويخفـقُ[358]

فغضب حماد وأنشد نافعاً الشعر ، فمنعه من صلة بشار .

(ج3/ص257-258)

(355) السحابة المخيلة : التي تحسبها ماطرة .

(356) يعني : أنه كلما تطلب السعي تمهل وسوَّف وقال : غداً وغداً .

(357) يقال : دعاهم النقرى ، أي : دعوة خاصة ، وهو أن يدعو بعضاً دون بعض ينقر باسم الواحد بعد الواحد .

(358) استأنى به : انتظر به ولم يعجله . حسره : كشفه . الآل : السراب ، وقيل : الآل هو الذي يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض ، وأما السراب : فهو الذي يكون نصف النهار لاطئاً بالأرض كأنه ماء جار .

وعليك من حالاهُ واحدةٌ ! !

كان عيسى بن عمرو بن يزيد صديقاً لحماد عجرد ، وكان يواصله أيام خدمته للربيع ، فلما طرده الربيع واختلَّت حاله ، جفاه عيسى ، وإنما كان يصله لحوائجَ يسأل له الربيع فيها ، فقال حماد عجرد فيه :

كـــم مـــن أخٍ لـــك لســـتَ تُنكِـــرُهُ ... مـــا دمـــتَ مـــن دنيـــاكَ فـــي يُسْـــرِ
متصـــــنِّعٌ لـــــك فـــــي مودَّتِـــــه ... يلقـــــاك بالتَّرحيـــــب والبِشْـــــرِ
يُطـــرِي الوفـــاءَ وذا الوفـــاءِ ويَلـــ ... ـــحَى الغـــدرَ مجتهـــداً وذا الغَـــدْرِ
فـــإذا عَـــدَا والـــدهرُ ذو غِيَـــرٍ ... دهـــرٌ عليـــك عَـــدَا مـــع الـــدهرِ
فـــارفض بإجمـــالٍ مـــودَّةَ مَـــنْ ... يَقلـــى المُقِـــلَّ ويَعشَـــقُ المُثـــري
وعليـــك مَـــنْ حـــالاهُ واحـــدةٌ ... فـــي العُسْـــر إمَّـــا كنـــتَ واليســـرِ
لا تخلطَّـــــــنهمُ بغيـــــــرهمُ ... مـــن يَخلـــط العِقْيَـــان بالصُّـــفْرِ ؟![359]

(ج3/ص271)

لا يكذب ولا يقطع ولا ينكث

كان المهدي سأل أباه أن يولي يحيى[360] بن زياد عملاً ، فلم يجبه ، وقال : هو خليع متخرّق في النفقة ماجن ، فقال : إنه قد تاب وأناب ، وتضمَّن عنه ما يحب ، فولاَّه بعض أعمال الأهواز ، فقصده حماد عجردٍ إليها ، وقال فيه :

يحيـــى امـــرؤٌ زيَّنَـــه ربُّـــه ... بفعلـــه الأقـــدَمِ والأحـــدَثِ
إن قـــال لـــم يَكـــذِب ، وإن وَدَّ لـــم ... يَقطَـــع ، وإن عاهَـــد لـــم يَنكُـــثِ

(359) العقيان : الذهب . الصفر : النحاس .

(360) من بني الحرث بن كعب ، شاعر مترسل بليغ .

أصـــبحَ فـــي أخلاقـــه كلِّهـــا مـــوكَّلاً بالأســـهل الأدمَـــثِ[361]
طبيعـــةٌ منـــه عليهـــا جَـــرَى فـــي خُلُـــق لـــيس بمُســـتحدَثِ
ورَّثَـــه ذاكَ أبـــوه فيـــا طِيـــبَ نَثَـــا الـــوارثِ والمُـــورِثِ[362]

فوصله يحيى بصِلَةٍ سنيَّة وحمله وكساه ، وأقام عنده مدة ثم انصرف .

(ج3/ص273)

صرتُ للدهر خاشعاً مستكينا !

لما مات محمد بن أبي العباس في أول سنة خمسين ومائة ، قال حماد يرثيه :

صـــرتُ للـــدهر خاشـــعاً مســـتكيناً بعـــد مـــا كنـــت قـــد قهـــرتُ الـــدهورا
حيـــن أودى الأميـــر ذاك الـــذي كنـــ ـــتُ بـــه حيـــث كنـــتُ أُدعَـــى أميـــرا
كنـــتُ إذ كـــان لـــي أُجيـــر بـــه الدهـــ ـــر فقـــد صـــرتُ بعـــدَه مُســـتجيرا
يـــا ســـميَّ النبـــي يـــا ابـــن أبـــي العبـــ ـــاس حقّقـــتَ عنـــديَ المحـــذورا
ســـلبتْني الهمـــومُ إذ سلبتنيـــ ـــك ســـروري فلســـت أرجـــو ســـرورا
ليتنـــي مِـــتّ حـــين موتـــك لا بـــل ليتنـــي كنـــت قبلَـــك المقبـــورا
أنـــت ظلّلتنـــي الغمـــامَ بنُعمـــا ك ووطّـــأْتَ لـــي وِطـــاءً وَثيـــرا[363]
لـــم تَـــدَعْ إذ مضـــيتَ فينـــا نظيِـــراً مِثـــلَ مـــا لـــم يـــدع أبـــوك نظيـــرا

(ج3/ص274-275)

(361) الأدمث : الأسهل ، من دمث كفرح : سهل ، ولان .
(362) النثا : التحدث عن إنسان بالمدح أو القدح ، والمراد هنا الأول .
(363) وثير : لين .

رميتَ جوانحه إذ رميت!

لما أراد محمد بن أبي العباس الخروج من البصرة لما عزله المنصور عنها قال حماد :

أيـــا وقفـــةَ البَـــيْن مـــاذا شَـــبَبْتِ مِـــنَ النَّـــار فـــي كَبِـــدِ المُغـــرمِ!
رَميـــــتِ جوانحَـــــه إذ رَمَيْـــــتِ بقـــــوسٍ مُسَـــــدَّدَةِ الْأَسْـــــهُمِ
وقفنـــا لزينـــبَ يـــومَ الـــوداعِ علـــى مِثـــل جَمـــر الغَضَـــى المُضْـــرَمِ
فَمِـــنْ صَـــرْف دمـــع جـــرى للفـــراقِ لَمُمْتَـــــزِجٍ بعـــــدَهُ بالـــــدَّمِ

(ج3/ص276)

يدوم وُدي لمن دامت مودته!

كان حُرَيث الطائي يهوى امرأة يقال لها : حبَّى بنت الأسود من بني بُحتر بن عَتود ، وكان يهواها ويتحدث إليها ، ومن قوله فيها :

هـل قَلْبُـكَ اليـومَ عـن شَـنْبَاء منصـرِفُ وأنـتَ مـا عشـتَ مجنـونٌ بهـا كَلِـفُ
يـــدومُ وُدِّي لمـــن دامـــت مودَّتُـــهُ وأصـــرف الـــنفسَ أحيانـــاً فتنصـــرفُ
يـــا وَيْـــحَ كـــلَّ محـــبٍّ كيـــف أرحمُـــهُ لأنَّـــي عـــارفٌ صـــدقَ الـــذي يصـــفُ
لا تـــأمنَنْ بعـــد حُبّـــي خُلَّـــة أبَـــداً علـــى الخيانَـــةِ إنَّ الخـــائنَ الطَّـــرِفُ[364]
كأنهـــا رِيشـــةُ ، فـــي أرض بلقَعـــةٍ مـــن حيثمـــا واجهْتهـــا الـــريحُ تنصـــرفُ
يُنسِـي الخليلـين طُـولُ النـأي بينهمـا وتَلتقـــي طُـــرَفٌ شَـــتَّى فتـــأتَلِفُ

ثم خطبهـا ، فوعـده أهلهـا أن يزوجـوه ، ووعدتـه ألا تجيـب إلى تـزويج إلا بـه ، فخطبهـا رجـل مـن بـني ثعـل وكـان موسـراً ، فمالـت إليـه وتركـت حريثـاً ، وقـد خُيِّرت

(364) الطرف : الرجل الحديث الشرف .

بينهما فاختارت الثعلي ، فتزوجها ، فطفق حريث يهجو قومها وقوم المتزوج بها من بني بحتر وبني ثعل .

(ج3/ص279-280)

أنت ابن بيض . . ولكن من أبو بيض ؟ !

اختصم أَبُو الجون السحيمي وحمزة بن بيض إلى المهاجر بن عبد اللَّه الكِلابي ، وهو على اليمامة ، فوثب عليه حمزة فأنشأ يقول :

غَمَّضْتُ فِي حاجة كانت تُؤرِقَني لولا الَّذِي قلتَ فِيهَا قلَّ تغميضي

قال : وما قلت لك ؟ قال :

حلفتَ بِاللَّهِ لِي أن سوف تُنصفني فساغ فِي الحلق ريقي بعد تَجريضي[365]

قال : وأنا أحلف لأُنصفنَّك . قال :

سَلْ هؤلاء إلى ماذا شهادتهم أم كيف أنت وأصحابَ المعاريض ؟

قال : أوجعهم ضرباً . فقال :

وسَلْ سُحيماً إِذا وافاك جمعهُمُ هل كَانَ بالسِّر حَوض مثلُ تحويضي

قال : فقضى له . فأنشأ السحيمي يقول :

أنت ابن بِيض لعمري لستُ أُنكره حقاً يقيناً ولكن مَنْ أَبُو بيضِ ؟
إن كنتَ انبضْت لِي قَوساً لترميني فقد رميتك رميا غير تنبيضِ[366]
أو كنتَ خَضَّضتَ لِي وطْباً لتسقيني فقد سقيتك مَحضا غير ممخُوضِ

---

(365) جرض بريقه : ابتلعه على هم وحزن .

(366) أنبض الرامي القوس : جذب وترها .

– الوَطْـبُ : سِـقاءُ اللَّـبن ، وهـو جلـدُ الجَـذَع فمـا فوقَـه . مَحَـضَ فلانـاً : سـقاه لبنـاً خالصًا لا ماءَ فيه . لَبَنٌ مَمْخوضٌ : لَبَنٌ اسْتُخْرِجَ مِنْهُ زُبْدُهُ .

فـوجم حمـزة وقُطـع بـه . فقيـل لـه : ويلـك لِمَ لا تجيبـه ؟ قـال : وبم أجيبـه ؟ والله لـو قلـت لـه : عبـد المطلـب بـن هاشـم أبـو بـيض ، مـا نفعـني ذلـك بعـد قولـه ، ولكـن : مَن أبو بيض ؟ .

(ج3/ص296)

وَجُدْتَ فقلتَ : ألا سائل . . ؟!

قـال لي حمزة بـن بيض : لمـا وفـد الكميـت بـن زيـد إلى مخلـد بـن يزيـد بـن المهلـب وهـو يخلُف أباه على خراسان ، وكان واليها وله ثماني عشرة سنة ، وقد مدحه بقصيدته التي أولها :

هلاَّ سألتَ معالم الأطلال ...

وهي التي يقول فيها :

يمْشِـــينَ مَشْـــيَ قَطـــا البِطـــاحِ تَـــأَوُّداً قُـــبَّ البُطُـــونِ رَواجِـــحَ الأَكْفـــالِ

وقصيدته التي يقول فيها :

هلا سألت منازلاً بالأبرقِ ...

أعطاه مائة ألف درهـم سوى العُروض والحُملان ، فقدم الكوفة في هيئة لم يُر مثلها ، فقلت في نفسي : والله لأنا أولى من الكميت بما ناله من مخلد بن يزيد ، وإني لحليفه وناصره في العصبية على الكميت وعلى مُضرَ جميعاً ، فهيَّأت لمخلد مديحاً على روي قصيدتي

الكميت وقافيتهما ، ثم شخصت إليه ، فلما كان قبل خروجي إليه بيوم أتتني جماعة من ربيعة في خمس ديات عليهم لمضر في البدو فقالوا : إنك تأتي مخلداً وهو فتى العرب ، ونحن نعلم أنك لا تؤثر على نفسك ، ولكن إذا فرغ من أمرك فأعلمه ممشانا إليك ومسألتنا إياك كلامه ، فنرجو أن تكون عند ظننا ، فلما قدمت خراسان على مخلد أنزلني وفرش لي وأخدمني ، وحملني وكساني وخلطني بنفسه ، فكنت أسمُرُ معه ، فقال لي ليلة : أعليك دين يا ابن بيض ؟ قلت : دعني من مسألتك إياي عن الدين : إنك قد أعطيت الكميت عطية لست أرضى بأقل منها ، وإلا لم أدخل الكوفة ، ولم أُعيَّر بتقصيرك بي عنه . فضحك ثم قال : بل أزيدك على ما أعطيت الكميت ، فأمر لي بمائة ألف درهم ، كما أعطى الكميت وزادني عليه ، وصنع بي في سائر الألطاف كما صنع به ، فلما فرغت من حاجتي أتيته يوماً ومعي تذكرة بحاجة القوم في الديات ، فلما جلس أنشدته :

أَتَيْنَاكَ فِي حَاجَةٍ فَاقْضِهَا ... وَقُلْ مَرْحَباً يَجِبِ الْمَرْحَبُ
وَلا تَكِلَنَّا إِلَى مَعْشَرٍ ... مَتَى يَعِدُوا عِدَةً يَكْذِبُوا
فَإِنَّكَ فِي الْفَرْعِ مِنْ أُسْرَةٍ ... لَهُمْ خَضَعَ الشَّرْقُ وَالْمَغْرِبُ
وَفِي أَدَبٍ مِنْهُمُ مَا نَشَأْتَ ... ونِعْمَ لَعَمْرُكَ مَا أَدَّبُوا
بَلَغْتَ لِعَشْرٍ مَضَتْ مِنْ سِنِيِّ ... كَ مَا يَبْلُغُ السَّيِّدُ الأَشْيَبُ
فَهُمُّكَ فِيهَا جِسَامُ الأُمُورِ ... وَهَمُّ لِدَاتِكَ أَنْ يَلْعَبُوا
وَجُدْتَ فَقُلْتَ أَلا سَائِلٌ ... فَيُعطى أَلا رَاغِبٌ يَرْغَبُ
فَمِنْكَ الْعَطِيَّةُ لِلسَّائِلِينَ ... وَمِمَّنْ يَنُوبُكَ أَنْ يَطْلُبُوا

فقال : مرحباً بك وبحاجتك ، فما هي ؟ فأخرجت إليه رقعة القوم وقلت : حَمالات في ديات ، فتبسم ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم ، فقلت أو غير ذلك أيها الأمير ؟ قال : وما هو ؟ قلت : أُدَلُّ على قبر المهلب حتى أشكو إليه قطيعة ولده . فتبسم ثم قال : زده يا غلام عشرة آلاف أخرى ، فأبيت وقلت : بل أُدلُّ على قبر المهلب حتى أشكو إليه قطيعة ولده . فتبسم ثم قال : زده يا غلام عشرة آلاف أخرى . فأبيت وقلت : بل أُدَل على قبر المهلب ، فقال : زده يا غلام عشرة آلاف أخرى ، فما زلت أُكررها ويزيدني عشرة آلاف ، حتى بلغت تسعين ألفاً ، فخشيت والله أن يكون يلعب أو يهزأ بي ، فقلت : وصلك الله

أيها الأمير وآجرك وأحسن جزاءك ، فقال مخلد : أما والله لو أقمت على كلامك ثم أتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه .

(ج3/ص297-298)

من أظلمت بدايته أظلمت نهايته !

مر عبد الرحمن بن عنبسة يوماً بغلام من أَصْبَحِ الغِلمان وأحسنهم ، ولم يكن لعبد الرحمن ولد ، فسأل عنه ، فقيل له : يتيم من أَهل الشام ، قدم أبوه العراق في بعْثٍ فقتل وبقي الغلام ها هنا ، فضمه ابن عنبسة إليه وتبناه ، فوقع الغلام فيما شاء من الدنيا ؛ ومرَّ يوماً على برذون ومعه خدم على ابن بيض ، وحول ابن بيض عياله في يوم شاتٍ وهم شُعثٌ غُبرٌ عراة ، فقال ابن بيض : مَن هذا ؟ فقيل : صدقة يتيم بن عنبسة . فقال :

يَشْعَثُ صِبيانُنا وما يَتِموا ... وأنت صافي الأديمِ والحَدَقَهْ

فليت صِبياننا إذا يَتِموا ... يلقَوْن ما قد لقيتَ يا صَدَقَهْ

عوّضك الله من أبيك ومن ... أمِّك في الشام بالعراق مِقهْ[367]

كَفاك عبد الرحمن فَقْدَهُما ... فأنت في كِسوة وفي نَفَقَهْ

تظلُّ في دَرْمَكٍ وفاكهةٍ ... ولحمِ طير ما شئت أو مَرقهْ[368]

تأوِي إلى حاضنٍ وحاضنةٍ ... زادا على والديك في الشفقهْ

فَكُلْ هنيئاً ما عاش ثم إذا ... مات فَلَغْ في الدماء والسرِقهْ

وخالِف المسلمين قِبلَتهمْ ... وضِلَّ عنهم وخادِنِ الفسقهْ

لصوته في الصهيلِ صَهْصَلقَهْ[369]

---

(367) المقه : الحب .

(368) الدرمك : الدقيق الأبيض .

(369) النهد : المرتفع . والتليل : العنق . ويريد بذلك الفرس . والصهصلقة : شدة الصوت .

واشـــترِ نَهـــدَ التَّلِيـــل ذا خُصَـــلٍ رَبَّ دنـــانيرَ جمـــةٍ ورِقَـــهْ[370]
فـــاقطع عليـــه الطريـــق تُلْـــفَ غـــداً

فلما مات عبد الرحمن أصابه ما قاله ابنُ بيض أجمع ، من الفساد والسرقة ، وصحبة اللصوص له ، ثم كان آخر ذلك أنه قطع الطريق ، فأُخِذَ وصُلِب .

(ج3/ص299-300)

لا أتمنى ما لست له بأهل!

خرج حمزة بن بيض يريد سفراً ، فاضطره الليل إلى قرية عامرة كثيرة الأهل والمواشي ، من الشاء والبقر ، كثيرة الزرع ، فلم يصنعوا به خيراً ، فغدا عليهم فقال :

لعـــنَ الإلـــهُ قُرَيَّـــةً يَمَّمتُهـــا فأضـــافني لـــيلاً إليهـــا المغـــربُ
الـــزارِعين ولـــيس لـــي زرعٌ بهـــا والحـــالبين ولـــيس لـــي مـــا أحلِـــبُ
فلعـــل ذاك الـــزرعَ يُـــودِي أهلـــه ولعـــل ذاك الشـــاءَ يومـــا يَجْـــربُ
ولعـــل طاعونـــاً يُصـــيب علوجهـــا ويصـــيب ســـاكنها الزمـــانُ فتخـــربُ

فلم يمر بتلك القرية سنة حتى أصابها الطاعون فأباد أهلها وخربت إلى اليوم ، فمر بهم ابن بيض فقال : كلا ، زعمتُ أني لا أُعطى مُنْيَتي . قالوا : وأبيك لقد أُعطيتَها فلو كنت تمنَّيتَ الجنة كان خيراً لك . قال : أنا أعلم بنفسي ، لا أتمنى ما لست له بأهل ، ولكني أرجو رحمة ربي عزَّ وجلّ .

(ج3/ص300)

(370) الرقة : الدراهم المضروبة .

قد أتى ربَّكِ خبزٌ يابس!

خرج ابن بيض في سفر فنزل بقوم فلم يحسنوا ضيافته ، وأتوه بخبز يابس وألقوا لبغلته تبناً ، فأعرض عنهم وأقبل على بغلته فقال :

احسْـــــبِيها ليلـــــةً أدلجتُهـــــا فكُلـــــي إنْ شـــــئتِ تِبْنـــــاً أو ذَرِي
قـــد أتـــى ربَّـــكِ خبـــزٌ يـــابسٌ فتعـــــزَّي معـــــه واصـــــطبري

(ج3/ص300)

أخاف على فخارتي أن تحطما

وقع بين بني حنيفة بالكوفة ، وبين بني تميم شر حتى نشبت الحرب بينهم ، فقال رجل لحمزة بن بيض : ألا تأتي هؤلاء القوم فتدفعهم عن قومك فإنك ذو بيان وعارضة ؟ فقال :

ألا لا تَلُمْنـــي يـــا ابـــن ماهـــانَ إننـــي أخـــافُ علـــى فَخَّـــارتي أن تَحَطَّمـــا
ولـــو أننـــي أبتـــاعُ فـــي الســـوق مِثلَهـــا وعيشِـــكَ مـــا باليـــتُ أن أتقـــدَّما

(ج3/ص301)

لا بَطِرٌ إن تتابعت نِعَمٌ

دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلب السجن ، فأنشده قوله :

أُغلِـق دون الســماح والجــود والنجــ ـــــدةِ بـــابٌ حَديـــدُه أَشِـــبُ[371]
ابـــنُ ثـــلاثٍ وأربعـــين مضـــتْ لا وَرَعٌ واهـــــنٌ ولا نَكِـــــبُ[372]
لا بَطِـــــرٌ إنْ تتابعـــــت نِعَـــــمٌ وصـــابرٌ فـــي الـــبلاء مُحتسِـــبُ
بَـــرَّزْتَ سَـــبقَ الجـــواد فـــي مَهَـــلٍ وقصَّـــرتْ دون ســـعيك العـــرَبُ

فقال : والله يا حمزة لقد أسأتَ إذ نوهت باسمي في غير وقت تنويه ، ولا منزل لك ، ثم رفع مقعداً تحته ، فرمى إليه بخرقة مصرورة ، وعليه صاحبُ خبرٍ واقفٌ فقال : خذ هذا الدينار ، فوالله ما أملك ذهباً غيره ، فأخذه حمزة ، وأراد أن يرده ، فقال له سراً : خذه ولا تُخدع عنه ، قال حمزة : فلما قال لي : لا تخدع عنه ، قلت : والله ما هذا بدينار ، فخرجت فقال لي صاحب الخبر : ما أعطاك يزيد ؟ فقلت : أعطاني ديناراً ، فأردت أن أرده عليه فاستحييت منه . فلما صرت إلى منزلي حللت الصرة ، فإذا فص ياقوت أحمر كأنه سِقط زَنْد[373] ، فقلت : والله لئن عرضت هذا بالعراق ليعلمنَ أني أخذته من يزيد فيُؤخذ مني ، فخرجت به إلى خراسان ، فبعته من رجل يهودي بثلاثين ألفاً ، فلما قبضت المال وصار الفص في يده قال لي : والله لو أبيت إلا خمسين ألف درهم لأخذته منك . فكأنما قذف في قلبي جمرة ، فلما رأى تغيُّر وجهي قال : إني رجل تاجر ، ولست أشك أني قد غممتك . قلت : إي والله وقتلتني ، فأخرج إليَّ مائة دينار وقال : أنفق هذه في طريقك لتتوفر عليك تلك .

(ج3/ص301-302)

(371) أشب : ملتف .
(372) الورع : من معانيه الجبان . والنكب : المائل .
(373) سَقْطُ الزَّنْدِ : يريد : أنه كشعلة النار التي تقع من الزند إذا أوري .

سليمان . . وابن بيض !

قال مخلد بن حمزة بن بيض : قدم أبي على يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك ، فأدخله إليه فأنشده :

ســـاس الخلافـــةَ والـــداك كلاهمـــا ... مـــن بـــين سَـــخْطةِ ســـاخطٍ أو طـــائعِ
أبـــواك ثـــم أخـــوك أصـــبح ثالثـــاً ... وعلـــى جبينـــك نُـــورُ مَلْـــكٍ رابـــعِ
سَـــرَّيتَ خـــوف بنـــي المهلَّـــب بعـــدما ... نظـــروا إليـــك بِسَـــمِّ مـــوتٍ نـــاقِع
لـــيس الـــذي ولاّك ربُّـــك مـــنهمُ ... عنـــد الإلـــه وعنـــدهم بالضـــائعِ

فأمر له بخمسين ألفاً .

(ج3/ص302)

أخلب بيتٍ وأرقه وأقنعه

قال النضر بن شميل : دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمروٍ وعليَّ أطمار مُترَعْبِلة[374] فقال لي : يا نضر ، تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب ؟! فقلت : إن حرَّ مروٍ لا يُدفع إلا بمثل هذه الأخلاق ، قال : لا ولكنك رجل متقشف .. فتجارينا الحديث ، فقال المأمون : حدثني هُشَيم بن بَشِير عن مُجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ لِدِينِهَا وَجَمَالِهَا كَانَ فِيهَا سَدَادٌ مِنْ عَوَزٍ**» [375] هكذا قال (سَداد) بالفتح ، فقلت : صدق يا أمير المؤمنين . وحدثني عوف الأعرابيُّ عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «**إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ**

(374) مترعبلة : خلقة أطمار .

(375) قال الألباني في ضعيف الجامع الصغير /428/ : ضعيف

لِدِينِهَا وَجَمَالِهَا كَانَ فِيهَا سِدَادٌ مِنْ عَوَزٍ» . وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال : السَّداد لحنٌ عندك يا نَضْر ؟ قلت : نعم ، ها هنا يا أمير المؤمنين ، وإنما هُشيم لَحَنَ وكان لحَّانةً ، فقال : ما الفرق بينهما ؟ قلت : السَّداد بالفتح : القَصْدُ في الدّين والطريقة والسبيل . والسِّداد بالكسر : البلْغة . وكل ما سددت به شيئاً فهو سِداد ، وقد قال العرجي :

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ... ليوم كريهة وسِدادِ ثَغْرِ

قال : فأطرق المأمون ملياً ثم قال : قبح الله من لا أدب له ، ثم قال : أنشدني يا نضر أخلبَ بيتٍ للعرب ، قلت : قول حمزة بن بيض يا أمير المؤمنين :

تَقُولُ لِي وَالْعُيُونُ هَاجِعَةٌ ... أَقِمْ عَلَيْنَا يَوْمًا فَلَمْ أُقِمِ
قالَتْ : فَأَيَّ الْوُجُوهِ انْتَجَعْتَ ؟ قُلْتُ لَهَا : ... لأَيِّ وَجْهٍ إلا إِلَى الْحَكَمِ
مَتَى يَقُلْ حَاجِبًا سُرَادِقِهِ ... هَذَا ابْنُ بَيْضٍ بِالْبَابِ يَبْتَسِمِ
قَدْ كُنْتُ أُسْلَمْتُ فيك مُقْتَبِلاً ... فَهاتِ إِذْ حَلَّ واعطِني سَلَمِي

فقال المأمون : لله درك كأنما شق لك عن قلبي ، فأنشدني أنصف بيت للعرب ، قلت : قول أبي عروبة المدني :

إِنِّي وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَمِّي عَاتِبًا ... لِمُزَاحِمٍ مِنْ خَلْفِهِ وَوَرَائِهِ
وَمُفِيدُهُ نَصْرِي وَإِنْ كان امْرءاً ... مُتَزَحْزِحًا عَنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
وَأَكُونُ وَالِيَ سِرِّهِ وَأَصُونُهُ ... حَتَّى يَحِينَ عَلَيَّ وَقْتُ أَدَائِهِ
وَإِذَا الْحَوَادِثُ أَجْحَفَتْ بِسَوَامِهِ ... قُرِنَتْ صَحِيحَتُنَا إِلَى جَرْبَائِهِ
وَإِذَا دَعَا بِاسْمِي لِيَرْكَبَ مَرْكَبًا ... صَعْبًا قَعَدْتُ لَهُ عَلَى سِيسَائِهِ
وَإِذَا أَتَى مِنْ وَجْهِهِ بِطَرِيفَةٍ ... لَمْ أَطَّلِعْ فيها وَرَاءَ خِبَائِهِ
وَإِذَا ارْتَدَى ثَوْبًا جَمِيلاً لَمْ أَقُلْ ... يَا لَيْتَ أَنَّ عَلَيَّ حُسْنَ رِدَائِهِ

فقال : أحسنت يا نضر ، أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب ، فأنشدته قول ابن عبدل الأسدي :

إنّــي اِمــرُؤٌ لَــم أَزَلْ وَذاكَ مِــنَ الــ ـــــلّهِ قَـــــديماً أُعَلِّـــــمُ الأَدَبـــــا
أُقــيمُ بِالــدارِ مــا اِطمَأَنَّــتْ بِــيَ الــدا رُ وَإِن كُنـــــتُ مازِحـــــاً طَرِبـــــا
لا أَجتَـــوي خُلَّـــةَ الصَـــديقِ وَلا أُتبِـــعُ نَفســـي شَـــيئاً إِذا ذَهَبـــا
أَطلُــبُ مــا يَطلُــبُ الكَــريمُ مِــنَ الــرِ زقِ بِنَفســـي وَأُجمِـــلُ الطَلَبـــا
وَأَحْلِـــبُ الثَـــرَّةَ الصَـــفِيَّ وَلا أَجهَـــدُ أَخـــلافَ غَيرِهـــا حَلَبـــا[376]
إِنّــي رَأَيــتُ الفَتــى الكَــريمَ إِذا رَغَّبتَـــهُ فـــي صَـــنيعَةٍ رَغِبـــا
وَالعَبـــدُ لا يَطلُـــبُ العَـــلاءَ وَلا يُعطيـــكَ شَـــيئاً إِلاّ إِذا رَهِبـــا
مِثــلُ الحِمــارِ المُوقَــعِ الســوءِ لا يُحسِـــنُ مَشـــياً ؛ إِلاّ إِذا ضُـــرِبا
وَلَـــم أَجِـــد عُـــدَّةَ الخُلائِـــقِ إِ لا الــدينَ لَمّــا اعتَبَــرتُ وَالحَسَــبا
قَــد يُــرزَقُ الخــافِضُ المُقــيمُ وَمــا شَـــدَّ بِعـــيسٍ رَحْـــلاً وَلا قَتَبـــا
وَيُحــرَمُ الــرِزقَ ذو المَطِيَّــةِ وَالرَحـــ ـــلِ وَمَـــن لا يَـــزالُ مُغتَرِبـــا

فقال : أحسنت يا نضر ، وكتب إلى الحسن بن سهل بخمسين ألفاً ، وأمر خادماً بإيصال رقعة وتنجيز ما أمر به لي ، فمضيت معه إليه ، فلما قرأ الرقعة ضحك وقال لي : يا نضر أنت الْمُلَحِّن لأمير المؤمنين ؟ قلت : لا بل لِهُشيم ، قال : فذاك إذاً ، وأطلق لي الخمسين الألف درهم ، وأمر لي بثلاثين ألفاً .

(ج2/ص365-366)

ويُعتبني يوماً إذا كنت عاتباً . .

قدم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب ، فوعده أن يصنع به خيراً ثم شغل عنه ، فاختلف عليه مراراً فلم يصل إليه ، وأبطأت عليه عِدَتُهُ ، فقال ابن بيض :

(376) الثرة : الغزيرة ، وكذلك الصفي : الناقةالغزيرة اللبن . والأخلاف : أثداؤها .

أمَخْلَـــدُ إن الله مـــا شـــاء يصـــنعُ ... يجُـــودُ فيُعطـــي مـــا يشـــاءُ ويمنَـــعُ
وإنّـــيَ قـــدْ أمَّلْـــتُ منـــك ســـحابةً ... فجـــادت ســـراباً فـــوق بيـــداءَ تلمـــعُ
فأجمعـــتُ صُـــرْماً ثـــم قلـــتُ لعلَّـــهُ ... يثـــوبُ إلـــى أمـــرٍ جميـــلٍ ويرجِـــعُ
فأيأســـني مـــن خيـــر مخلـــدَ أنـــهُ ... علـى كـلِّ حـالٍ لـيس لـي فيـه مَطمـعُ
يجـــودُ لأقـــوام يـــودُّونَ أنَّـــهُ ... مـــن الـــبُغضِ والشَّـــنْآنِ أمســـى يُقَطَّـــعُ
ويَبْخَـــلُ بـــالمعروف عمـــن يـــوَدُّهُ ... فـــوالله مـــا أدري بـــه كيـــف أصـــنعُ
أأصـــرِمُهُ ؟ فالصُّـــرمُ شـــرٌّ مَغَبَّـــةً ... ونفســـي إليـــه بالوصـــال تَطَلَّـــعُ
وشـــتانَ بينـــي فـــي الوصـــال وبينَـــهُ ... علـــى كـــلِّ حـــالٍ أســـتقيمُ ويَظْلَـــعُ
وقـــد كـــان دهـــراً واصـــلاً لـــي بـــوُدِّه ... ومعروفُـــهِ بَعـــدُ البَريـــدُ الْمُفَـــرِّعُ[377]
وأعقبنـــي صُـــرْماً علـــى غيـــر إِحْنـــة ... وبخـــلاً وقِـــدْماً كـــان لـــي يتبـــرَّعُ
وغيَّـــره مـــا غيّـــر النـــاسَ قبلَـــهُ ... فنفســـي بمـــا يـــأتي بـــه لـــيسَ تقنَـــعُ

ثم كتبه في قرطاس وختمه وبعث به مع رجل فدفعه إلى غلامه ، فدفعه الغلام إليه ، فلما قرأه سأل الغلام : من صاحب الكتاب ؟ قال : لا أعرفه ، فأُدخل إليه الرجل فقال : من أعطاك هذا الكتاب ؟ **ومن بعث به معك ؟ قال : لا أدري ، ولكن من صفته كذا وكذا** ، ووصف صفة ابْن بيض ، فأمر به فضُرب عشرين سوطاً على رأسه ، وأمر له بخمسمائة درهم وكساه ، وقال : إنما ضربناك أدباً لك ، لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه ، لمن لا تعرفه ، فإياك أن تعود لمثلها ، قال الرجل : لا والله ! أصلحك الله ، لا أحمل كتاباً لمن أعرف ولا لمن لا أعرف ، قال : احذر فليس كلُّ أحد يصنع بك صنيعي ، وبعث إلى ابن بيض فقال له : أتعرف ما لحق صاحبك الرجل ؟ قال : لا ، فحدثه مخلد بقصته ، فقال ابن بيض : والله أصلحك الله لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين السوط مع الخمسمائة أبداً ، فضحك مخلد وأمر له بخمسة آلاف درهم وخمسة أثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبداً ، قال : أجل ، والله ولكن من لي بمثلك يعتبني إذا استعتبته ويفعل بي مثل فعلك ؟ ثم قال :

---

(377) المفرع : المجول في الأرض .

وأبـــيضَ بُهْلُـــولٍ إذا جئـــتُ دارَهُ كفـاني وأعطـاني الـذي جئـتُ أسـألُ
ويُعتِبنـــي يومـــاً إذا كُنـــتَ عاتبـــاً وإن قلـت زدنـي قـال حقًّـا سـأفعلُ
تـــراهُ إذا مـــا جئتَـــه تطلـــبُ النَّـــدى كأنـك تعطيـه الـذي جئـتَ تسـألُ
فللَّـــــه أبنـــــاءُ المهلَّـــــب فتيـــــةً إذا لَقِحَـــتْ حـــربٌ عَـــوانٌ تأكَّـــلُ
هُـمُ يَصـطلونَ الحـربَ والمـوتُ كـانِعٌ بسُـمْرِ القنـا والمَشـرَفِيَّةُ مـن عَـلُ[378]
تـرى المـوتَ تحـت الخافقـاتِ أمـامَهُمْ إذا وردوا عَلُّـــوا الرمـــاح وأَنهلُـــوا
يجـودونَ حتـى يحسِـبَ النـاسُ أنهُـمْ بجـــودهمُ نـــذرٌ علـــيهم مُحَلَّـــلُ
غيـوثٌ لمـن يرجـو نـداهم وجـودهمْ سِـــمامٌ لأقـــوام لُحـــاةٍ يُثَمَّـــلُ[379]
كفـاكَ مـن أبنـاءُ المهلَّـبِ أنهُـمْ إذا سُـئِلُوا المعـروفَ لـم يَتَبَسَّـلوا[380]
فـــذلك مِيـــراثُ المهلَّـــب إنـــه كـــريمٌ نَمـــاهُ للمكـــارم أَوّلُ
جـــرى وجـــرت آبـــاؤه فتحـــرَّزوا عـن الـذَّمّ فـي عَيطـاء لا تُتَوَقَّـلُ[381]

فلما أنشده ابن بيض هذه الأبيات أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب ، وقال : نزيدك ما زدتنا ونُضعف لك ، فقال :

أَمَخْلَـــدُ لـــم تتـــركْ لنفســـي بُغْيَـــةً وزدتَ علـى مـا كُنـتُ أرجُـوَ وآمُـلُ
فكنـتَ كمـا قـد قـال مَعْـنٌ فإنـه بصـيرٌ بمـا قـد قـال إذ يتمثَّـلُ
وَجَـدْتُ كثيـرَ المـالِ إذ ضَـنَّ مُعَـدِماً يُـــذَمُّ ويَلْحـــاه الصـــديقُ المؤَمِّـــلُ
وإنَّ أحـقَّ النـاسِ بـالجودِ مـن رأى أبـاهُ جَـواداً للمكـارِمِ يَجْـذَلُ[382]
تَـرُبُّ الـذي قَـد كـان قَـدَّم والـدٌ أغَـــرُّ إذا مـــا جئتـــه يَتَهَلَّـــلُ
وَجَـــدْتَ يزيـــداً والمهلَّـــبَ بـــرَّزا فقلـــتَ فـــإني مثـــلَ ذلـــك أفعَـــلُ

(378) كانع : قريب ، متجمع للوثبة ، مترقب . والمشرفية : السيوف .
(379) اللحاة : العيابون والسبابون . ويثمل : أي : سم ينقع حتى يختمر .
(380) تبسلوا : عبسوا غضباً .
(381) لا تتوقل : لا تصعد . والعيطاء : المستطيلة في السماء .
(382) يجذل : يفرح ويهش .

ففُــزتَ كمــا فــازا وجــاوزْتَ غايــةً يُقَصِّــرُ عنهــا الســابقُ المُتَمهِّــلُ[383]

فأنــت غِيــاثٌ لليتــامى وعِصــمةٌ إليــك جِمــالُ الطــالبي الخيــرِ تُرَحــلُ

أصــاب الــذي رجَّــى نــداك مُخِيلــةً تَصُــبُّ عَزاليهــا عليــه وتَهطُــلُ[384]

ولــم تُلْــفَ إذ رَجَّــوْا نوالَــك بــاخلاً تظــلُّ علــى المعــروف والمــال تعْقُــلُ[385]

ومــوتُ الفتــى خيــرٌ لــه مــن حياتِــه إذا كــان ذا مــالٍ يَضِــنُّ ويبخُــلُ

فقال له مخلد : احتكم ، فأبى ، فأعطاه عشرة آلاف دينار وجارية وغلاماً وبرذوناً .

(ج3/ص308-311)

ليس هذا بمدحٍ!

وفد الحسين بن مطير على مَعن بن زائدة لما ولي اليمن وقد مدحه ، فلما دخل عليه أنشده :

أَتَيْتُــكَ إذْ لَــمْ يَبْــقَ غَيْــرُكَ جَــابِرٌ وَلاَ وَاهِــبٌ يُعْطِــي اللُّهَــا والرَّغَائِبَــا[386]

فقال له معن : يا أخا بني أسد ، ليس هذا بمدح ، إنما المدح قول نَهار بن توسِعة أخي تيم الله نهار بن ثعلبة في مسمع بن مالك بن مسمع :

قلَّدتــــه عُــــرا الأُمــــور نِــــزَارٌ قبــل أنْ يَهلِــك السُّــراةُ البُحــورُ[387]

وأول هذا الشعر :

---

(383) لعلها (المتعجل) فهي أنسب .

(384) المخيلة : السحابة المنذرة بالمطر . والعزالي : مصبات الماء من القرب ونحوها . وصبت السحابة عزاليها : إشارة إلى شدة وقع مطرها .

(385) تعقل : تشده بحبل .

(386) اللها : العطايا الجزيلة ، وكذلك الرغائب .

(387) السراة : جمع سري ، وهو السيد الشريف .

اظْعَنــي مــن هَــراةَ قــد مــرَّ فيهــا حِجَــجٌ مــذْ ســكنتِها وشُــهورُ
اظْعَنــي نحــو مِســمَعٍ تَجدِيــه نِعــمَ ذو الْمُنتَمــي ونعــم الْمَــزُورُ
ســوف يَكفيــك إن نَبَــتْ بــك أرضٌ بخُراســانَ إذ جفــاك أميــرُ
مــن بنــي الحِصْــن عامــلٌ ذو فعــالٍ لا قليــلُ النّــدى ولا مَنْــزُورُ
والــذي تفــزع الكُمــاةُ إليــه حــين تَــدْمَى مــن الطِّعــان النُّحــورُ
فاصــطنعْ يــا ابــن مالــكٍ آلَ بكْــرٍ واجْبُــرِ العظْــمَ إنَّــه مكســورُ

فغدا إليه بأُرجوزته التي مدحه بها وأولها :

حَــدِيثُ لَيْلَــى حَبَّــذَا دلالُهــا تسْــأَلُ عَــنْ حَــالِي وَمَــا سُــؤَالُها
عَــنِ امْــرْىءٍ قَــدْ شَــفَّهُ خَيَالُهــا وَهْــيَ شَــفَاءُ الــنَّفْسِ لَــوْ تَنَالُهــا[388]

يقول فيها يمدحه :

سَــلَّ سُــيُوفاً مُحْــدَثاً صِــقَالُها صَــابَ عَلَــى أعْدَائِــهِ وَبَالُهــا
وَعِنْــدَ مَعْــن ذي النَّــدَى أَمْثَالُهــا

فاستحسنها وأجزل صلته.

(ج3/ص330-331)

ضحك المشيب برأسه فبكى !

أنشد رجل الأصمعي لدعبل بن علي :

أَيــنَ الشَــبابُ وَأَيَّــةً سَــلَكا

وكان عنده جماعة فاستحسنوا قوله منها :

(388) شفه : أوهنه .

لا تَعجَبــي يــا سَــلْمَ مِــنْ رَجُــلٍ ضَــحِكَ المشــيبُ برأسِــهِ فَبَكــى

فقال الأصمعي : هذا سرقه من قول الحسين بن مطير :

أَيْــنَ أَهْــلُ القِبــابِ بالــدَّهْناءِ أَيْــنَ جيرانُنــا علــى الأحْســاءِ
فارَقُونــا والأرْضُ مُلْبَسَــةٌ نَــوْ رَ الأقــاحِي تُجــادُ بــالأنْواءِ
كــلّ يــوم بــأُقْحُوانٍ جَديــدٍ تضــحك الأرضُ مــن بُكــاءِ الســماءِ

(ج3/ص332)

مِثْلُ هذا فلْيُسَهِّرْكَ

كان المفضل الضبي خائفاً من المهدي لخروجه مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وكان محتاجاً وعليه عشرة آلاف درهم دين ، فأرسل إليه المهدي وقال له : أسهرتني البارحة أبيات الحسين بن مطير الأسدي . فقال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله :

وَقَــدْ تَغْــدُرُ الــدُّنْيا فيُضــحي فقيرُهــا غَنيّــاً ويَغْنــى بعــد بُــؤْسٍ فقيرُهــا
فــلا تَقْــرَبِ الأمْــرَ الحــرامَ فإنَّــه حلاوتُــهُ تَفْنــى ويَبقــى مَرِيرُهــا
وكــم قــد رأينــا مِــنْ تغَيُّــرِ عيشــةٍ وأُخْــرى صَــفا بعْــدَ اكْــدِرَارٍ غــديرُها

فقال له المفضل : مثل هذا فليسهرْك يا أمير المؤمنين .

وكان المهدي رقيقاً فاستعبر ، فقال له المهدي : يا مفضل كيف حالك ؟ فقال المفضل : كيف يكون حال من هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم ؟ فأمر له بثلاثين ألف درهم ، وقال : اقضِ دينك واصلح شأنك . فقبضها وانصرف .

(ج3/ص332)

قد وسعت الجودَ والجودُ ميت !

خرج المهدي يوماً فلقيه الحسين بن مطير فأنشده :

أضــحت يمينــك مــن جــود مُصــوَّرَةً لا بــل يمينُــك منهــا صُــوّرَ الجــودُ

فقال : كذبت يا فاسق ، وهل تركت من شعرك موضعاً لأحد بعد قولك في معن بن زائدة حيث تقول :

أَلِمَّــا بِمَعْــنٍ ثُــمَّ قــولا لِقَبــرِهِ سَـقِيتَ الغَـوادِيَ مَرْبَعـاً ثـم مَرْبَعـا[389]

أيــا قَبــرَ مَعــنٍ أَنــتَ أَوَّلُ حُفــرَةٍ مِـنَ الأَرضِ خُطَّـت لِلسَّـماحَةِ مَضـجَعا

أيـا قَبـرَ مَعـنٍ كَيـفَ وارَيـتَ جـودَهُ وَقَـد كـانَ مِنـهُ البَـرُّ وَالبَحـرُ مُترَعـا

بَلـى قَـد وَسِعتَ الجـودَ وَالجـودُ مَيِّـتٌ وَلَـو كـانَ حَيّـاً ضِـقتَ حَتّـى تَصَـدَّعا

فَتـىً عِـيشَ فـي مَعروفِـهِ بَعـدَ مَوتِـهِ كَمـا كـانَ بَعـدَ السَـيلِ مَجـراهُ مَرتَعـا

أبـىَ ذكـرُ معـنٍ أن تمـوتَ فَعالُـه وإنْ كـان قـد لاقـى حِمامـاً ومَصـرعَا

أخْرِجوه عني ، فأُخرج .

(ج3/ص333)

ما أشعر بيت في خلافة بني هاشم ؟

قال أحمد بن يوسف الكاتب : كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلقٍ على قفاه ؛ فقال لعبد الله بن طاهر : يا أبا العباس ، مَنْ أشعر مَنْ قال الشعر في خلافة بني هاشم ؟ قال : أميرُ المؤمنين أعرفُ بهذا وأعلى عيناً ، فقال له : على ذلك فقل وتكلم أنت أيضاً يا أحمد بن يوسف . فقال له عبد الله بن طاهر : أشعرهم الذي يقول :

(389) المربع : المطر في الربيع .

أيـــا قَبـــرَ مَعـــنٍ أَنـــتَ أَوَّلُ حُفـــرَةٍ مِـنَ الأَرضِ خُطَّـت لِلسَّـماحَةِ مَضـجَعا

قال أحمد بن يوسف : بل أشعرهم الذي يقول :

وَقف الهوى بِي حيث أنتِ فليس لِي مُتـــــأخَّرٌ عَنْـــــهُ وَلا مُتَقَـــــدَّمُ

فقال : أبيت يا أحمد إلا غَزَلاً ، أين أنتم عن الذي يقول :

يَـــا شـــقيق الـــنفس مـــن حَكَـــمِ نمْـــتَ عَـــنْ ليلـــى ولـــم أنَـــمِ

(ج3/ص333-334)

صِفْ هذه السحابة !

قيل لأبي عبيدة : ما تقول في شعر الحسين بن مطير ؟ فقال : والله لوددت أن الشعراء قاربته في قوله :

مخصَّـــرةُ الأوســـاطِ زانـــتْ عُقودَهـــا بأحســـن ممَّـــا زيَّنَتهـــا عُقودُهـــا

فَصُـــفْرٌ تَراقيهـــا وحُمْـــرٌ أكُفُّهـــا وسُـــودٌ نَواصـــيها وبِـــيضٌ خـــدُودُها

وكان سبب قوله هذه الأبيات أن والياً وَلِيّ المدينة ، فدخل عليه الحسين بن مطير ، فقيل له : هذا من أشعر الناس . فأراد أن يَبلوه وقد كانت سحابةٌ مكفهرةٌ نشأت وتتابع منها الرعد والبرق ، وجاءت بمطر جَودٍ(390) ، فقال له : صف هذه السحابة . فقال :

مُستَضـــــحِكٌ بِلَوامِـــــعٍ مُســـــتَعبِرٌ بِمـــدَامِعٍ لَـــم تَمْرِهـــا الأَقـــذاءُ(391)

فلـــــه بـــــلا حُـــــزْنٍ ولا بمســـــرَّةٍ ضَـــــحِكٌ يُـــــراوح بينـــــه وبكـــــاءُ

---

(390) الجود : الغزير .

(391) لم تمرها : من مرى الناقة : مسح ضرعها ، ويريد أن مدامع المطر ليست من نوع مدامع العيون التي تسببها الأقذاء ، وهي الأقذار .

كَثُـــرَتْ لِكَثْـــرَةِ وَدْقـــهِ أطْبَـــاؤُهُ فـــإِذَا تَحَلَّـــبَ فَاضَـــتِ الأَطْبَـــاءُ[392]

وكـــأَنَّ بَارِقَـــهُ حَرِيـــقٌ تَلتَقـــي رِيـــحٌ عليـــهِ وعَـــرْفَجٌ وأَلاَءُ[393]

لَـو كَـانَ فـي لُجَـجِ السَـواحِلِ مـاؤُهُ لَـم يَبـقَ فـي لُجَـجِ السَـواحِلِ مـاءُ

فأعجب الوالي قوله في المعنى وأحسن جائزته .

(ج3/ص334-335)

طلق امرأته وردَّ ولده

كان حارثة أبو دواد تزوج امرأة من قومه فولدت له دواداً ، ثمّ ماتت ، ثمّ تزوج أخرى فأُولِعت بدواد وأمرت أباه أن يجفوه ويبعده ، وكان يحبها ، فلمّا أكثرت عليه قالت : أخرجه عني ، فخرج به وقد أردفه خلفه إلى أن انتهى إلى أرض جرداء ليس فيها شيء ، فألقى سوطه متعمداً ، وقال : أي دواد ، انزل فناولني سوطي ، فنزل ، فدفع بعيره وناداه :

أدُوادُ إن الأمـــر أصـــبح مَـــا تـــرى فـــــانظر دُوادُ لأي أرض تَعمِـــــدُ ؟

فقال له دواد : على رِسلك ، فوقف له فناداه :

وبـــأيّ ظنِّـــك أن أقـــيم ببلـــدة جـــرداءَ لـــيس بغيرهـــا مُتَلَـــدَّدُ[394]

فرجع إليه ، وقال له : أنت والله ابني حقاً ، ثم رده إلى منزله وطلق امرأته .

(ج3/ص342)

---

(392) الأطباء : حلمات الضرع . والودق : المطر .

(393) العرفج والألاء : نوعان من الشجر .

(394) متلدد : تلبث .

العبد يقرع بالعصا . . !

كان لأبي دواد امرأة يقال لها أم حَبْتَر ، وفيها يقول :

فِـــي ثلاثـــين زَعزَعتْهـــا حقـــوقٌ أصـــبحتْ أمُّ حَبتـــر تشـــكوني
زعمـــت لِـــي بـــأنني أُفسِـــدُ المـــا لَ وأزْويـــه عَـــنْ قضـــاء ديـــوني[395]
أمَّلـــتْ أن أكـــون عبـــداً لمـــالي وتَهنَّـــا بنـــافع المـــال دونـــي

ولها يقول وقد عاتبته على سماحته بماله فلم يُعتبها فصرمته ، فقال لها :

حاولـــتِ حـــين صَـــرَمْتِني والمـــرءُ يَعْجِـــز لا المحالَـــهْ
والـــدَّهر يلعـــب بـــالفتى والـــدهر أروغُ مـــن ثُعالَـــهْ[396]
والمـــرء يكسِـــب مالَـــه والشُّـــحُّ يُورثـــه الكّلالَـــهْ
والعبـــدُ يُقـــرع بالعصـــا والحـــرُّ تكفيـــه المقالَـــهْ
والسَّـــكْتُ خيـــرٌ للفتـــى فـــالحَيْنُ مـــن بعـــض المقالَـــهْ

(ج3/ص342-343)

كل شاعر أصاب بما أراده

كان علي رضي اللّه عنه يُفطر الناس في شهر رمضان ، فإذا فُرِغ من العشاء تكلم فأقلَّ ، وأوجز فأبلغ ، فاختصم النّاس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر النّاس ، فقال علي رضي الله عنه لأبي الأسود الدُّؤَلي : قل يا أبا الأسود . فقال أبو الأسود : -وكان يتعصب لأبي دواد الإيادي- : أشعرهم الذي يقول :

---

(395) أزويه : أنحيه .

(396) ثعالة : الثعلب .

ولقـــد أغتـــدي يُـــدافع رُكنـــي أحـــوذيٌّ ذو مَيعَـــةٍ إضـــريجُ[397]
مِخْلـــطٌ مزيَـــلٌ مِكَـــرٌّ مِفَـــرٌّ مِـــنفَحٌ مِطـــرَحٌ سَـــبوحٌ خَـــروجُ[398]
سَـــلْهَبٌ شَـــرْحَبٌ كـــأنّ رماحَـــاً حَملتْـــه فـــي السَّـــراة دُمُـــوجُ[399]

فأقبل علي رضي الله عنه على النّاس فقال : كل شعرائكم محسن ، ولو جمعهم زمان واحد ، وغاية واحدة ، ومذهب واحد في القول لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك ، وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن فيه ، وإن يكن أحد فَضَلهم فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حُجر ، فإنه كان أصحهم بادرة وأجودهم نادرة .

(ج3/ص343-344)

دوادة هي الشاعرة !

بينا أبو دواد وزوجته وابنه وابنته على ربوة وإياد إذ ذاك بالسواد ، إذ خرج ثور من أجمة ، فقال أبو دواد :

وبـــــدتْ لـــــه أُذنٌ تَوجَّـــــ سُ حُـــــرَّةٌ وأحَـــــمُّ وارِدْ[400]
وقـــــوائمٌ عُـــــوجٌ لهـــــا مـــــن خلفهـــــا زَمَـــــعٌ زوائـــــدْ[401]
كمقاعـــــد الرُّقبـــــاءِ للضُّـــــ ـــــرَباءِ أيـــــديهم نواهـــــدْ[402]

(397) الإضريج : الواسع اللبان ، أو الفرس الجواد الشديد العدو . والميعة : أول جري الفرس وأنشطه . والأحوذي : السريع في كل ما أخذ فيه .

(398) يقال : رجل مخلط مزيل : كيس لطيف ، أو هو الجدل في الخصومات ، يزول من حجة إلى حجة . يفهم منه أن أبا داود يصف الحصان بأنه يحسن الجري . والمنفح : السريع . الخروج : الذي يسبق الخيل فيخرج من بينها .

(399) السلهب والشرحب : الطويل . والسراة : الظهر . والدموج : التداخل والاستحكام .

(400) توجس : تسمع الصوت الخفي . حرة : صادقة المسع مرهفة . الأحم : القرن الأسود .

(401) الزمع : جمع زمعة ، وهي هنة زائدة وراء الظلف .

(402) الضرباء : جمع ضريب ، وهو الموكل بالقداح . ونواهد : قائمة .

ثمّ قال : أنفذي يا أم دُواد ، فقالت :

وبـــــدتْ لـــــه أُذنٌ تَوجَّـــــ سُ حُـــــرَّةٌ وأحَـــــمُّ مُولَـــــقْ
وقـــــوائمٌ عُـــــوجٌ لهـــــا مـــــن خلفهـــــا زَمَـــــعٌ مُعلَّـــــقْ
كمقاعـــــد الرُّقبـــــاءِ للضُّـــــ ـــــرَباءِ أيـــــديهم تـــــألَّقْ

ثمّ قال أنفذ يا دواد ، فقال :

وبـــــدتْ لـــــه أُذنٌ توجَّـــــ سُ حُـــــرَّةٌ وأحَـــــمُّ مُرْهَـــــفْ
وقـــــوائمٌ عُـــــوجٌ لهـــــا مـــــن خلفهـــــا زَمَـــــعٌ مُلَفَّـــــفْ
كمقاعـــــد الرُّقبـــــاءِ للضُّـــــ ـــــرَباءِ أيـــــديهم تلقَّـــــفْ

ثم قال : أنفذي يا دوادة . قالت : وما أقول مع من أخطأ ؟ قالوا : ومن أين أخطأنا ؟ قالت : جعلتم له قرناً واحداً ، وله قرنان . قالوا : فقولي . فقالت :

وبـــــدتْ لـــــه أُذنٌ تَوجَّـــــ سُ حُـــــرَّةٌ وأحَمَّتـــــانْ
وقـــــوائمٌ عُـــــوجٌ لهـــــا مـــــن خلفهـــــا زَمَـــــعٌ ثمـــــانْ
كمقاعـــــد الرُّقبـــــاءِ للضُّـــــ ـــــرَباءِ أيـــــديهم دوانْ

(ج3/ص345-346)

شِعْرُ الرجل كأولاده

روي عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها إلا في بيت واحد ، فقال له : يا أَبا تمام ، لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب . فقال له : أنا والله أعلم منه مثل ما تعلم ، ولكن مَثَلُ شِعْرِ الرجل عنده مَثَلُ أولادِهِ ؛ فيهم الجميل ، والقبيح ، والرشيد ؛ والساقط ، وكلهم حلوٌ في نفسه ، فهو وإن أحب الفاضل لم يبغض

الناقص ، وإن هويَ بقاء المتقدم لم يهو موت المتأخر . واعتذاره بهذا ضد لما وصف به نفسُه في مدحه الواثقَ ، حيث يقول :

جاءتــْكَ مــن نَظْــمِ اللِسّــانِ قِــلادةٌ سِـــمْطَانِ فيهـــا اللُّؤلـــؤُ المكنـــونُ

أحْـــذاكها صَـــنَعُ اللِسّـــانِ يُمـــدُّهُ جَفــرٌ إذا نَضَــبَ الكــلامُ مَعِــينُ[403]

ويُسِـــيءُ بالإحْســـانِ ظَنــاً لا كَمَـــنْ هُـــوَ بابْنِـــهِ وبشِـــعْرِهِ مَفْتـــونُ[404]

فلو كان يسيء بالإساءة ظناً ولا يفتتن بشعره كنا في غنى عن الاعتذار له .

(ج3/ص348-349)

أشعر الناس طُرًّا

قال أبو الفرج : حدثني عمي قال : قال أبي :

سمعت محمد بن الملك الزيات يقول : أشعر الناس طراً الذي يقول :

ومــا أُبــالي وخيــرُ القــول أَصــدُقه حَقنــتَ لــي مــاءَ وجهــي أو حقنــتَ دمــي

فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العباس –الصولي– ، وكان في نفسي أعلمَ من محمد وآدبَ ، فجلست إليه وكنت أجري عنده مجرى الولد ، فقلت له : مَن أشعر أهل زماننا هذا ؟ فقال : الذي يقول –يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني– :

مَطَــرٌ أبــوكَ أبــو أهِلَّــةِ وائِــلٍ مَــلأ البَســيطةَ عُــدَّةً وعَديــداً[405]

نَسَبٌ كـأنَّ عليـه مِـن شَـمسِ الضُـحى نــوراً ومِــن فَلَــقِ الصَــباح عَمــوداً

---

(403) الجفر : بئر واسعة الفم ، وقد ذكرها هنا في معنى يدل على الغزارة . والمعين :الذي يجري على وجه الأرض ، وقد كثر ذلك حتى صار الناس يسمون الماء الذي يستقى من الآبار : معيناً .

(404) أي : هو يستقل لك الكثير .

(405) أي : أبوك كأنه أبو أهلة في شرفهم .

وَرِثــوا الأُبُــوَّةَ والحُظــوظَ فأصــبَحوا جَمَعـوا جُـدوداً فـي العُلـى وَجُـدوداً[406]

فاتفقنا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه .

(ج3/ص349-350)

صاحبكم هذا أشعر الناس

قال محمد بن يزيد النحوي :

قدم عُمارة بن عقيل بغداد ، فاجتمع الناس إليه وكتبوا شعره وشعر أبيه ، وعرضوا عليه الأشعار ، فقال بعضهم : ها هنا شاعر يزعم أنه أشعر الناس طُرّاً -يعنون أبا تمام- ، ويزعم غيره ضد ذلك ، فقال : أنشدوني له ، فأنشدوه مطلع قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي :

غَـدَتْ تَستَجيرُ الـدَّمعَ خَـوْفَ نَـوى غَـدِ وعــادَ قَتــاداً عِنــدها كُــلُّ مَرْقَــدِ[407]

وأنْقَــذَها مِــن غَمــرَةِ الْمَــوتِ أنَّــهُ صُــدودُ فــراقٍ لا صُــدودُ تَعمُّــدِ[408]

فَــأجرى لهــا الإشــفاقُ دَمْعــاً مُــوَرِّداً مِــنَ الــدَمِ يَجــري فــوقَ خَــدٍّ مُــوَرَّدِ

هــي البــدرُ يُعنيهــا تَــوَدُّدُ وَجهِهــا إلـى كـلِّ مَـنْ لاقَـت وإن لـم تَـوَدَّدِ[409]

ثم قطع الإنشاد ، فقال له عمارة : زدنا من هذا ، فوصل نشيده وقال :

وَلكِنَّنــي لَــمْ أحْــوِ وَفــراً مُجَمَّعــاً ففُــزتُ بــهِ إلاّ بِشَــملٍ مُبَــدَّدِ[410]

---

(406) الجدود الأول :آباء الآباء ، والثاني : الحظوظ . يقول : حصل لهؤلاء القوم وراثة شرف النسب ومساعدة القدر ، فأصبحوا جمعوا آباءاً أشرافاً وحظوظاً ضخاماً .

(407) تستجيره : لأنها تستشفي به .

(408) قال التبريزي : خفف عنها أن الصدود ليس بقصد وإنما هو فراق بعد .

(409) تودد وجهها : حسنه ، وأن كل أحد يحبه .

(410) أي : بشمل كان لي ففرقته ، لأني فارقت أهلي وولدي .

ولَــمْ تُعطِنــي الأيّــامُ نَومــاً مُسَــكِّناً أَلَــذُّ بــهِ إلاّ بِنَــومٍ مُشَــرَّدِ[411]

فقال عمارة : لله درّه ، لقد تقدّم في هذا من سبقه إليه على كثرة القول فيه حتى حبب إليَّ الاغتراب . هيه ، فأنشده :

وطـولُ مُقـامِ المـرءِ فـي الحـيِّ مُخلِـقٌ لِديباجَتَيــهِ فَــاغتَرِبْ تَتَجَــدَّدِ[412]

فـإنّي رأيــتُ الشــمسَ زيــدتْ مَحَبَّــةً إلــى النــاسِ أَن ليســتْ علــيهم بِسَــرْمَدِ

فقال عمارة : كمل والله ، ولئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعاني واطراد المراد واتساق الكلام ، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس .

(ج3/ص350-351)

إنه أخ بالأدب والمودة !

وصف علي بن الجهم أبا تمام وبالغ ، فقال له رجل : والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا ، فقال : إن لم يكن أخاً بالنسب فإنه أخ بالأدب والمودة ، أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول :

إنْ يُكْــدِ مُطَّــرِفُ الإخــاءِ فإنَّنــا نَغــدو ونَســري فــي إخــاءٍ تالِــدِ[413]

أو يَختَلِــفْ مــاءُ الوِصــالِ فَماؤُنــا عَــذْبٌ تَحَــدَّرَ مِــن غَمــامٍ واحِــدِ

أو يَفتَــرقْ نَسَــبٌ يُؤَلِّــفْ بَينَنــا أدبٌ أقَمنــاهُ مُقــامَ الوالِــدِ

(ج3/ص351-352)

---

(411) مسكناً : فيه سكوني ولذتي ، أي : إلاّ بعد كون المشقات .

(412) أي : اغترب لكي يشتاق إليك . والمعنى : أنه مخلق الثياب . وأراد بالديباجتين : ما يظهر من أمره ، لأن ملبس الإنسان يدل على باطنه .

(413) أي : إن لم يثمر حديث الإخاء ، فإن إخاءنا قديم مثمر .

فغضب دِعبل وانصرف

جرى في حلقة دعبل ، ذكر أبي تمامٍ ، فقال دعبل : كان يتتبع معانيَّ فيأخذها . فقال له رجل في مجلسه : وأي شيء في ذلك أعزك الله ؟ قال : قولي :

وإن امْـــرَءاً أَســـدَى إلـــيَّ بشـــافعٍ إليـــه ويرجُـــو الشـــكرَ مِنِّـــي لأحْمَـــقُ
شـــفيعَكَ فاشـــكُرْ فـــي الحـــوائجِ إنـــه يصُـــونُك عـــن مكروهِهـــا وهـــو يَخْلُـــقُ

فقال له الرجل : فكيف قال أبو تمام ؟ فقال : قال :

فلَقِيـــتُ بـــين يَديـــهِ حُلْـــوَ عَطائِـــهِ ولَقيـــت بـــين يـــدَيَّ مُـــرَّ سُـــؤَالِهِ
وإذا امـــرُؤٌ أَسْـــدَى إليـــكَ صـــنيعةً مـــن جاهِـــهِ فكأنَّهـــا مـــن مالِـــهِ

فقال له الرجل : أحسن والله ، فقال : كذبت قبحك الله ، فقال : والله لئن كان أخذه منك لقد أجاده فصار أولى به منك ، وإن كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه ، فغضب دعبلٌ وانصرف .

(ج3/ص352)

لو لم يقل غيرهما لكفتاه !

قال عبد الله بن محمد بن جرير : سمعت محمد بن حازم الباهلي يقدم أبا تمام ويفضله ويقول : لو لم يقل شيئاً إلاّ مرثيته التي أولها :

أصـمَّ بـك النَّـاعِي وإن كـانَ أسـمَعَا

وقوله :

لــو يَقْــدِرُونَ مَشَــوْا عَلَــى وَجَنَــاتِهِمْ وجبـــاهِهِمْ فَضْـــلاً عَـــنِ الأقْـــدَامِ

لكفتاه .

(ج3/ص352-353)

كأن حُسْنَ المعنى موقوفٌ عليه !

قال عبيد الله بن طاهر : كان عمارة بن عقيل عندنا يوماً ، فسمع مؤدباً كان لولد أخي يروِّيهم قصيدة أبي تمام :

الحـــقُّ أَبلـــجُ والســـيوفُ عَـــوَارِي فَحَـــذَار مـــن أَسَـــدِ العَـــرينِ حَـــذارِ

فلما بلغ إلى قوله :

سُـــودُ اللِبـــاسِ كأنمـــا نَسَـــجَتْ لهـــم أيـــدي السَّـــمُوم مَـــدارِعاً مـــن قـــارِ[414]

بَكَـــرُوا وأسْـــرَوْا فـــي مُتـــون ضـــوامرٍ قِيـــدَتْ لهـــم مـــن مَـــرْبِطِ النَّجـــارِ[415]

لا يَبرَحـــون ومـــن رآهـــم خـــالَهمْ أبـــداً علـــى سَـــفَر مـــن الأســـفارِ[416]

فقال عمارة : لله دره : ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه كأنه موقوف عليه .

(ج3/ص353)

(414) سود الثياب : يريد بهم : الأفشين وبابك ومازيار . وأراد بسواد ثيابهم : اسوداد جلودهم بالشمس والريح .

(415) جعل تلك الجذوع –التي صلبوا عليها– لهم بمنزلة الأفراس الضوامر ، ثم بين أنها ليست أفراساً على الحقيقة لأنها حملت من حانوت النجار .

(416) لسواد وجوههم وتشمرهم .

استحسنت قول أبي تمام

قال إبراهيم بن العباس : ما اتَّكلت في مكاتبتي قط إلا على ما جاش به صدري وجلبه خاطري ، إلا أني قد استحسنت قول أبي تمام –من قصيدة يمدح بها المعتصم– :

فـإنْ باشَـرَ الإِصْـحَارَ فـالبِيضُ والقَنَـا قِـرَاهُ وأَحْـوَاضُ المنَايـا مَنَاهِلُـهْ[417]

وإن يَـبْنِ حِيطَانـاً عَلَيْـهِ فإنَّمَـا أُولئـكَ عُقَّالاَتُـهُ لاَ مَعَاقِلُـهْ[418]

وإلاّ فأعْلِمْـهُ بأنّـكَ سَـاخِطٌ وَدَعْـهُ فَـإنّ الخَـوْفَ لا شَـكَّ قاتِلُـهْ

فأخذت هذا المعنى في بعض رسائلي فقلت : فصار ما كان يحرِزهم يُبرزهم ، وما كان يعقلهم يعتقلهم .

(ج3/ص353-354)

أبو تمام في خراسان !

لما قدم أبو تمام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه وسألوه أن ينشدهم ، فقال : قد وعدني الأمير أن أنشده غداً وستسمعوني ، فلما دخل على عبد اللّه أنشده :

هُـنَّ عَـوادي يوسُـفٍ وَصَـواحِبُه فَعَزمـاً فَقِـدماً أَدرَكَ السُـؤلَ طالِبُـه[419]

فلما بلغ إلى قوله :

---

(417) الإصحار : الخروج إلى الصحراء ، ويراد هنا : الخروج للحرب . وباشره : حضره . أي : وإن خرج إلى الصحراء هرباً منك جعلت قراه –كقرى الضيف– السيف والرمح .

(418) عقالات : جمع عقال ، وهو داء يعرض للخيل ،كأن الفرس في أول جريه يعقل عن الجري ثم يزول عنه ذلك . والمعاقل : جمع معقل ، وأصل ذلك في الجبل .

(419) عوادي يوسف : يعني بهن النساء ، ومعنى عوادي : صوارف .

وَقَلقَــلَ نَــأيٌ مِــن خُراســانَ جَأشَــها فَقُلتُ اِطمَئِنّي أَنضَرُ الرَوضِ عازِبُهْ[420]
وَرَكــبٍ كَــأَطرافِ الأَسِــنَّةِ عَرَّســوا عَلــى مِثلِهــا وَاللَيــلُ تَســطو غَياهِبُــهْ[421]
لأَمــرٍ عَلَــيهِم أَن تَــتِمَّ صُــدورُهُ وَلَــيسَ عَلَــيهِم أَن تَــتِمَّ عَواقِبُــهْ

فصاح الشعراء بالأمير أبي العباس : ما يستحق مثلَ هذا الشعر غيرُ الأمير أعزَّه اللَّه ، وقال شاعر منهم يعرف بالرّياحي : لي عند الأمير أعزه اللَّه جائزة وعدني بها ، وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير . فقال له : بل نُضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا ، فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار ، فلقطها الغلمان ولم يمسّ منها شيئاً ، فوجَد عليه عبدُ اللَّه ، وقال : يترفَّع عن بِري ، ويتهاون بما أكرمته به ؟! فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك.

(ج3/ص354-356)

لم يمت من رُثِيَ بهذا الشعر

قال جابر الكرخي :

إنه حضر أبا دُلَف القاسم بنَ عيسى وعنده أبو تمام الطائي ، وقد أنشده قصيدته :

علــى مِثلهــا مــن أَرْبُــعٍ وملاعِــبِ أُذيلــتْ مصــوناتُ الــدُّموعِ السَّــواكبِ

فلما بلغ إلى قوله :

إذا افتخــرتْ يومــاً تمــيمٌ بقَوســها وزَادَتْ على ما وَطَّدَتْ مِن مَناقِبِ[422]
فــأنتمْ بــذي قــارٍ أمالــتْ سُــيُوفكمْ عــروشَ الــذين استُرْهنوا قــوْسَ حاجِــبِ

(420) جأشها : أي : جأش العاذلة . والعازب البعيد . ومنه قولهم : هو رابط الجأش ، أي يربط جأشه فيمنعه أن يطير ، فكأنه قد ربطه .

(421) يجوز أن يكون شبه الركب بالأسنة مضاء ونفاذاً ، ويجوز أن يكون شبههم بها نحافة وهزالاً .

(422) قوس تميم : هي القوس التي رهنها حاجب بن زرارة ضماناً لعهده ، فوفى بما وعد .

محاسنُ من مجْدٍ متى تقرنوا بها مَحاسِنَ أقوامٍ تَكُنْ كالمعايِبِ

فقال أبو دلف : يا معشر ربيعة ، ما مُدحتم بمثل هذا الشعر قط ، فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بمطارفهم يرمون بها إليه ، فقال أبو دلف : قد قَبلها وأعاركم لُبْسها ، وسأنوب عنكم في ثوابه ، تمِّم القصيدة يا أبا تمام ، فتممها ، فأمر له بخمسين ألف درهم . وقال : والله ما هي بإزاء استحقاقك وقدرِك ، فاعذِرنا فشكره ، وقام ليقبل يده فحلف ألا يفعل ، ثمّ قال له : أنشدني قولك في محمّد بن حُميد :

وما ماتَ حتى ماتَ مَضْرِبُ سيفهِ مِنَ الضَّرْبِ واعْتَلَّتْ عليهِ القَنا السُّمْرُ
وقد كانَ فَوْتُ المَوْتِ سَهْلاً فردَّهُ إليه الحِفاظُ المرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ[423]
فأثبتَ في مُستنقعِ الموتِ رِجلَه وقال لها منْ تحت أخمصكِ الحشْرُ
غَدَا غَدْوَةً والحَمْدُ حَشْوُ رِدائِهِ فلم ينصرفْ إلا وأكفانُه الأجْرُ
كأنَّ بَنِي نَبْهَانَ يومَ مُصابِه نُجومُ سَماءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنها البَدْرُ
يُعزَّوْنَ عن ثاوٍ يُعزَّى بهِ العُلا ويبكي عليهِ البأسُ والجُودُ والشِّعْرُ

فأنشده إياها فقال : والله لوددت أنها فيّ ، فقال : بل أُفدِّي الأمير بنفسي وأهلي وأكون المقدم ، فقال : إنه لم يمت من رُثي بهذا الشعر أو مثله .

(ج3/ص356-358)

لم أعطيت أبا تمام ألف درهم ؟!

قال الواثق لابن أبي دُؤاد : بلغني أنك أعطيت أبا تمام الطائي في قصيدة مدحك بها ألف دينار ، قال : لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ، ولكني أعطيته خمسمائة دينار رعاية للذي قاله للمعتصم :

(423) الحفاظ : الذب عن المحارم .

فاشْـــدُدْ بهـــارونَ الخلافـــةَ إنَّـــهُ سَـــكَنٌ لوحشـــتها ودارُ قـــرارِ[424]
ولقَـــدْ عَلِمْـــتُ بـــأنَّ ذلـــك مِعْصَـــمٌ مـــا كنْـــتَ تَتْرُكُـــهُ بغَيْـــرِ سِـــوَارِ[425]

فتبسم وقال إنه لحقيق بذلك .

(ج3/ص358)

صيرك الإحسان عائباً عاتبا

قال عون بن محمد :

شـهدت دِعـبلاً عنـد الحسـن بـن رجـاء وهـو يَضَـعُ مـن أبي تمـام ، فاعترضـه عِصـابةُ الجرْجرائيُّ فقال : يا أبا عليٍّ اسمع مني ما قاله ، فإن أنت رضيته فذاك ، وإلا وافقتك على ما تذمُّه منه ، وأعوذ بالله فيك من ألا ترضاه ، ثم أنشده ، قوله :

أَمـــا إنَّـــهُ لَـــولا الخَلـــيطُ المُـــوَدِّعُ وَمغْنـــى عَفـــا مِنـــهُ مَصـــيفٌ وَمَرْبَـــعُ
لَـــرُدَّت عَلـــى أَعقابِهـــا أَريحِيَّـــةٌ مِـنَ الشَـوقِ واديهـا مِـنَ الهَـمِّ مُنـزَعُ[426]

فلما بلغ إلى قوله :

هـو السَّـيلُ إنْ واجَهْتَـهُ انْقَـدْتَ طَوْعَـهُ وتَقْتَـادُهُ مِـنْ جانِبَيـهِ فَيَتْبَـعُ[427]
ولـم أرَ نَفْعـاً عنـد مَـنْ لَـيْسَ ضَـائِراً ولـم أرَ ضَـرًّا عِنْـدَ مَـنْ لَـيْسَ ينفَـعُ

(424) هارون : ابن المعتصم الملقب بالواثق . أي : اجعله ولي عهدك فإن الخلافة إذا استوحشت من غيره سكنت إليه ، وإذا نفرت من غيره استقرت عليه رضى منها به وسكوناً إليه .

(425) جعل ابنه بمنزلة المعتصم ، يقول : فكما لا يترك المعصم عطلاً خالياً من الحلي ، فكذلك لا تخليه من الخلافة .

(426) أي : لولا ما ذكره لقويت على هذه الأريحية من الشوق على أعقابها ، أي : من حيث جاءت ، غير أن مفارقة هذا الحبيب وما أرى من دروس آثار داره قد أورثاني من الغم ما أضعفني عن ذلك .

(427) يقول : هذا الممدوح لا يمكن مدافعته ولا ينال المراد منه بالعنف ، وإذا لوين نيل منه المراد ، كما أن السيل الذي من واجهه مدافعاً له بالعنف قاده ومر به ، فإن خوتل وأتي من جانبه على وجه المخاتلة والملاينة أمكن اختلاج السواقي منهما .

مَعــاَدُ الــورَى بعــدَ الممَــاتِ وسَــيْبُهُ مَعــادٌ لنَــا قبــل المَمــاتِ ومَرْجِــعُ[428]

فقال له دعبل : لم ندفع فضل هذا الرجل ، ولكنكم ترفعونه فوق قدره ، وتقدِّمونه على من يتقدمه ، وتنسبون إليه ما قد سرقه ، فقال له عصابة : إحسانه صيرك له عائباً وعليه عاتباً .

(ج3/ص360-361)

ومن لا يعطي على هذا ملكه ؟!

قال الحسن بن وداع كاتب الحسن بن رجاء : حضرت أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده :

أســـقى ديـــارَهُمُ أَجَـــشُّ هَـــزِيمُ وغـــدَتْ علـــيهِمْ نَضْـــرَةٌ ونَعِـــيمُ[429]

فلما فرغ أمر له بألف دينار وخلع عليه خِلعة حسنة ، وأقمنا عنده يومنا ، فلما كان من غد كتب إليه أبو تمام :

قـدْ كَسـانا مـن كِسْـوَةِ الصـيف خِـرْقٌ مُكْـتَسٍ مـــن مكـــارِمٍ ومَسَـــاعِي[430]

حُلَّـــــــةً ســـــــابِرِيَّةً ورِداءً كَسَـــحَا القَـــيْضِ أو رِداء الشُـــجاعِ[431]

كالسَـــراب الرَقـــراقِ فـــي الحُسْـــنِ إلاَّ أنَّـــه لـــيس مِثلَـــهُ فـــي الخِـــدَاعِ

---

(428) يقول : المعاد والجنة بعد الموت ، وهذا في الدنيا جنتنا نصير إليه .

(429) الأجش : يوصف به الرعد ،كأن به جشة . والهزيم :يحتمل أن يكون من الصوت من ذلك قولهم : تهزم الأديم : إذا تكسر وتشقق .

(430) الخرق : الكريم السخي .

(431) السابرية : الرقيقة . وسحا القيض : يعني ما تحت القيض ، وهو القشر الأعلى من البيضة . والسحا : ما تحته ، ورداء الشجاع : سلخه . والشجاع : الحية .

قَصَـــبِيّاً تَســـتَرجِفُ الـــريحُ مَتْنَيـــ ـــه بـــأمرٍ مِـــنَ الْهُبـــوبِ مُطـــاعِ[432]
رَجفانـــاً كأنَّـــه الـــدَهرَ منـــهُ كَبِـــدُ الضَّـــبِّ أو حَشَـــا المُرْتَـــاعِ[433]
لازمـــاً مـــا يَليـــهِ تَحسِـــبُهُ جُـــز ءاً مِـــن الْمَتَنَـــينِ والأضـــلاعِ[434]
يَطـــرُدُ اليَـــومَ ذا الهَجيـــرِ وَلَـــو شُبِّـــ ـهَ فـــي حَـــرِّهِ بِيَـــومِ الـــوَداعِ
خِلعَـــةً مِـــنْ أغَـــرَّ أروَعَ رَحْـــب الصَّـــ ـــدرِ رَحْـــبِ الفـــؤادِ رَحْـــبِ الـــذِّراعِ
ســـوف أكســـوكَ مـــا يُعَفِّـــي عليهـــا مِـــنْ ثَنـــاءٍ كـــالبُرْدِ بُـــردِ الصَّـــنَاعِ
حُسْـــنُ هاتيـــكَ فـــي العُيـــونِ وهـــذا حُسْـــنُهُ فـــي القلـــوبِ والأســـماعِ[435]

فقال محمد بن الهيثم : ومن لا يعطي هذا ملكه ؟! والله ، لا يبقى في داري ثوب إلا دفعته إلى أبي تمام ، فأمر له بكل ثوب كان يملكه له في ذلك الوقت.

(ج3/ص361-363)

ما زالت الأيام تخبر سائلاً

مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران في يوم واحد ، فدخل عليه أبو تمام فأنشده :

مـــا زالَـــتِ الأيّـــامُ تُخبِـــرُ ســـائِلاً أن سَـوفَ تَفجَـعُ مُسْـهِلاً أو عـاقِلا[436]
مجـــدٌ تـــأوَّبَ طارقـــاً حتـــى إذا قُلنـــا أقـــامَ الـــدهرَ أصـــبحَ راحِـــلا

(432) القصي : نوع من الثياب رقيقة ناعمة ، وتسترجف : تطلب رجفانه .

(433) قال التبريزي : يضرب به المثل في القلق والاضطراب .

(434) المتنتان : جنبتا الظهر ، أي : لرقته يلزم ما يليه من الجسد فلا ينبو عنه ولا يتعداه ، بخلاف الثوب الخشن الغليظ .

(435) قال التبريزي : تيك لا يجوز إدخال (ها) عليها ، لأن (ها) للتنبيه في الإشارة إلى الحاضر القريب ، واللام في تلك دلالة البعد . و(ها) دلالة القرب ، فكأنهما يتنافيان فلا يجتمعان ، وليس كذلك (تيك) لأنه ليس فيه اللام التي تدل على البعد .

(436) المسهل : من أتى السهل . والعاقل : من صعد وامتنع في الجبل العالي .

نجمـــــانِ شـــــاء اللهُ ألا يَطْلُعـــــا إلا ارتِـــدادَ الطَـــرفِ حتـــى يَـــأفُلا
إنَّ الفَجيعَـــةَ بالريـــاضِ نَواضِـــراً لأَجَـــلُّ منهـــا بالريـــاضِ ذَوابِـــلا
لـــو يُنْســـبانِ لكـــانَ هـــذا غارِبـــاً للمَكرُمـــاتِ وكـــان هـــذا كـــاهِلا[437]
لَهْفـــي علـــى تلـــك المَخايِـــلِ منهمـــا لـــو أُمْهِلَـــتْ حتـــى تكـــون شَـــمائِلا
لَغَـــدا سُـــكونُهُما حِجـــىً وصِـــباهُما حِلْمـــاً وتلـــك الأريَحيَّـــةُ نـــائِلا
إنَّ الهـــــلالَ إذا رأيـــــتَ نُمُـــــوَّهُ أَيقَنـــتَ أنْ سَـــيكونُ بَـــدراً كـــامِلا

(ج3/ص364-365)

عضني جوعٌ فلا أمنع سائلا !

كانت عتبة بنت عفيف ، وهي أم حاتم ، ذاتَ يسار ، وكانت من أسخى الناس وأقراهم للضيف ، وكانت لا تُليق[438] شيئاً تملكه ، فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها ، فمكثت دهراً لا يُدفع إليها شيء منه ، حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صِرمَة[439] من إبلها ، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها في كل سنة تسألها ، فقالت لها : دونك هذه الصرمة فخذيها ، والله لقد عضَّني من الجوع ما لا أمنع معه سائلاً أبداً ، ثم أنشأت تقول :

لعَمْـرِي لَقِـدْماً عضَّـني الجـوعُ عَضَّـةً فآلَيْـتُ ألاَّ أمنَـع الـدَّهْرَ جائِعـاً
فقُـولاَ لهـذا اللائمـي اليـومَ أعْفِنـي فـإن أنْـتَ لـم تفعَـلْ فعَـضَّ الأصـابِعَا
فمـاذا عسـاكم أن تقُولُـوا لأخـتكم سِـوَى عَـذْلِكم أو عَـذْلِ مَـنْ كـان مانِعـاً

(437) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق . والغارب : الكاهل ، أو ما بين السنام والعنق .

(438) لا تليق : لا تمسك .

(439) الصرمة : القطعة .

ومـــا إنْ تـــرَوْنَ اليـــومَ إلاّ طبائعـــاً فكيـف بتَرْكـي -يـا ابْـنَ أُمِّ- الطَّبَائِعـا

(ج3/ص367-368)

لا ينفق من المال قويان

كانت سفَّانة بنت حاتم من أجود نساء العرب ، وكان أبوها يعطيها الصِّرمة بعد الصرمة من إبله فتُنْهبُها وتُعطيها الناس ، فقال لها حاتم : يا بنية إن القويين[440] إذا اجتمعا في المال أتلفاه ، فإما أن أعطي وتمسكي ، أو أمسك وتُعْطي ، فإنه لا يَبقى على هذا شيء.

(ج3/ص368)

حاتم الطائي وجدُّه

كان حاتم من شعراء العرب ، وكان جواداً يُشْبه شعْره جُودَه ويصدق قوله فعْلُه ، وكان حيثما نزل عرف منزله ، وكان مظفراً ، إذا قاتل غَلب ، وإذا غنم أنهب ، وإذا سئل وهب ، وإذا ضرب بالقداح فاز ، وإذا سابق سبق ، وإذا أَسَرَ أَطلقَ ، وكان يقسم بالله أن لا يقتل واحدَ أمه ، وكان إذا أهلَّ الشهر الأصم (وهو رجب) الذي كانت مضَرُ تعظمه في الجاهلية ، ينحر كل يوم عشراً من الإبل ، فأطعم الناس واجتمعوا إليه ، فكان ممن يأتيه من الشعراء الحطيئة وبشر بن أبي خازم .

وذكروا أن أم حاتم أُتيت وهي حُبلى في المنام فقيل لها : أغلام سمْح يقال له : حاتم أحب إليك : أم عشرة غِلْمة كالناس ؛ ليوث ساعةَ الباس ، ليسوا بأوغاد ولا أنكاس ؟

(440) في ديوان حاتم ص 114 أن القوتين إذا اجتمعتا .

فقالت : حاتم . فولدت حاتماً ، فلما ترعرع جعل يُخْرج طعامه ، فإن وجد من يأكله معه أكل ، وإن لم يجد طرحه . فلما رأى أبوه أنه يُهلك طعامه قال له : الحقْ بالإبل . فخرج إليها ، ووهب له جارية وفرساً وفِلْوَها ، فلما أتى الإبل طفق يبغي الناس فلا يجدهم ، ويأتي الطريق فلا يجد عليه أحداً ، فبينما هو كذلك إذ بصر بركب على الطريق فأتاهم ، فقالوا : يا فتى هل من قِرىً ؟ فقال : تسألون عن القرى وقد ترون الإبل ؟! وكان الذين بصر بهم عَبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني ، وكانوا يريدون النعمان ، فنحر لهم ثلاثة من الإبل ، فقال عبيد : إنما أردنا بالقرى اللبن ، وكانت تكفينا بكرة إذ كنت لا بد متكلفاً لنا شيئاً ، فقال حاتم : قد عرفت ولكني قد رأيت وجوهاً مختلفة ، وألواناً متفرقة ، فظننت أن البلدان غير واحدة ، فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه ، فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها وذكروا فضله ، فقال حاتم : أردت أن أحسن إليكم فصار لكم الفضل عليَّ ، وأنا أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبلي عن آخرها أو تقوموا إليها فتقتسموها . ففعلوا ، فأصاب الرجلَ تسعةٌ وثلاثون ومضوا على سفرهم إلى النعمان . وإن أبا حاتم سمع بما فعل فأتاه فقال له : أين الإبل ؟ فقال : يا أبت طوَّقتك بها طوق الحمامة مجدَ الدهر ، وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيتَ شعر أثنى به علينا عوضاً من إبلك . فلما سمع أبوه ذلك قال : أبإبلي فعلت ذلك ؟! قال نعم . قال : والله لا أُساكنك أبداً . فخرج أبوه بأهله وترك حاتماً ومعه جاريته وفرسه وفلوُها . فقال يذكر تحولَ أبيه عنه :

وَإِنّي لَعَفُّ الفَقرِ مُشتَرَكُ الغِنى ... وَتارِكُ شَكلٍ لا يُوافِقُهُ شَكلي

وَشَكلِيَ شَكلٌ لا يَقومُ لِمِثلِهِ ... مِنَ الناسِ إِلّا كُلُّ ذي نِيقَةٍ مِثلي[441]

وَأَجعَلُ مالي دونَ عِرضِيَ جُنَّةً ... لِنَفسي وأَستَغني بِما كانَ مِن فَضلي

وَما ضَرَّني أَن سارَ سَعدٌ بِأَهلِهِ ... وَأَفرَدَني في الدارِ لَيسَ مَعي أَهلي

سَيَكفي اِبتِنائيَ المَجدَ سَعدَ بنِ حَشرَجٍ ... وَأَحمِلُ عَنكُم كُلَّ ما ضاع مِن نَفلِ[442]

وَلي مَعَ بَذلِ المالِ في المجد صَولَةٌ ... إِذا الحَربُ أَبدَت عَن نَواجِذُها العُصلِ[443]

---

(441) النيقة : اسم من التنوق ، وهو التجود في الملبس والمطعم والأمور .

(442) النفل : الزيادة عن الواجبات .

(443) العصل : جمع أعصل ، ومن معانيه : الناب الأعوج .

وهذا الشعر يدل على أن جده صاحب هذه القصة معه لا أنها قصة أبيه ، وهكذا ذكر يعقوب بن السكيت ووصف أن أبا حاتم هلك وحاتم صغير ، فكان في حِجْر جده سعد بن الحشرج ، فلما فتح يده بالعطاء وأنهب ماله ضيق عليه جده ورحل عنه بأهله وخلفه في داره . فبينا حاتم يوماً بعد أن أنهب ماله وهو نائم إذ انتبه ، وإذا حوله مائتا بعير أو نحوها تجول ويحطم بعضها بعضاً ، فساقها إلى قومه فقالوا : يا حاتم أبقِ على نفسك فقد رزقت مالاً ولا تعودنّ إلى ما كنت عليه من الإسراف . قال : فإنها نُهبى بينكم ، فانتُهبت ، فأنشأ حاتم يقول :

تَـــدَارَكَني جَـــدِي بسَـــفْحِ مُتَـــالعٍ فـــلا يَيْأَسَـــنْ ذو نَوْمَـــةٍ أَنْ يُغنَّمـــا

ولم يزل حاتم على حاله في إطعام الطعام وإنهاب ماله حتى مضى لسبيله .

(ج3/ص368-371)

استجاروه فأجارهم

خرج حاتم في نفر من أصحابه في حاجة لهم فسقطوا على عمرو بن أوس بن طريف بن المثنى بن عبد الله بن يشجب بن عبد وُد في فضاء من الأرض ، فقال لهم أوس بن حارثة بن لام : لا تعجلوا بقتله ، فإن أصبحتم وقد أحدق الناس بكم استجرتموه ، وإن لم تروا أحداً قتلتموه . فأصبحوا وقد أحدق الناس بهم ، فاستجاروه فأجارهم ، فقال حاتم :

عَمُـــرو بـــنُ أوْسٍ إذا أشـــياعُهُ غَضِـــبوا فـــأحرزوهُ بـــلا غُـــرْمٍ ولا عـــارِ

إنَّ بنـــي عَبْـــدِ وُدٍّ كلمـــا وقعـــت إحْـدَى الهَنـاتِ أتَوْهـا غيـرَ أغْمـارِ[444]

(ج3/ص371)

(444) الهنات تقال في خصال الشر ولا تقال في الخير .

أُحيي كريماً لا ضعيفاً ولا حَصِر

أغارت طيء على إبل النعمان بن الحارث بن أبي شمر الجَفْني ، ويقال : هو الحارث بن عمرو ، رجلٌ من بني جفْنة ، وقتلوا ابناً له ، وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلن وليسبين الذراري ، فحلف ليقتلن من بني الغَوْث أهل بيتٍ على دمٍ واحد ، فخرج يريد طيئاً ، فأصاب من بني عدي بن أخزم سبعين رجلاً ، رأسهم وَهمُ بن عمرو من رهط حاتم ، وحاتم يومئذ بالحيرة عند النعمان ، فأصابتهم مُقدمات خيله ، فلما قدم حاتم الجَبَلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها فتقول : يا حاتم أُسر أبو هذا ، فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى النعمان ومعه ملحان بن حارثة ، وكان لا يسافر إلا وهو معه ، فقال حاتم :

أَلا إِنْنِي قَدْ هَاجَنِي اللَّيْلَةَ الذِّكَرْ ... وَمَا ذَاكَ مِنْ حُبِّ النِّسَاءِ وَلا الأَشَرْ

وَلَكِنَّهُ مِمَّا أَصَابَ عَشِيرَتِي ... وَقَوْمِي بِأَقْرَانٍ حَوَالَيْهِمُ الصُّبَرْ[445]

لَيَالِيَ نَمْشِي بَيْنَ جَوٍّ وَمِسْطَحٍ ... نَشَاوَى لَنَا مِنْ كُلِّ سَائِمَةٍ جُزُرْ

فَيَا لَيْتَ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتاً ... يَقُولُ لَنَا خَيْرًا وَيَمْضِي الَّذِي ائْتَمَرْ

فَإِنْ كَانَ شَرًّا فَالْعَزَاءُ فَإِنَّنَا ... عَلَى وَقَعَاتِ الدَّهْرِ مِنْ قَبْلِهَا صُبُرْ

سَقَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ سَحًّا وَدِيمَةً ... جُنُوبَ السَّرَاةِ مِنْ مَآبٍ إِلَى زُغَرْ[446]

بِلادَ امْرِئٍ لا يَعْرِفُ الذَّمُّ بَيْتَهُ ... لَهُ الْمَشْرَبُ الصَّافِي وَلا يَطْعَمُ الْكَدَرْ

تَذَكَّرْتُ مِنْ وَهْمِ بْنِ عَمْرٍو جَلادَةً ... وَجُرْأَةَ مَغْزَاهُ إِذَا صَارِخٌ بَكَرْ

فَأَبْشِرْ وَقَرَّ الْعَيْنَ مِنْكَ فَإِنَّنِي ... أُحَيِّي كَرِيمًا لا ضَعِيفًا وَلا حَصِرْ[447]

فدخل حاتم على النعمان فأنشده فأعجب به واستوهبهم منه ، فوهب له بني امرئ القيس بن عدي ثم أنزله فأتى بالطعام والخمر ، فقال له ملحان : أتشرب الخمر وقومك في الأغلال ؟ قم إليه فسله إياهم ، فدخل عليه ، فأنشده :

---

(445) الأقران : الحبال . والصُّبَرَ : الحظائر واحدها صُبْرة .

(446) مآب وزغر : موضعان .

(447) الحصر : البخيل والعيي .

إِنَّ امْـرَأَ الْقَـيْسِ أَضْـحَتْ مِـنْ صَـنيعَتكُمْ ... وَعَبْـدَ شَـمْسٍ أَبَيْـتَ اللَّعْـنَ فَاصْـطَنِعِ
إِنَّ عَـــدِيًّا إِذَا مَلَّكْـــتَ جَانِبَهَـــا ... مَـنْ أَمْـرِ غَـوْثٍ عَلَـى مَـرْأىً وَمُسْـتَمَعِ
أَتْبِـعْ بَنِـي عَبْـدِ شَـمْسٍ أَمْـرَ إِخْـوَتِهِمْ ... أَهْلِـي فِـدَاؤُكَ إِنْ ضَـرُّوا وَإِنْ نَفَعُـوا
لا تَجعَلَنَّـا أَبَيْـتَ اللَّعْـنَ ضَـاحِيَةً ... كَمَعْشَـرٍ صُـلِمُوا الآذَانَ أَوْ جُـدِعُوا
أَوْ كَالْجَنَـاحِ إِذَا شُـلَّتْ قَوَادِمُـهُ ... صَـارَ الْجَنَـاحُ لِفَضْـلِ الـرِّيشِ يَتَّبِـعُ

فأطلق له بني عبد شمس بن عدي بن أخزم ، وبقي قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضي بن مالك بن ذبيان بن عمرو بن ربيعة بن جرْول الأجئي وهم من لخم ، وأمه من بني عدي ، وهو جد الطِّرماح بن حكيم بن نفر بن قيس بن جحدر ، فقال له النعمان : أفبقي أحد من أصحابك ؟ فقال حاتم :

فَكَكْـتَ عَـدِيًّا كُلَّهَـا مِـنْ إِسَـارِهَا ... فَأَفْضِـلْ وَشَـفِّعْنِي بِقَـيْسِ بْـنِ جَحْـدَرِ
أَبُـوهُ أَبِـي وَالأُمُّهـاتُ أُمُّهاتُنـا ... فَـأَنْعِمْ فَـدَتْكَ اليَـومَ نَفْسِـي وَمَعْشَـرِي

فقال : هو لك يا حاتم ، فقال حاتم :

أَبْلِـغِ الْحَـارِثَ بْـنَ عَمْـرو بِـأَنِّي ... حَـافِظُ الْـوُدِّ مُرصِـدٌ لِلثَّـوَابِ
وَمُجِيـبٌ دُعَـاءَهُ إِنْ دَعَـانِي ... عَجِـلاً وَاحِـدًا وَذَا أَصْـحَابِ
إِنَّمَـا بَيْنَنَـا وَبَيْنَـكَ فَـاعْلَمْ ... سَـيْرُ تَسْـعٍ لِلْعَاجِـلِ الْمُنْتَـابِ
فَـثَلاثٌ مِـنَ السَّـرَاةِ إِلَـى الحلّـ ... ـةِ لِلْخَيْـلِ جَاهِـدًا وَالرِّكَـابِ
وَثَـلاثٌ يُـورَدْنَ تَيْمَـاءَ رَهْـوًا ... وَثَـلاثٌ يُقْـرَبنَ بِالإِعْجَـابِ[448]
فَـإِذَا مَـا مَـرَرْنَ فِـي مُسْـبَطِرٍّ ... فَـأَجْمَحِ الْخَيْـل مثل جَمْـحِ الْكِعَـابِ[449]
بَيْنَمَـا ذَاكَ أَصْـبَحَتْ وَهْـيَ عَضُـدَى ... مِـنْ سَـبِيٍّ مَجْمُوعَـةٍ أو نِهَـابِ
لَيْـتَ شِـعْرِي مَتَـى أَرَى قُبَّـةً ذَا ... تَ قِـلاعٍ لِلْحَـارِثِ الْحَـرَّابِ
بيَفَـاعٍ وَذَاكَ مِنْهَـا مَحَـلٌّ ... فَـوْقَ مَلْـكٍ يُـدِينُ بِالأَحْسَـابِ

(448) الرهو : الرفق والسير السهل . وأقرب الإبل : سرى بها ليلاً لورد الغد .

(449) المسبطر : الممتد المستقيم . اجمح : ارم بهم كما يُرمى بالكعاب ، ويقال : إذا انتصب لك أمر ، فقد جمح . والكعاب جمع كعب : وهي عظمة يلعب بها .

أَيُّهَـــا الْمُوعِـــدِيُّ فَـــإِنَّ لَبُـــونِي بَـــيْنَ حَقْـــلٍ وَبَـــيْنَ هَضْـــبٍ دُبَـــابِ[450]
حَيْـــثُ لا أَرْهَـــبُ الْجُـــراةَ وَحَـــوْلِي ثُعَلِيُّـــــون كَـــــاللِيوث الغضَـــــابِ

وقال حاتم أيضاً :

لَـــم يُنْسِـــني أَطـــلالَ ماوِيَّـــةٍ يأسِـــي وَلا الـزمنُ الماضـي الـذي مِثلُـهُ يُنْسِـي
إِذا غَرَبَـــتْ شَـــمسُ النَهـــارِ وَرَدتُهـــا كَمـا يُـورَدُ الظَمـآنُ آتِيَـةَ الخَمْـسِ[451]

(ج3/ص372-376)

حاتم يخطب ماوية !

جرت عند معاوية مذاكرة فيها ذكر ملوك العرب حتى ذكرت الزباء وابنة عَفْزَرَ ، فقال معاوية : إني لأحب أن أسمع حديث مَاوِيَّةَ وحاتم ، وماوية بنت عفزر ، فقال رجل من القوم : أفلا أحدثك يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلى . فقال : إن ماوية بنت عفزر كانت ملكة ، وكانت تتزوج من أرادت ، وأنها بعثت غلماناً لها ، وأمرتهم أن يأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة ، فجاؤوها بحاتم ، فقالت له : اسْتَقْدِمْ إلى الفراش ، فقال : حتى أُخْبِرَكِ . وقعد على الباب ، وقال : إني أنتظر صَاحِبَيْنِ لي . فقالت : دونك اسْتَدْخِلِ الْمِجْمَرَ . فقال حاتم : اسْتِي لَمْ تُعَوَّدِ الْمِجْمَرَ ، فأرسلها مثلاً ، فارتابت به وسقته خمراً ليسكر ، فجعل يُهريقُه بالباب فلا تراه تحت الليل . ثم قال : ما أنا بذائق قِرىً ولا قارٍّ حتى أنظر ما فعل صاحباي . فقالت : إنا سنرسل إليهما بقرى . فقال حاتم : ليس بنافعي شيئاً حتى آتيَهُما ، قال : فأتاهما . فقال : أفتكونان عبدين لابنة عفزر ترعيان غنَمها أحب إليكما أم تقتلكما ؟ فقالا : كلُّ شيء يشبه بعضاً ، وبعض الشر أهون من بعض . فقال حاتم : الرَّحيل والنجاة . وقال يذكر ابنة عفزر وأنه ليس بصاحب ريبة :

---

(450) حقل ودباب : موضعان .

(451) آتية الخمس : يراد بها كما يورد في الليلة التي تكمل خمساً .

حنَّــتْ إِلَــى الأَجْبَــالِ أَجْبَــالُ طَيِّــئ ... وَحنَّــتْ قُلُوصِــي أَنْ رَأَتْ سَــوْطَ أحمــرَا

فَقُلْــتُ لَهَــا : إِنَّ الطَّرِيــقَ أَمَامَنَــا ... وَإِنَّــا مُحْيُــو رَبْعَنَــا إِنْ تَيَسَّــرَا

فَيَــا راكِبَــيْ عَلْيَــا جَدِيلَــةَ إِنَّمَــا ... تُسَــامَانِ ضَــيْمًا مُسْــتَبِينًا فَتُنْظَــرَا

فَمَــا نَكَــرَاهُ غَيْــرَ أَنَّ ابْــنَ مُلْقِــطٍ ... أَرَاهُ وَقَــدْ أُعْطَــى الْظَلَامَــةَ أَوْ جَــرَى

وَإِنِّــي لَمُــزْجٍ للمَطِــيِّ عَلَــى الْــوَجَى ... وَمَــا أَنَــا مِــنْ خُلاَّنِــكِ ابْنَــةَ عَفْــزَرَا[452]

وَمَــا زِلْــتُ أَسْــعَى بَــيْنَ نَــابٍ وَدَارَةٍ ... بِلَحْيَــانَ حَتَّــى خِفْــتُ أَنْ أَتَنَصَّــرَا[453]

وَحَتَّــى حَسِــبْتُ اللَّيْــلَ وَالصُّــبْحَ إِذْ بَــدَا ... حِصَــانَيْنِ ســيَّالَيْنِ جَوْنًــا وَأَشْــقَرَا[454]

لَشِــعْبٌ مِــنَ الرَّيَّــانِ أَمْلِــكُ بَابَــهُ ... أُنَــادِي بِــهِ آلَ الْكَبِيــرِ وَجَعْفَــرَا

أَحَــبُّ إِلَــيَّ مِــنْ خَطِيــبٍ رأيتُــهُ ... إِذَا قُلْــتُ مَعْرُوفًــا تَبــدَّل مُنْكَــرَا

تُنَــادِي إِلَــى جَارَاتِهَــا : إِنَّ حَاتِمًــا ... أَرَاهُ لَعَمْــرِي بَعْــدَنَا قَــدْ تَغَيَّــرَا

تَغَيَّــرْتُ إِنِّــي غَيْــرُ آتٍ لريبــة ... وَلا قَائَــلٍ يَوْمًــا لِــذِي الْعُــرْفِ مُنْكَــرَا

فَــلا تَسْــأَلِينِي وَاسْــأَلِي : أَيُّ فَــارِسٍ ... إِذَا بــادرَ القــومُ الكَنيــف الْمُسَــتَّرا[455]

ولا تَسْــأَلِينِي وَاسْــأَلِي أَيُّ فَــارِسٍ ... إذا الْخَيْــلُ جَالَــتْ فِــي قَنًــا قَــدْ تَكَسَّــرَا

فَــلا هِــيَ مَــا تَرْعَــى جَمِيعًــا عِشَــارُهَا ... وَيُصْــبِحُ ضَــيْفِي سَــاهِمَ الْوَجْــهِ أَغْبَــرَا

مَتَــى تَرَنِــي أَمْشِــي بِسَــيْفِيَ وَسْــطَهَا ... تَخَفْنِــي وتُضْــمِرْ بَيْنَهَــا أَنْ تُجَــزَّرَا

وإنــي لَتَغْشَــى أبعَــدَ الحــيِّ جَفْنتــي ... إِذَا وَرَقُ الطَّلْــحِ الطِّــوَالِ تَحَسَّــرَا[456]

فــلا تَسْــأَلِينِي وَاسْــأَلِي : بِــيَ صُــحْبَتِي ... إِذَا مَــا الْمَطِــيُّ بِــالْفَلاةِ تَضَــوَّرَا[457]

وَإِنِّــي لَوَهَّــابٌ قُطُــوعِي وَنَــاقَتِي ... إِذَا مَا انْتَشَيْتُ وَالْكُمَيْتَ الْمُصَدَّرَا[458]

---

(452) الوجى : رقة القدم من المشي .

(453) ناب ودارة ولحيان : مواضع .

(454) السيال : الشديد السيل . وفي الديوان : سباقين .

(455) الكنيف : الحظيرة من شجرة والسترة .

(456) تحسر : سقط . والطلح : شجر ، ويراد بسقوطه أن يكون ذلك في أيام الجفاف والمحل .

(457) تضور : تلوى من وجع ضرب أو جوع .

(458) القطوع : جمع قطع ومن معانيه البساط والطنفسة تكون تحت الراكب ، وضرب من الثياب الموشاة . والمصدر : العظيم الصدر ويراد بالكميت المصدر : جواده .

وإنـــي كَأَشْـــلاءِ اللِّجَـــامِ وَلَـــنْ تَـــرَيْ ... أَخَـــا الْحَـــرْبِ إِلا سَـــاهِمَ الْوَجْـــهِ أَغْبَـــرَا
أَخَو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا ... وَإِنْ شَـمَّرَتْ عَـنْ سَـاقِهَا الْحَـرْبُ شَـمَّرَا
وإنـــي إذا المـــوت لـــم يـــك دونـــه ... قِدَى الشِّبْر أحمى الأنف أن أتأخرا[459]
مَتَـــى تَبْـــغِ وُدًّا مِـــنْ جَدِيلَـــةَ تَلْقَـــهُ ... مـــع الشَّـــنْءِ منـــه باقيـــاً مُتـــأثِّرا[460]
فَـــإِلا يُعَاوِدْنَـــا جَهَـــارًا نُلاقِهِـــمْ ... لأَعْـــدَائِنَا رِدْءًا دَلِـــيلا وَمُنْـــذِرَا
إِذَا حَـــالَ دُونِـــي مِـــنْ سُـــلامَانَ رَمْلَـــةٌ ... وَجَـــدْتُ تَـــوَالِي الْوَصْـــلِ عِنْـــدِيَ أَبْتَـــرا

ثم إن حاتماً دعته نفسه إليها بعد انصرافه من عندها ، فأتاها يخطبها ، فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النَّبيت ، فقالت لهم : انقلبوا إلى رحالكم ، ولْيَقُل كل واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه ، فإني أتزوج أكرمكم وأشعركم . فانصرفوا ونحر كل واحد منهم جزوراً ، ولبست ماويةثياباً لأمةٍ لها وتبعتهم ، فأتت النبيتيَّ فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثيل[461] جمله فأخذته ، ثم أتت نابغة بني ذبيان فاستطعمته فأطعمها ذنب جزوره فأخذته ، ثم أتت حاتماً وقد نصب قدره فاستطعمته ، فقال لها : قفي حتى أعطيك ما تنتفعين به إذا صار إليك ، فانتظرت فأطعمها قطعاً من العجز والسنام ، ومثلها من الْمُخَدَّش وهو عند الحارك[462] ، ثم انصرفت ، وأرسل كل واحد منهم إليها ظهر جمله ، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها ، ولم يكن يترك جاراته إلا بهدية ، وصبحوها فاستنشدتهم فأنشدها النبيتيُّ :

هـــلاَّ ســـألت النبيتيِّـــين مـــا حســـبي ... عنـــد الشـــتاء إذا مـــا هبَّـــت الـــريحُ
وردَّ جـــــازرُهم حرفـــــاً مُصَـــــرَّمة ... في الرأس منها وفي الأصلاء تمليحُ[463]
وقـــال رائـــدهم : ســـيَّانِ مـــالُهمُ ... مـــثلان مثـــلٌ لمـــن يَرعـــى وتســـريحُ

(459) القدى بفتح القاف وكسرها : المقدار .
(460) الشنء : البغض .
(461) الثيل : وعاء الذكر .
(462) المخدش : مقطع العنق . والحارك : أعلى الكاهل .
(463) الحرف : الناقة الهزيلة ، ومصرمة : مقطعة ، والأصلاء جمع صلا وهو وسط الظهر . والتمليح : السمن .

إذا اللِّقــاح غــدت مُلْقــىً أصــرَّتُها ولا كــريمَ مــن الولــدان مَصــبوحُ[464]

فقالت له : لقد ذكرت مجهدة ، ثم استنشدت النابغة فأنشدها يقول :

هَــلاّ ســألْتِ بَنــي ذُبيــانَ مــا حَسَــبي إذا الــدّخانُ تَغَشّــى الأشــمَطَ البَرَمــا[465]
وهَبّــتِ الــرّيحُ مِــنْ تِلقــاءِ ذي أُرُلٍ تُزجي مع اللّيلِ من صُرّادِها الصِّرَمَا[466]
إنّــي أُتَمّــمُ أْيســاري وأمْــنَحُهُمْ مَثنى الأيادي وأكسو الجفنَة الأُدُما[467]

فلما أنشدها قالت : ما ينفك الناس بخير ما ائتدموا . ثم قالت : يا أخا طيء أنشدني ، فأنشدها :

أَمَــاوِيَّ قــد طــالَ التَّجنُّــبُ والهَجْــرُ وَقَــدْ عَــذَرَتْني مِــنْ طِلابِكُــمُ العُــذْرُ
أَمَــاوِيَّ إنَّ المــالَ غَــادٍ ورائِــحٌ وَيَبْقَــى مِــنَ المــالِ الأَحَادِيــثُ وَالــذِّكْرُ
أَمَــاوِيَّ إنِّــي لا أَقُــولُ لِسَائِــلٍ إذا جَــاءَ يومــاً حَــلَّ فــي مالِنَــا النَــذْرُ
أَمَــاوِيَّ إمَّــا مَانِــعٌ فَمُبَيِّــنٌ وإمَّــا عَطَــاءٌ لا يُنَهْنِهُــهُ الزَّجْــرُ
أَمَــاوِيَّ مــا يُغْنِــي الثَّــرَاءُ عَــنِ الفَتَــى إذا حَشْــرَجَتْ يومــاً وَضَــاقَ بِهَــا الصَّــدْرُ
إذا أنَــا دلأَّنِــي الذيــنَ أُحِبُّهُــمْ بِمَلْحُــودَةٍ زُلْــخٍ جَوَانِبُهَــا غُبْــرُ[468]
وَرَاحُــوا سِــراعاً يَنْفُضُــونَ أَكُفَّهُــمْ يَقُولُــونَ دَمَّــى أَنَامِلَنَــا الحَفْــرُ
أَمَــاوِيَّ إنْ يُصْــبِحْ صَــدَايَ بِقَفْــرَةٍ مِــنَ الأَرْضِ لا مَــاءٌ لَــدَيَّ وَلا خَمْــرُ
تَــرَيْ أنَّ مَــا أَنْفَقْــتُ لَــمْ يَــكُ ضــرَّني وأنَّ يَــدِي مِمَّــا بَخِلْــتُ بِــهِ صِفْــرُ
أَمَــاوِيَّ إنِّــي رُبَّ وَاحِــدِ أُمِّــهِ أَخَــذْتُ فَــلاَ قَتْــلٌ عَلَيْــهِ وَلاَ أَسْــرُ
وَقَــدْ عَلِــمَ الأَقْــوَامُ لَــوْ أَنَّ حَاتِمَــاً أَرَادَ ثَــرَاءَ المــالِ كَــانَ لَــهُ وَفْــرُ

---

(464) الأصرة : جمع صرار وهو الخيط يشد به خلف الناقة لئلا يرضعها ولدها ، والمصبوح : الذي يسقى الصبوح .

(465) البرم : البخيل اللئيم والذي لا يدخل مع القوم في الميسر . والأشمط : الذي خالط بياض رأسه سواد ، وخص الأشمط لأنه أجزع للبرد من الشاب فهو يتغشى النار قبله .

(466) الصراد : الغيم الرقيق لا ماء فيه أو شدة البرد ، والصرم : جمع صرمة وهي القطعة من السحاب .

(467) الأيسار : جمع يسر ، وهم القوم المجتمعون على الميسر ، والأدم جمع إدام ، ومثنى الأيادي ، أي : أعطيهم نصيبين ، أو ما فضل عن سهام الجزور ، أو ترديد المعروف .

(468) زلخ : ملس يتزحلق منه .

فإنّـــيَ لا آلُـــو بِمَـــالٍ صَنِيعَـــةً ... فَأَوَّلُـــــهُ زَادٌ وَآخِـــــرُهُ ذُخْـــــرُ
يُفَـــكُّ بِـــهِ العَـــانِي وَيُؤْكَـــلُ طَيِّبَـــاً ... وَمَـــا إِنْ يُعَرِّيـــهِ القِـــدَاحُ وَلا القَمْـــرُ[469]
وَلا أَظْلِـــمُ ابْـــنَ العَـــمِّ إِنْ كَـــانَ إِخْـــوَتِي ... شُـــهُوداً وَقَـــدْ أَوْدَى بِإِخْوَتِـــهِ الـــدَّهْرُ
غُنِينَـــاً زَمَانَـــاً بِالتَّصَعْلُـــكِ وَالغِنَـــى ... كَمَا الدَّهْرُ فِي أَيَّامِهِ العُسْرُ وَاليُسْرُ[470]
لَبِسْـــنَا صُـــرُوفَ الـــدَّهْرِ لِينَـــاً وَغِلْظَـــةً ... وَكُـــلاًّ سَـــقَانَاهُ بِكَأْسَـــيْهِمَا العصْـــرُ
فَمَـــا زَادَنَـــا بَغْيـــاً عَلَـــى ذِي قَرَابَـــةٍ ... غِنَانَـــا وَلا أَزْرَى بِأَحْسَـــابِنَا الفَقْـــرُ
وَمَـا ضَـرَّ جَـاراً يَـا ابْنَـةَ القَـوْمِ فَـاعْلَمِي ... يُجَـــاوِرُنِي أَلاَّ يَكُـــونَ لَـــهُ سِتْـــرُ
بِعَيْنَـــيَّ عَـــنْ جَـــارَاتِ قَوْمِـــيَ غَفْلَـــةٌ ... وَفِـــي السَّـــمْعِ مِنِّـــي عَـــنْ حَـــدِيثِهِمِ وَقْـــرُ

فلما فرغ حاتم من إنشاده دعت بالغداء ، وكانت قد أمرت إماءها أن يقدمن إلى كل رجل منهم ما كان أطعمها ، فقدَّمن إليهم ما كانت أمرتهن أن يقدّمنه إليهم ، فنكس النبيتيُّ رأسه والنابغة ، فلما نظر حاتم إلى ذلك رمى بالذي قُدِّم إليهما وأطعمهما مما قدم إليه ، فتسللا لواذاً[471] ، وقالت : إن حاتماً أكرمكم وأشعركم . فلما خرج النبيتي والنابغة قالت لحاتم : خلِّ سبيل امرأتك ، فأبى ، فزودَّته وردَّته ، فلما انصرف دعته نفسه إليها ، وماتت امرأته ، فخطبها فتزوجته ، فولدت عدياً[472] .

(ج3/ص376-381)

(469) يريد أنه يدفع ما له عن طيب خاطر ، لا في لعب ميسر ، والقمر : المقامرة . ويعريه : يفنيه .

(470) غنينا : عشنا .

(471) تسللا لوذاً : أي : خرجا واحداً إثر الآخر . ملتجئاً إليه : معتصماً به .

(472) في –الخزانة– ج4 ص166– : والصحيح أن عدياً من امرأته نوار ، لا من ماوية ، وفي –الشعر والشعراء– ص195 ما يؤيده .

ماوية تطلق حاتماً وتندم !

وكانت ماوية عنده زماناً –عند حاتم– ، وإن ابن عم لحاتم كان يقال له : مالك . قال لها : ما تصنعين بحاتم ؟ فوالله لئن وجد شيئاً ليتلفنَّه ، وإن لم يجد ليتكلفنَّ ، وإن مات ليتركن ولده عيالاً على قومك ، فقالت ماوية : صدقت إنه كذلك . وكان النساء ، أو بعضهن يطلقن الرجال في الجاهلية ، وكان طلاقهن أنهن إن كن في بيت من شعر حوَّلن الخباء ، فإن كان بابه قِبَلَ المشرق حولنه قبل المغرب ، وإن كان بابه قبل اليمن حولنه قبل الشام ، فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد طلقته فلم يأتها . وإن ابن عم حاتم قال لماوية وكانت أحسن نساء الناس : طلقي حاتماً ، وأنا أنكحك وأنا خير لك منه ، وأكثر مالاً ، وأنا أُمسك عليك وعلى ولدك ، فلم يزل بها حتى طلقت حاتماً ، فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء ، فقال : يا عدي ، ما ترى أمك عدا عليها ؟ قال : لا أدري غير أنها قد غيرت باب الخباء ، وكأنه لم يلحن[473] لما قال ، فدعاه فهبط به بطن واد ، وجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون ، فتوافوا خمسين رجلاً ، فضاقت بهم ماوية ذرعاً وقالت لجاريتها : اذهبي إلى مالك فقولي له : إن أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا خمسين رجلاً ، فأرسل بناب نقْرِهم ولبن نغْبُقْهم[474] ، وقالت لجاريتها : انظري إلى جبينه وفمه ، فإن شافهك بالمعروف فاقبلي منه ، وإن ضرب بلحيته على زوْره وأدخل يده في رأسه فاقفُلي ودعيه ، وإنها لما أتت مالكاً وجدته متوسداً وطباً[475] من لبن وتحت بطنه آخر ، فأيقظته فأدخل يده في رأسه وضرب بلحيته على زوره ، فأبلغته ما أرسلتها به ماوية ، وقالت : إنما هي الليلة حتى يعلم الناس مكانه . فقال لها : اقرئي عليها السلام ، وقولي لها : هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتماً فيه ، فما عندي من كبيرة قد تركت العمل ، وما كنت لأنحر صفية غزيرة بشحم كلاها ، وما عندي لبن يكفي أضياف حاتم . فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت منه وما قال ، فقالت : ائتي حاتماً فقولي : إن أضيافك قد نزلوا الليلة بنا ولم يعلموا بمكانك .

---

(473) لم يلحن : لم يفطن .

(474) الناب : الناقة المسنة . وغبقه : سقاه ما يشرب في العشي .

(475) الوطب : السقاء .

فأرسل إلينا بناب ننحرها ونقرهم وبلبن نسقهم ، فإنما هي الليلة حتى يعرفوا مكانك . فأتت الجارية حاتماً فصرخت به ، فقال حاتم : لبيك ، قريباً دعوت . فقالت : إن ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك : إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ، فأرسل إليهم بناب ننحرها ولبن نسقهم. فقال : نعم وأبي ، ثم قام إلى الإبل فأطلق ثنيَّتين من عقاليهما ، ثم صاح بهما حتى أتى الخباء فضرب عراقيبهما ، فطفقت ماوية تصيح وتقول : هذا الذي طلقتك فيه ، تترك ولدك وليس لهم شيء ، فقال حاتم :

هل الدهرُ إلا اليومُ أو أمسِ أو غدُ ... كذاكَ الزّمانُ بَينَنا يَتَرَدَّدُ

يردُّ علينا ليلةً بعد يومها ... فلا نَحنُ ما نَبقى ولا الدّهرُ يَنفَدُ

لنا أجلٌ إما تناهى أمامه ... فنحن على آثاره نتورَّدُ

بَنُو ثُعَلٍ قَوْمي فَما أنا مُدَّعٍ ... سِواهُمْ إلى قوْمٍ وما أنا مُسنِدُ

بَدرْئهمُ أغثى دُروءَ معاشرٍ ... ويَحْنِفُ عَنّي الأبْلَجُ المُتَعَمِّدُ[476]

فمَهْلاً فِداكَ اليَوْمَ أُمّي وخالَتي ... فلا يأُمرنِّي بالدَّنيَّة أسودُ

على حين أن ذكَّيتُ واشتد جانبي ... أُسام التي أعييْت إذْ أنا أمردُ[477]

فهلْ تركتْ قلبي حُصونٌ مكانها ... وهَلْ مَنْ أبَى ضَيْماً وخَسفاً مخلَّدُ ؟

ومتعسفٍ بالرمح دونَ صحابهِ ... تَعَسّفْتُهُ بالسّيفِ والقَوْمُ شُهَّدُ[478]

فَخَرَّ على حُرِّ الجبينِ وَذادَهُ ... إلى الموت مطرورُ الوقيعة مِذْوَدُ[479]

فما رِمتُه حتى أزْحت عَويصه ... وحتى عَلاهُ حالِكُ اللّونِ أسوَدُ[480]

فأقسمت لا أمشي إلى سر جارتي ... يدَ الدهر ما دام الحمامُ يُغرِّدُ[481]

ولا أشتري مالاً بِغَدْرٍ عَلِمْتُهُ ... ألا كلُّ مالٍ خالَطَ الغَدْرَ أنكَدُ

---

(476) الدرء : الدفع . ودروء هنا معناها : الحدود . ويحنف : يميل . والأبلح : الجاحد .

(477) ذكى الرجل : أسن .

(478) المتعسف : المائل ، والراكب الأمر بلا تدبير .

(479) ذاده : دفعه . والمطرور : المحدد . والوقيعة : النصل . والمذود : المطرد وهو رمح قصير . والمطرد من الرمح : ما بين العالية والموضع الذي يدخل فيه الرمح .

(480) رمته : زلت عنه وفارقته .

(481) يد الدهر : مد زمانه .

إذا كـــانَ بعـــضُ المـــالِ رَبّـــاً لأهْلِـــهِ ... فـــإنّي بحَمْـــدِ اللَّـــهِ مـــالي مُعَبَّـــدُ
يُفّـــكّ بـــهِ العـــاني ويُؤكَـــلُ طَيّبـــاً ... ويُعْطَـى إذا ضَـنّ البَخيـلُ المُصَـرَّدُ[482]
إذا مـا البخيـلُ الخَـبَّ أخمـدَ نـارَه ... أقـولُ لمَـنْ يَصْـلى بنـاريَ أوقِـدوا[483]
توَسّـعْ قلـيلاً، أو يَكُـنْ ثَـمّ حَسْـبُنا ... ومُوقِـدُها البـادي أعـفُّ وأحمـدُ
كـذاكَ أُمـورُ النّـاسِ راضٍ دنيَّـةً ... وسـامٍ إلـى فَـرْعِ العُـلا مُتَـوَرِّدُ
فمِـنْهُمْ جَـوادٌ قَـد تَلَقّـتُّ حَوْلَـهُ ... ومـنهُمْ لَئـيمٌ نـائمُ الطّـرْفِ أقـوَدُ[484]
وداع دعـاني دعـوة فأجبتـه ... وهـل يـدَعُ الـداعين إلا اليَلَنْـدَدُ[485]

(ج3/ص381-384)

حاتم يعتب على أوس

كان أوس بن سعد قال للنعمان بن المنذر : أنا أدخلك بين جبلي طيء حتى يدين لك أهلهما ، فبلغ ذلك حاتماً ، فقال :

وَلَقَـد بَغـى بِجِـلادِ أَوسٍ قَومـهُ ... ذُلاً وَقَـد عَلِمَـت بِـذَلِكَ سُـنبِسُ[486]
حاشـا بَنـي عَمـرِو بـنِ سـنبِسَ إِنَّهُـم ... مَنَعـوا ذِمـارَ أَبـيهِمِ لا يُـدنَس
وَتَواعَـدوا وِردَ القُرَيَّـةِ غُـدوَةً ... وَحَلَفـتُ بِاللَـهِ العَزيـزِ لَنَحْـبِسُ[487]
وَاللَـهُ يَعلَـمُ لَـو أَتـى أسـلافَهم ... طَـرفُ الجَـريضِ لَظَـلَّ يَـومٌ مُشـكِسُ[488]

(482) المصرد : المقلل للعطاء .
(483) الخب : الخداع الذي يسعى بين الناس بالفساد .
(484) الأقود : من معانيه البخيل على الزاد ، لأنه لا يلتفت على الأكل لئلا يرى إنساناً فيحتاج أن يدعوه .
(485) اليلندد : الخصم الشحيح الذي لا يرجع إلى الحق .
(486) الجلاد : جمع جليد وهو ذو القوة والصبر .
(487) القرية : مكان في جبل طيء ، ذكر في –معجم البلدان– أنه مشهور .
(488) المشكس : العسر . والجريض : غصص الموت .

كَالنـــارِ وَالشَـــمسِ الَّتـــي قالَـــت لَهـــا بَيـــدَ اللُّـــوَيمِسِ عالِمـــاً مـــا يَلمَـــسُ
لا تَطعَمَـــنَّ المـــاءَ إِن أَورَدتَهُـــم لِتَمـــامِ ظَمـــئكُمُ فَفـــوزوا وَاحلَســـوا[489]
أَو ذو الحُصَـــينِ وَفـــارِسٌ ذو مِـــرَّةٍ بِكَتيبَـــةٍ مَـــن يُـــدرِكوهُ يَفرِسُـــوا[490]
ومُوَطَّـــأُ الأَكنـــافِ غَيـــرُ مُلَعَّـــنٍ فـــي الحَـــيِّ مَشّـــاءٌ إِلَيـــهِ المَجلِـــسُ

(ج3/ص384-385)

إن كنت كارهة معيشتنا

جاور –حاتم– في بني بدر زمن احتربت جديلة وثعل ، وكان ذلك زمن الفساد ، فقال يمدح بني بدر :

إِن كُنـــتِ كارِهَـــةً مَعيشَـــتَنا هـــاتي فَحُلّـــي فـــي بَنـــي بَـــدرِ
جـــاوَرتُهُم زَمَـــنَ الفَســـادِ فَنِعـــ ـــمَ الحَـــيُّ فـــي العَوصـــاءِ وَاليُســـرِ
فَسُـــقيتُ بِالمـــاءِ النَّميـــرِ وَلَـــم أُتـــرك لأطمـــر حَمـــأَةِ الجَفـــرِ
وَدُعيـــتُ فـــي أولـــى النَـــدِيِّ وَلَـــم يُنظَـــر إِلَـــيَّ بِـــأَعيُنٍ خُـــزْرِ
الضـــارِبينَ لَـــدى أَعنَّـــتهم والطـــاعِنينَ وَخَـــيلُهُم تَجـــري

(ج3/ص385)

(489) حلس المكان : لزمه ، وحلس الرجل بالشيء : تولع به .

(490) المرة : القوة . وفرسه : دق عظمه ، ثم صار يستعمل في كل قتل .

خلوا سبيله وقيدوني مكانه !

خرج حاتم في الشهر الحرام يطلب حاجة ، فلما كان بأرض عنزَة ناداه أسير لهم : يا أبا سفانة ، أكلني الإسار والقمل ، قال : ويلك ! والله ما أنا في بلاد قومي ، وما معي شيء ، وقد أسأتَ بي إذ نوَّهت باسمي ، ومالك مترك . فساوم به العنزيين ، فاشتراه منهم ، فقال : خلوا عنه وأنا أقيم مكانه في قيده[491] حتى أؤدي فداءه ، ففعلوا فأتي بفدائه .

(ج3/ص385-386)

جئتك لما أسلمتني البراجم !

كان عبد قيس بن خُفاف البرجمي أتى حاتم طيء في دماء حملها عن قومه فأسلموه فيها وعجز عنها ، فقال : والله لآتينَّ من يحملها عني ، وكان شريفاً شاعراً شجاعاً ، فقدم على حاتم وقال له : إنه وقعت بيني وبين قومي دماء فتواكلوها ، وإني حملتها في مالي وأهلي ، فقدَّمت مالي وأخرَّت أهلي ، وكنت أوثق الناس في نفسي ، فإن تحمَّلني فكم من حقٍّ قضيته وهمٍّ كفيته ، وإن حال دون ذلك حائل لم أذمم يومك ، ولم أنس غدك ، ثم أنشأ يقول :

حَمَلْتُ دِمَاءً لِلْبَرَاجِمِ جَمَّةً ... فَجِئْتُكَ لَمَّا أَسْلَمَتْنِي الْبَرَاجِمُ

وَقَالُوا سِفَاهًا : لِمَ حَمَلْتَ دِمَاءَنَا ؟ ... فَقُلْتُ لَهُمْ : يَكْفِي الْحَمَالَةُ حَاتِمٌ

مَتَى آتِهِ فِيهَا يَقُلْ لِيَ مَرْحَبًا ... وَأَهْلاً وَسَهْلاً أَخَطَأَتْكَ الأَشَائِمُ

فَيَحْمِلُهَا عَنِّي وَإِنْ شِئْتُ زَادَنِي ... زِيَادَةَ مَنْ حيزتْ إِلَيْهِ الْمَكَارِمُ

يَعِيشُ النَّدَى مَا عَاشَ حَاتِمُ طَيِّئٍ ... وَإِنْ مَاتَ قَامت لِلسَّخَاءِ مَآتِمُ

(491) في -مجمع الأمثال- أجود من حاتم في قيده ، وكذلك -الشعر والشعراء- .

يُنَادِينَ مَاتَ الْجُودُ مَعْكَ فَلا نَرَى ... مُجِيبًا لَهُ مَا حَامَ فِي الجَوِّ حَائِمُ
وَقَالَ رِجَالٌ أَنْهَبَ العَامَ مَالَهُ ... فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنِّي بِذَلِكَ عَالِمُ
ولكنه يُعطي من أموال طيِّيءٍ ... إِذَا حَلَّقَ الْمَالَ الْحُقُوقُ اللَّوَازِمُ
فَيُعْطِي الَّتِي فِيهَا الْغِنَى وَكَأَنَّهُ ... لَتَصْغِيرِهِ تِلْكَ الْعَطِيَّةَ جَارِمُ
بِذَلِكَ أَوْصَاهُ عَدِيٌّ وَحَشْرَجٌ ... وَسَعْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ وَتِلْكَ الْقَمَاقِمُ

فقال له حاتم : إني كنت لأحِبُّ أن يأتيني مثلك من قومك ، وهذا مرباعي من الغارة على بني تميم فخذه وافراً ، فإن وفى بالحمالة وإلا أكملتُها لك ، وهي مائتا بعير سوى نيبها وفعاليها ، مع أني لا أحب أن تؤبس قومك بأموالهم ، فضحك أبو جبيل وقال : لكم ما أخذتم منا ولنا ما أخذنا منكم ، وأي بعير دفعته إليَّ وليس ذنبه في يد صاحبه فأنت منه بريء . فأخذها وزاده مائة بعير ، وانصرف راجعاً إلى قومه .

(ج3/ص386-387)

حدثيني ببعض عجائب حاتم !

قال مِلحان ابن أخي ماوية امرأة حاتم : قلت لماوية : يا عمة : حدثيني بعض عجائب حاتم ، فقالت : كلُّ أمره عجب ، فعن أيه تسأل ؟ قلت : حدثيني ما شئت ، قالت : أصابت الناس سَنة ، فأذهبت الخفَّ والظِّلف[492] ، فإني ليلة قد أسهرنا الجوع ، قالت : فأخذ عدياً وأخذتُ سفانة ، وجعلنا نعللهما حتى ناما ، ثم أقبل عليَّ يحدثني ويعللني بالحديث كي أنام ، فرققت له لما به من الجهد ، فأمسكت عن كلامه لينام ، فقال لي : أنمت ؟ مراراً ، فلم أجب ، فسكت ، فنظر في فتق الخباء فإذا شيء قد أقبل ، فرفع رأسه فإذا امرأة ، فقال : ما هذا ؟ قالت : يا أبا سفانة ، أتيتك من عند صبية يتعاوَوْن كالذئاب

(492) الخف والظلف : ذوات الخف والظلف من المواشي . هذا والقصة نسبت للنوار في –الشعر والشعراء– .

جوعاً ، فقال : أحضريني صبيانك ، فوالله لأشبعنَّهم ، قالت : فقمت سريعاً ، فقلت : يا حاتم ! فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل ، فقال : والله لأشبعن صبيانك مع صبيانها . فلما جاءت قام إلى فرسه فذبحها ، ثم قدح ناراً ثم أجَّجها ثم دفع إليها شفرة ، فقال : اشتوي وكلي ، ثم قال : أيقظي صبيانك . قالت : فأيقظتهم ، ثم قال : والله إن هذا لَلُؤْم ، تأكلون وأهل الصِّرم[493] حالهم مثل حالكم ! فجعل يأتي الصرم بيتاً بيتاً فيقول : انهضوا عليكم بالنار . قال : فاجتمعوا حول تلك الفرس ، وتقنع بكسائه فجلس ناحية ، فما أصبحوا ومن الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلا عظم وحافر ، وإنه لأشد جوعاً منهم وما ذاقه .

(ج3/ص387-388)

أخواه . . طرفا الجبل !

أتى حاتم مُحرِّقاً[494] ، فقال له محرق : بايعني ، فقال له : إن لي أخوين ورائي ، فإن يأذنا لي أبايعك وإلا فلا ، قال : فاذهب إليهما ، فإن أطاعاك فأتني بهما وإن أبيا فأذن بحرب ، فلما خرج حاتم قال :

أتاني مِنَ الرّيّانِ أمسِ رِسالةٌ وعُدوى وغيٌّ ما يقولُ مُواسِلُ[495]

هما سألاني ما فعلتَ وإنني كذلك عما أحدثا أنا سائلُ

فقلتُ : ألا كَيفَ الزّمانُ علَيكُما ؟ فقالا : بخيرٍ كلُّ أرضك سائلُ

---

(493) الصرم : قد يراد بهم الجماعة من البيوت .

(494) محرق : لقب عمرو بن هند ، لأنه حرق مائة من بني تميم يوم أوراة ، ولقب امرئ القيس بن عمرو عدي اللخمي وهو المحرق الأكبر .

(495) الريان : جبل في ديار طيئ ، والعدو : الظلم . ومواسل : قنة جبل أجأ وهو جبل طيء وهما اللذان عناهما بأنهما أخواه .

فقال محرق : ما أخواه ؟ قال : طرفا الجبل ، فقال : ومحلوفه لأجِلَّنَّ مُواسلاً الرَّيط مصبوغاتٍ بالزيت ثم لأشعلنَّه بالنار ، فقال رجل من الناس : جهل مرتقىً بين مداخل سبلاَّت[496] فلما بلغ ذلك محرقاً قال : لأقدمن عليك قُرَيَّتك[497] . ثم إنه أتاه رجل فقال له : إنك إن تقدم القُريَّة تهلك ، فانصرف ولم يقدم .

(ج3/ص388)

أسائل عنه الحارسين لحبسه !

لما حبس محمد بن عبد الملك الزيات سليمان بن وهب وطالبه بالأموال وقت نكبته ، قال الحسن بن وهب :

خليليَّ من عبدِ المدانِ تروَّحا ... ونُصَّا صدورَ العيسِ حسرى وطُلَّحا
فإن سليمان بن وهب بمنزلٍ ... أصاب صميم القلب مني فأقرحا
أسائل عنه الحارسين لحبسه ... إذا ما أتوني كيف أمسى وأصبحا ؟
فلا يُهنئ الأعداءَ أَسر ابن حُرَّةٍ ... يراه العدا أندى بناناً وأسمحا
وقولا لهمْ صبراً جميلاً وأصبِحوا ... فما أقرَبَ الليل البهيمِ من الضُّحى

(ج3/ص400)

أصبحتُ . . كالَّ القريحة

(496) سبلات : جبل في جبال أجأ ومواسل أيضاً .

(497) قرية : مكان في جبل طيئ وقد تقدم .

قيل له –الحسن بن وهب– وسليمان –عمه– محبوس : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت والله عليل النشاط ، كالَّ القريحة ، صدئ الذهن ، ميت الخاطر من سوء فعل الزمان وتورُّد الأحزان وتغير الإخوان . قال : وآلى ألا يذوق طعاماً طيباً ، ولا يشرب ماءً بارداً ما دام أخوه محبوساً . فوفى بذلك كله .

(ج3/ص400)

البكاء . . حَزْنٌ جرى في الخد

قال أحمد بن سليمان بن وهب : رآني الحسن بن وهب وأنا أبكي لفراق بعض أُلافي فقال :

ابــكِ فمــا أنفــع مــا فــي البُكــا لأنـــــه للوجـــــدِ تســـــهيلُ
وَهُـــــوَ إذا أنـــــت تأمَّلْتَـــــهُ حَـــزْنٌ علـــى الخـــدَّين محلـــولُ

(ج3/ص400)

أفنى ريب الدهر معدًّا !

قال يعقوب بن السكيت : أنشدني النَّضر بن شميل للحارث بن حِلِّزة –وكان يستحسنها ويستجيدها ويقول : لله دره ما أشعره– :

مَـــنْ حَـــاكِمٌ بَيْنِـــي وَبَيْـــ نَ الـــدَّهْرِ مَـــالَ عَلَـــيَّ عَمْـــدَا
أَوْدَى بِسَـــــادَتِنَا وَقَـــــدْ تَرَكُـــوا لَنَـــا حَلَقـــاً وَجُـــرْدَا[498]

(498) الحلق هنا : الدروع . الجرد : الخيل القصيرة الشعر ، واحدها : أجرد .

خَيْلِـــــــي وَفَارِسُـــــــهَا وربِّ أَبِيـــــكَ كَـــــانَ أعَـــــزَّ فَقْـــــدَا
فَلَـــــوَ أنَّ مَـــــا يَـــــأْوِي إِلَـــــيَّ أَصَـــــابَ مِـــــنْ ثَهْـــــلاَنَ هَـــــدَّا[499]
فَضَـــــعِي قِنَاعَـــــكِ إِنَّ رَيـــــبَ الـــــدَّهْرِ قَـــــدْ أَفْنَـــــى مَعَـــــدَّا
فَلَكَـــــمْ رَأَيْـــــتُ مَعَاشِـــــرًا قَـــــدْ جَمَّعُـــــوا مَـــــالاً وَوُلْـــــدَا
وهُـــــمُ زَبـــــابٌ حـــــائِرٌ لا تَسْـــــمَعُ الآذانَ رَعْـــــدَا[500]
عيشـــــنْ بِجَـــــدٍّ لاَ يَضِـــــرْ كَ النُّـــــوكُ مَـــــا لاَقَيْـــــتَ جَـــــدَّا[501]
وَالْعَـــــيْشُ خَيْـــــرٌ فِـــــي ظِـــــلاَ لِ النُّـــــوكِ مِمَّـــــنْ عَـــــاشَ كَـــــدَّا

(ج3/ص411-412)

أتاك بيَّ اللهُ !

وفد حميد بن ثور على بعض خلفاء بني أمية ، فقال له : ما جاء بك ؟ فقال :

أَتـاكَ بـيَ اللَّـهُ الَّـذي فَـوقَ مَـن تَـرى وَخَيـــرٌ وَمَعـــروفٌ عَليـــكَ دَليـــلُ
وَمَطويَّـــةُ الأَقـــرابِ أَمـــا نَهارُهـــا فَـــنضٌ وأَمَّـــا لَيلُهـــا فَـــذَميلُ[502]
وَيطـوي علـيَّ اللَّيـلُ حِضْـنَيهِ إِنَّـني لِـــذاكَ إِذا هـــابَ الرِّجـــالُ فَعـــولُ

فوصله وصرفه شاكراً .

(ج3/ص414)

---

(499) ثهلان : جبل .

(500) الزباب : ضرب من الفئرة لا تسمع ، يشبه بها الجاهل . والواحدة : زبابة .

(501) الجد : الحظ . والنوك : الحمق .

(502) الأقراب : جمع قرب ، بالضم والضمتين : وهو الخاصرة . النص : أقصى السير . والذميل : السير اللين .
ويروى : أما نهارها فسبت : والسبت سير الإبل .

ملاحظات:

فهرس

عمل بلا علم !	5
تجهّز لفراق الأهل والمال	5
صاحبك أخوك ما استغنيت عنه	6
المال والذكر الحسن	6
ما ضر من جعل التراب مهاده	7
يا واعظ الناس !	7
فيا عجباً كيف يعصى الإله ؟!	8
روائحُ الجنة في الشباب	8
حِيَلُ ابن آدم في الأمور كثيرة !	10
العتق من المال!حكمةٌ جامعة	10
حكمةٌ جامعة	11
إنْ نعش نجتمع	11
لو كنت أرضى مثل قولك!	11
أنا والله أستحسن اعتذارك	12
أجفوتني فيمن جفاني ؟!	13
لِمَ لا تستعمل الغريب في شعرك ؟!	13
مؤنسٌ كان لي هلك	14
إلى ديّان يوم الدين نمضي	15
الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن	15
الآن طَيبت المعنى	15
الدنيا .. تهين مكرمها وتكرم مهينها	16
وللمرء يوماً لا محالة مصرع !	16

ما للجديدين لا يبلى اختلافهما ؟!	17
فديتك ، فأكذبني بجواد واحد!	18
الفقرُ يرجى له الغِنى ؟!	18
فكلٌّ إن صبرتَ له يزول	19
أليس أوَّلُكَ نطفةً وآخِرُك جيفةً ؟!	19
يا طالب الدنيا!	20
أذل الحرص أعناق الرجال!	20
وددت أنه لي بكثير من شعري !!	21
من سابق الدهر كبا كبوة	21
أفنيت عمرك إدباراً وإقبالاً	22
خمسة أبيات لأبي العتاهية	23
لا يرجو عفو الله مقصر	23
خانك الطرف الطموح!	24
إنّ السفينة لا تجري على اليبس	25
سيُعْرَض عن ذكري وتنسى مودتي!	25
إلهي لا تعذبني!	25
غذوتك مولوداً وعلتك يافعا	26
رجل يرثي أخاه	27
من ذا يعيرك عينه تبكي بها ؟!	28
وزعمتِ أني ظالم فهجرتني	28
راجعْ أحبَّتك الذين هجرتهم	28
يا ذا الذي صدع الفؤاد بصدِّه	29
هل إلى نظرة إليك سبيلُ ؟	29
إني رأيت البخل يزري بأهله	30

إذا المرء قاسى الدهر وابيضَّ رأسه !	30
إنّ العروق إذا استسرَّ بها الثرى	31
لا شيء أعظم من جُرمي سوى أملي	31
ربّ أخ غيرته الحوادث !	31
فيا حسن مجلوب ويا قبح جالب	32
كلُّ ذخيرة .. مصيرها النفاد	33
الأناة والوعيد	33
من ضَنَّ بمعروفه بذلت له عذري	33
كداعية عند القبور نصيرها!	34
خَلِّ النفاق لأهله	34
يا من حنيني إليه !	34
أميل مع الذِّمام على ابن أمي	35
قدرتَ فلم تضرر عدواً بقدرة !	35
وكنت أخي بإخاء الزمان !!	35
وعلَّمكم صبري على ظُلمكم ظلمي !	36
دعني أواصل من قطعتَ	36
إذا ما الفكر ولَّد حسن لفظٍ	37
فلو كان للشكر شخص يَبين	37
وما كنتَ إلاّ مثلَ أحلام نائم	37
هو أسدٌ ضارٍ وأبٌ بَرّ	38
أين أهل العفة والكرم ؟!	38
الخالُ يكسو الوجه القبيح جمالا	39
ووجدتُ حِلمك لي عليك دليلا	39
الشهادة والمعرفة	39

ذريني أكن للمال ربا !	40
الناس معادن	41
رأيت المرء تأكله الليالي !	42
وكل امرئ يوماً سيلقى حمامه	43
تفهَّم أيها الرجل الجهول	45
أحبك حُبَّيْن	46
وإنَّ الجهلَ للأحساب غول	46
بغلُ أبي دلامة !	47
بل أرسل حكيماً وأوصه	47
لكلِّ همٍّ من الهموم سَعَة	48
أتصبر للبين أم تجزع ؟	49
رأيتك لا تستلذ المطال	49
عِزُّ الفقر وهوانُ الثراء !	49
قد جدَّ بي سهرٌ فلم أرقد له !	50
بديهته وفكرته سواء	50
ما لا يكون فلا يكون بحيلة	51
لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة	51
جسمي معي غير أن الروح عندكم !	51
زمانٌ أعلامه سفلة	52
مَنْ تاهَ واحدةً فَتِهْ عَشْراً !	52
لو لم يكن ذنبٌ لما عُرف العفو	53
شوقي إليك على الأيام يزداد !	53
أَتجيبني بخلاف ما أمَّلتُه ؟!	54
لا تُؤَيسنَّك من كريم نَبوةٌ	54

تصدَّقَ بنعله وانصرفَ حافياً 55
قد كان عتبك مرة مكتوماً ! 55
ما ذقت بعدك لا نوماً ولا وسنا ! 56
قلبي مع الظاعنين حزينُ 56
بثَّ النوال ولا تمنعك قلته 57
وأي الناس تصفو مشاربه ؟ 57
بعيدُ الثرى لا يُبْلَغُ قَعْرُهُ 57
أميرٌ فعَّالٌ خير من قوَّال 59
حليمٌ إذا ما الحلم كان مروءةً 60
بم تغلبَ الرجال .. وأنت دميمُ ؟! 60
أخو الحزم يُبصرُ القصدَ 61
الجودُ ليس سجيتك ! 61
أصدق بيت قالته العرب 62
وتقوى الله خير الزاد ذخرا 62
أُذكرْ تحنُّنَنا إليك وشوقنا 63
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا 63
.. ولا تُسمعوا بناتي غناء شبانكم 64
يَعيبُني وأُعِينُه ! 64
الحطيئة والزبرقان 65
إياك وهجاء الناس 66
عمر يشتري أعراض المسلمين 67
الحطيئة يحاور ابن عباس 67
من كلام الحطيئة عند الوفاة 69
من علامات الكريم 70

يوتُ الشعر أربعة	71
أَأُلامُ على أن يغلبني مثل هذا ؟!	71
خبِّرْني بمن أنت فاخر ؟!	72
يا أبتِ .. من أشعر الناس ؟!	72
جائزتي للعذريِّ يا أمير المؤمنين	73
عمر يقرِّب الفقراء ويُباعد الشعراء	75
أشعر الناس	77
الجواب الحسن ينجي من ورطة	77
لو رثيته لكنت أشعر العرب	78
لحى اللهُ من لا يُعرَفُ الوُدُّ عنده	78
أَغرَّك أني لا بخيلٌ ولا مفحش ؟!	79
لا أستطيع تجلُّداً عن ذكركم	80
أحارب من حاربت !!	80
فواندمي على الشباب !	81
كريمٌ لا تغيره الليالي !	81
كبراء قريش والخمر !	82
عمر وجبلة بن الأيهم	83
أرى الصفح لنفسي فضلا	85
غريب بين الناس	85
هيبة المال !	85
خلّوا سبيلي	86
يرى الشح عاراً والسماحة رفعة	86
وأدرك ميسور الغنى ومعي عرضي	87
ذو الإصبع .. وبناتُه!	88

وصية أب لابنه	90
ذو الإصبع يبكي قبيلته	91
رحل الشباب وليته لم يرحل	94
صَحِبتُك إذ عيني عليها غشاوة !	95
لا أخون الصديق في السرّ	95
الزبير يثني .. وحسان يمدح	95
حسان يرد على وفود العرب	96
عجباً كيف حسَّنتم الفرار ؟!!	100
النابغة وحسان والأعشى والخنساء!	101
بم استحققت لقب (الراوية) ؟	102
ما معنى قول ابن مزاحم ؟	102
ولا تشهرني بشعرك!	103
هذا الشعر جيد وليس له!	103
لقد أفسدحماد الشعر!	104
لا يروى الشعرُ عن حماد !	104
زياد يغضب من حماد	106
الشعراء والأمراء!	106
ويلك اكفُفْ غربَ لسانك!	108
كيف ظريف شعرائكم ؟	108
الضحاك يمدح المعتصم	109
الضحاك وفتح عمورية	110
أنا في ذمة السحاب وأظمأ !	111
يا أبا محمد أَلِنْ جانبك .. !	112
سَّودني قومي حين ذهب خيارهم!	113

إلا من تاب	113
مساجلة أنس وحارثة!	114
خذِ الخراج نجوماً!	118
اكسروا رجل كعب!	118
هذا لعمركم البيان الصريح	119
ولا إن غويتَ أعصيك!	119
أبو زبيد يروي قصة الأسد	120
وصف أسد	124
قصة قيسبة الأسير	124
فإنك حبيب ازداد حباً	126
ألا عَلِّلاني قبل نَوْحِ النوائحِ!	128
لا تستثر إحنة ابن عمك!	128
ألا حَنَّتِ المِرقال وائتبَّ ربُّها	129
جانيك مَن يجني عليك!	130
وعند جهينة الخبر اليقين!	131
برجٌ يؤثِّمني ويكفر نعمتي!	137
وأعتقنا ابنةَ العمريِّ عمرو	138
هل أسلم حصين بن الحمام ؟	139
ألا هلك الحلو الحلال الحلاحل	140
غلب ابنُ الوليد ابنَ قنبر	141
قد كدتَ تهوي وما قوسي بموتَرة	142
فهبْ لي ذنوب الدمع ..	143
لقد بالغت في اليمين !	143
لا تدعُ الناس إلى ذمك	144

ربما أخطأ جالينوس! 144
سبب خصومة حماد وبشار 145
وعليك من حالاهُ واحدةٌ !! 146
لا يكذب ولا يقطع ولا ينكث 146
صرتُ للدهر خاشعاً مستكينا! 147
رميتَ جوانحه إذ رميت! 148
يدوم وُدي لمن دامت مودته! 148
أنت ابن بيض .. ولكن من أبو بيض ؟! 149
وَجُدْتَ فقلتَ : ألا سائل .. ؟! 150
من أظلمت بدايته أظلمت نهايته! 152
لا أتمنى ما لست له بأهل! 153
قد أتى ربَّكِ خبزٌ يابس! 154
أخاف على فخارتي أن تحطما 154
لا بَطِرٌ إن تتابعت نِعَمٌ 155
سليمان .. وابن بيض! 156
أخلب بيتٍ وأرقه وأقنعه 156
ويُعتبني يوماً إذا كنت عاتباً .. 158
ليس هذا بمدحٍ! 161
ضحك المشيب برأسه فبكى ! 162
مِثْلُ هذا فلْيُسَهِّرْك 163
قد وسعت الجودَ والجودُ ميت ! 164
ما أشعر بيت في خلافة بني هاشم ؟ 164
صِفْ هذه السحابة ! 165
طلق امرأته وردَّ ولده 166

العبد يقرع بالعصا .. !	167
كل شاعر أصاب بما أراده	167
دوادة هي الشاعرة !	168
شِعْرُ الرجل كأولاده	169
أشعر الناس طُرًّا	170
صاحبكم هذا أشعر الناس	171
إنه أخ بالأدب والمودة !	172
فغضب دِعبل وانصرف	173
لو لم يقل غيرهما لكفتاه !	173
كأن حُسْنَ المعنى موقوفٌ عليه !	174
استحسنت قول أبي تمام	175
أبو تمام في خراسان !	175
لم يمت من رُثِيَ بهذا الشعر	176
لم أعطيت أبا تمام ألف درهم ؟!	177
صيرك الإحسان عائباً عاتبا	178
ومن لا يعطي على هذا ملكه ؟!	179
ما زالت الأيام تخبر سائلاً	180
عضني جوعٌ فلا أمنع سائلا !	181
لا ينفق من المال قويان	182
حاتم الطائي وجدُّه	182
استجاروه فأجارهم	184
أُحيي كريماً لا ضعيفاً ولا حَصِر	185
حاتم يخطب ماوية !	187
ماوية تطلق حاتماً وتندم !	191

حاتم يعتب على أوس	194
إن كنت كارهة معيشتنا	195
خلوا سبيله وقيدوني مكانه !	195
جئتك لما أسلمتني البراجم !	196
حدثيني ببعض عجائب حاتم !	197
أخواه .. طرفا الجبل !	198
أسائل عنه الحارسين لحبسه !	199
أصبحتُ .. كالَّ القريحة	199
البكاء .. حَزْنٌ جرى في الخد	200
أفنى ريب الدهر معدًّا!	200
أتاك بيَّ اللهُ !	201